شرح العقيدة الصغرى

وهو شرح العقيدة المسمّاة بـ «أمّ البراهين»

تأليف

محيي ما اندرس من الدين، وناصر سنّة سيّد المرسلين ﷺ

أبي عبد الله محمّد بن يوسف بن عمر السنوسيّ المالكيّ

(ت ٨٩٥ هـ)

شرف بخدمته

أنس محمّد عدنان الشّرفاوي

دار التّقوى

دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح العقيدة الصغرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : شرح العقيدة الصغرى

المؤلف : محمد بن يوسف بن عمر السنوسي

الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الرقم الدولي : 978-9933-610-27-2

9789933610272

دار التقوى
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني
هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٠٠٧-٩٣٣٢٠٦ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com

لا إله إلا الله محمد رسول الله

بين يدي الكتاب

حمداً لِمَنْ صيَّرَ بسابقِ فضله التِّبْنَ تِبْراً ؛ فجعلَ بين القلبِ الأجرد وماءِ المعرفة نسباً وصهراً ، وصلاةً وسلاماً علىٰ يتيمِ حضرة الإيواء ، وصفيِّ مجلى الاهتداء ؛ سيِّدِنا ومولانا محمَّدٍ سيِّدِ الأوَّلين والآخرين ، وفخْرِ الأنبياء والمرسلين ، وعلىٰ آلِهِ الطيِّبين ، وصحابتِهِ نجومِ سماء المهتدين ، وتابعيهم بإيمانٍ إلىٰ يوم الدين .

وبعدُ :

فمثلُ الإمام السنوسي مَنْ يُحتشمُ ؛ فترى الناس عند ذكرِهِ تخفضُ من عليائِها ، وتستصغرُ أمامَهُ أقدارَها ، ولا يُعظِّمه إلا مَنْ رفعَ الله قدْرَهُ عنده ، وأثمرَتْ شجرةُ التقوىٰ في قلبه ؛ ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ ، وهو وأمثاله هم كعبةُ العرفان التي جعلها الله قياماً لقُصَّاد معرفته ، وهم حجَّةُ الله على العاتينَ من خلقه ، وهم أهلُ الذكر إن كنتم لا تعلمون .

ولا حياةَ كحياة المدمِنِ النظرَ في كُتبهم ، بل لا حياة كحياة المُكرَمِ بصحبتهم ومحبَّتهم ، فهم صبغةُ الله ومن أحسن من الله صبغة ؟! يصبغون قلوبَ جلسائهم بالإيمان ، ويهدونَهُم طريقَ الإحسان ، فما جالسَهم مجالسٌ وشَقِيَ ؛ فهم القوم لا يشقىٰ بهم جليس .

لقد كان للإمام السنوسي في القرن التاسع الهجري ريادةٌ بارزة في علم العقائد ؛ حتىٰ آلت رايتُها إليه ، فعكف الناس تحت لوائه ، واتَّخذوا من كُتبه مفزعاً يفزعون إليه ، **حتىٰ إنَّ الناظر ليرىٰ أن جلَّ الكتب المؤلفة من بعده عالةٌ في أكثر سطورها عليه** ، فمن أتقنها فقد أتقن هـٰذا الفن ، وما وراءَها من كتب الكلام فلن تعسرَ عليه مطالعتُها ، علىٰ أنَّ رشاقة العبارة وبُعدَ مرماها في معناها أحبُّ إلى الطالب من عبارة حجريَّة يمضغُها فلا تلين ، وبهـٰذا يظهر فضل السابقين على اللاحقين .

وهـٰذا السِّفْرُ الذي بين يديك قد جلَّ قدرُهُ عند العلماء ، حتىٰ طاف الشرقَ الإسلامي وغربه ، وحطَّ رحالَهُ في المساجد والمدارس ، ودارت به ألسنةُ العلماء والفقهاء وعامَّةِ المعمَّمين ، وتنوَّرت بكلماته مجالسُ الأُنس وزوايا الذكر ، وتركَ في كلِّ بيتٍ أثراً حميداً ، فلا أحلىٰ علىٰ قلب المؤمن من حديثٍ فيه ذكرُ الله وصفاته ، وحكيمِ أحكامه وأفعاله ، وذكرُ أنبيائه وصفاتِهم ، وكمالاتِ نعوتهم ، بما يُطَمْئِنُ الفؤاد ، يصحبُ ذلك نظرٌ سديد ، ومنطق حسنٌ رشيد .

فهو من الجوامع التي تلمُّ الشمل ؛ فليس كوحدة الاعتقاد وسلامته ما يؤلِّف بين القلوب ؛ **إذْ للقلوبِ نَفرةٌ عن المخالف لا تعادلُها نَفرةُ ظبْيٍ نافر ، ولصحبته قهرٌ لا يستطيعه ظالمٌ قاهر** ، ولله درُّ إبراهيمَ القصار حيث يقول : (أشدُّ البلاء صحبةُ من يخالفك في اعتقادك ، أو تحتاج إلىٰ أن ترائيَ له في صحبتك ، وأولى الناس بالصحبة من

يوافقُكَ في اعتقادك ، وتحتشمُهُ في مجالستك معه ، ذاك الذي يمنعُكَ عن أنواع المخالفات رؤيتُهُ وصحبته)[1] .

فإنْ كان ظُلماً أن تُحملَ الرؤوس علىٰ طريقةٍ ومذهب ، وتُدارَ عليها كؤوس الأحكام فلا يمكنُها أن تردَّ كأساً أو ترفعَ رأساً . . **فأظلمُ من ذلك أن تُتركَ البشريةُ سُدىً تختارُ ما شاءت دون رقيب شفيقٍ بدعوى الحريَّة** ، فتلهو عن الحقِّ وتهزأُ به وتحسبُ أنَّها علىٰ شيء ، وتختارُ لنفسها في أغلب أحوالها ما يختارُ الطفل من العبث بعيداً عن عينِ أمِّهِ وأبيه ، ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ، وليس عجباً أن يُحرِق نفسَهُ إن جذبَهُ بريقُ النار ، ولـٰكنَّ العجبَ أن يحرقَها بمرأىً ومسمعٍ من أوليائه !

وقديماً قال أُباة الضيم، وأهلُ الكرامة والفتوة والعزَّة[2] : (من البسيط)

لا يَصلُحُ الناسُ فوضىٰ لا سَراةَ لهم ... ولا سَـراةَ إذا جُهَّالهم سادوا
تُلفى الأمورُ بأهلِ الرشدِ ما صلحَتْ ... فـإنْ تـولَّـوا فبالأشـرارِ تنقـادُ

فأيُّ جريمةٍ تُرتكبُ حينما نتركُ الناس يختارون ما يهلكُهم وحكماءُ الأمَّةِ ينظرون هُلْكَهم ؟! وأيُّ دَجَلٍ تلوكُهُ ألسنةُ العاطلين عن الحكمة حين يَزعَقون بحريَّةِ اختيار الدين ؟!

وقديماً قال زيادٌ في يومٍ ظلَّلَتْهُ فيه سحابةُ حكمة : إني رأيتُ خِلالاً

---

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٠٣٩) .
(٢) البيتان للأفوه الأودي . انظر « ديوانه » (ص ٦٦) .

ثلاثاً نبذْتُ إليكم فيهنَّ النَّصيحة : رأيت إعظامَ ذوي الشَّرف ، وإجلالَ ذوي العلم ، وتوقيرَ ذوي الأسنان .

والله ؛ لا أُوتىٰ بوضيعٍ لم يعرفْ لشريف شرفَهُ إلا عاقبتُهُ له ، ولا يأتيني كهلٌ بحَدَثٍ لم يعرف له فضْلَ سِنِّهِ علىٰ حداثته إلا عاقبتُهُ له ، ولا يأتيني عالمٌ عاقل بجاهلٍ لم يعرف له فضْلَ علمه علىٰ جهله إلا عاقبتُهُ له ؛ **فإنَّما الناس بعلمائهم وأعلامهم وذوي أسنانهم !**[1] .

ولئنْ ظلمَ زيادٌ بأفعاله ، وعتا وتجبَّر بسلطانه . . فقد واللهِ أنصفَ بقالتِهِ هـٰذه وعدلَ، وربَّ حكمةٍ شَرود أبَتْ إلا أن تستطيرَ علىٰ ألسنةِ الجبَّارين !

ولعلَّ علم أصول الدين من أهمِّ العلوم التي تعينُ علىٰ حمْلِ الناس علىٰ مراشدهم ، **فإيقاظُ الصدقِ في القلوب نَبْعةٌ لكلِّ خير** ، ولا صدقَ أعظم من أن يكون المرء ظاهرُهُ كباطنه فلا نفاق ، وباطنُهُ سليماً فلا شقاق .

ورامَ اللهُ الخير لـ (**دار التقوىٰ**) وسدَّدَ خطاها ؛ حيث حمَّلَت نفسَها عبءَ إنعاش هـٰذه السلسلة العقدية السنوسية تَنشُدُ الرضا وهي تبعثُها إلىٰ رتبةِ الكمال ، وقد خدَّمَتْ لها فنونَ الطباعة الحديثة وملامح جمالها ؛ فأتَتْ ـ والكتابُ الذي بين يديكَ درَّتُها ـ علىٰ ما تقرُّ به أعين المحبِّين ، نسألُهُ سبحانه نعيم الإخلاص وبرْدَ اليقين .

* * *

---

(١) رواه العسكري في « المصون في الأدب » (ص ١٤٦) .

ترجمة الإمام السنوسي

شيخ متكلِّمي عصره ومصره ، الإمام العلامة المشارك ، المحدِّث المُقرِئ ، الفقيه الأصولي المحقق ، الصوفي التقي الورع ؛ **أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي التلمساني المالكي الأشعري التوحيدي** .

والسنوسي : نسبة إلىٰ سَنُوسة ؛ قبيلة من البرابرة في المغرب ، قال العلامة الزبيدي في « تاج العروس » : (وإليهم نسب الولي الصالح أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي ؛ لأنه نزل عندهم ، **وقيل** : بل هو منهم ، **وأمه شريفة حسنية**(١) ، كذا حققه سيدي محمد بن إبراهيم المَلَّالي في « **المواهب القدسية** »(٢) ، **ووجد بخطِّهِ علىٰ « شرح الآجرومية » له : « السنوسي العيسي الشريف القرشي القصَّار »** ، قلت : العيسي : من بيت عيسىٰ)(٣) .

والتوحيدي : نسبة للاشتغال بعلم التوحيد ، كذا ذكر الحفناويُّ

---

(١) لعله أراد جدَّته أم أبيه كما سترىٰ .

(٢) **المَلَّالي**: نسبة إلى مَلَّالة بوزان جَبَّانة؛ قرية قرب بجاية، و«**المواهب القدسية**»: كذا في المخطوط الذي بين أيدينا، وطبع باسم: «المواهب القدوسية»، والله أعلم.

(٣) تاج العروس (س ن س) ، وانظر « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » (ص٢٣٧) .

هـٰذه النسبة له في « تعريف الخلف »[1] .

مَولِدُه ونشأتُه

اختلف في سنة ولادة الإمام السنوسي ؛ **وسبب ذلك** يرجع لعدم نصِّهِ هو علىٰ ذلك ، واضطرابِ نقل تلميذه الملالي في ذلك أيضاً ، قال العلامة التُّنْبُكْتي في « نيل الابتهاج »[2] : (رأيت مقيَّداً عن بعض العلماء : أنه سأل الملاليَّ المذكور عن سنِّ الشيخ ، فقال له : مات عن ثلاث وستين سنة)[3] .

فعلىٰ هـٰذه الرواية : تكون السنة التي وُلد فيها الإمام السنوسي هي (٨٣٢هـ)[4] .

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف (١٧٦/١) ، ومن الألقاب التي صاغها المؤرخ ابن القاضي المكناسي في « درة الحجال » (١٤١/٢) أن قال : (أبو عبد الله ، الإمام **المعقولي** الفقيه المحدِّث الفرضي **الحيسوبي**) نسبة لعلوم المعقول وعلم الحساب .

(٢) وقد لخَّصَ في هـٰذا الكتاب سيرة الإمام السنوسي ، من كتاب « المواهب القدسية » لتلميذ الإمام السنوسي ؛ وهو الشيخ محمد بن عمر الملالي رحمه الله تعالىٰ . . أحسن تلخيص .

(٣) نيل الابتهاج (ص٥٧٠) .

(٤) وفي « نيل الابتهاج » (ص٥٧٠) أيضاً نقل قول الملالي : (وأخبرني قبل موته بنحو عام أنَّ سنَّهُ خمس وخمسون سنة) ، فتكون سنة ولادته علىٰ هـٰذا (٨٤٠هـ) ، والله أعلم ، ولهـٰذا اكتفى ابن مريم والتنبكتي بقولهما : (مولده بعد الثلاثين وثمان مئة) ، وانظر « البستان » (ص٢٤٤) ، وعندما ذكر العلامة أبو جعفر البلوي خبر وفاته في « ثبته » (ص ٤٣٨) قال : (وكانت سنُّهُ يومئذٍ ستاً وخمسين سنة) .

نشأ الإمام السنوسي في بيت فضل وعلم ؛ فوالده هو الشيخ الصالح الزاهد الخاشع الأستاذ المحقق يوسف أبو يعقوب[١] ، وعنه أخذ الإمام مبادئ العلوم ، وكان ذلك في تِلِمْسان حاضرة العلم يومها ، وطينة الأولياء والصالحين .

وجدة الإمام السنوسي لأبيه كانت حسنيَّةَ النسب ، ولذا قد يلقَّب الإمام السنوسي بالحسني من جهة والدة أبيه[٢] ، وقال الشيخ الملالي في صفة والد الإمام : (كان سيدي يوسف السنوسي رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه وعن شيخنا ابنه . . رجلاً صالحاً ورعاً ، خاشعاً لله تعالىٰ ، زاهداً [في] الدنيا معرضاً عنها ، مقبلاً علىٰ طاعة الله تعالىٰ ، سالم الصدر ، حسن الأخلاق ، ومبتسماً في وجه كل من لقاه ، حسن المعاشرة ، كريم الطبع)[٣] .

وكانت حرفة هـٰذا الوالد المبارك هي إقراء القرآن للأولاد في المكتب ، ويظهر من كلام الشيخ الملالي أنَّ عناية الله قد رافقته من طفولته ، فأجرى الله علىٰ يديه الكرامات وكشف عن بصيرته .

شيوخه

أخذ الإمام السنوسيُّ العلمَ عن جلَّة علماء عصره ، ونالته عناية ولحظات الأولياء والصالحين .

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ٧) ، وهو أوَّل ناعت له بهـٰذه الألقاب .
(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ٧) .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ٧) .

وكان للإمام السنوسي علوٌّ كعب في جمع القراءات ؛ فقد قال العلامة أبو جعفر البلوي : (**أخذ القراءات السبع** : عن الفقيه الأستاذ العالم العامل المحقق المقرئ **أبي الحجاج يوسف بن الشيخ الصالح أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني** تلاوةً عليه في ختمتين ، قال : وزدت من الثالثة قدراً صالحاً لم أتحقق الآن منتهاه جمعاً للسبعة بمضمن « التيسير » و« الشاطبية » وأجازه في المقارئ السبعة وفي غيرها من مروياته إجازة مطلقة عامة ، وحدثه بالسبع عن الإمامين العالمين المدرسين : الأستاذ الجليل الأعرف الأشهر المقرئ المحقق الأدرك الخاشع **أبي العباس أحمد بن أبي عمران موسى اليزناسني** ، والأستاذ الجليل المعظم الشهير المحقق الضابط المتقن النحوي اللغوي الحافظ الصالح الأزكى **أبي العباس أحمد بن الفقيه العالم المتفنن أبي عبد الله محمد بن عيسى اللَّجائي** ، قراءةً على الأول جمعاً في ختمةٍ للسبعة ، قال : وزدت ثلاثة أحزاب من سورة « البقرة » ، وعلى الثاني لـ « فاتحة الكتاب » و« البقرة » وأوائل « آل عمران » جمعاً للسبع ، وإجازة فيما قرأ وفيما بقي ، حدثاه معاً بذلك عن الأستاذين : أبي عبد الله القيسي ، وأبي الحجاج بن مبخوت بسندهما)(١) .

ومن جملة العلماء الذين قرأ عليهم : الشيخ العلامة نصر

---

(١) انظر « ثبت أبي جعفر البلوي الوادي آشي » (ص ٤٣٨) .

الزواوي ، والشيخ العالم محمد بن تومرت الصنهاجي[1] ، والشيخ الشريف أبو الحجاج يوسف بن أبي العباس أحمد بن محمد الشريف الحسني ، أخذ عنه القراءات السبع ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب ، أخذ عنه الفقه ، والعالم المعدل أبو عبد الله الحباك ، أخذ عنه علم الأسطرلاب ، والإمام محمد بن العباس التلمساني ، قرأ عليه الأصول والمنطق والبيان والفقه ، والحافظ أبو الحسن علي بن محمد التالوتي الأنصاري أخوه لأمه ، قرأ عليه « الرسالة » ، وقرأ هو وأخوه هٰذا على الإمام الورع الصالح أبي القاسم الكنابشي « الإرشاد » لإمام الحرمين الجويني وعلمَ التوحيد .

واشتغل بالرواية وعلوم الأثر : على الإمام الورع الصالح أبي زيد عبد الرحمٰن الثعالبي ، فروىٰ عنه « الصحيحين » وغيرهما من كتب الحديث والأثر ، وأجازه بما يجوز له وعنه ، وأسمعه المسلسلات وغيرها .

وقرأ الفرائض والحساب : على العلامة الجليل أبي الحسن القلصادي الأندلسي ، وأجازه بجميع ما يروي ، كما أجازه أيضاً ابن مرزوق الكفيف عن والده ابن مرزوق الحفيد[2] .

---

(١) ويقال : (توزت) بدل (تومرت) وهو غير ابن تومرت مهدي الموحدين كما لا يخفىٰ .

(٢) ذكر ذلك العلامة محمد مخلوف في « شجرة النور الزكية » (١/ ٣٨٧) . =

قال العلامة البلوي : (وأخذ من شيوخ بلده عن جماعة من أشياخنا وغيرهم ، **ومن أكابرهم** : وليُّ الله سبحانه الإمامُ العالم الصالح أبو علي الأحسن المعروف بـ « **أبركان** » ، والإمام **أبو عبد الله بن العباس** ولم يكثر عنه وغيرهم ، وأخذ أيضاً عن شيخنا **أبي عبد الله بن مرزوق** ، وشيخنا أبي الحسن القلصادي ، والفقيه الفروعي **أبي عبد الله الجلاب** ، والفقيه الجليل **أبي الفرج الغرابلي** صاحب « نظم المختصر » ، أظنه أخذ عنه ، وأخذ علم الحساب والفرائض عن الفقيه المبرز فيهما **أبي عبد الله بن تومرت** ، وأخذ أيضاً عن أخيه المتقدم ذكره ، وعن هـٰؤلاء ممن ضمنه تلميذه صاحبنا الفقيه الأجل المحصل المبارك أبو عبد الله محمد بن عمر الملالي في كتاب التعريف به) .

تصوفه وتربيته الأخلاقية

هناك شخصيات عرفانية كبيرة تأثَّر بها الإمام السنوسي ، لـٰكن الذي يظهر أنَّ الشيخ الولي العارف الصالح **إبراهيم بن محمد بن علي التازي** نزيل وهران . . كان صاحب الأثر الأكبر في الإمام السنوسي من هـٰذا

= وذكر العلامة الكتاني في « فهرس الفهارس » (٢/ ٩٩٩) أن الإمام السنوسي كان يروي بالإجازة العامة عن أبي زيد عبد الرحمـٰن الثعالبي وأبي الحسن القلصادي وعن غيرهما ، قال : (وله ثبت صغير ذكر فيه إسناد حديث الأولية وحديث الضيافة على الأسودين والمصافحة والمشابكة ولبس الخرقة ومناولة السبحة وتلقين الذكر من طريق شيخه أبي إسحاق إبراهيم التازي) .

الجانب ؛ فإلىٰ إمامته في علوم القرآن وعلم اللسان ، وحفظ الأحاديث ، وسعة علمه بالفقه وأصوله ، وحِدَّةِ نظره وفهمه . . كان ممتَّعاً بآداب الأولياء والكُمَّل ، نقل العلامة التنبكتي في « نيل الابتهاج » عن ابن صعد صاحب « النجم الثاقب » : (**وحسبك من جلالته وسعادته** : أنَّ المثل ضرب بعقله وحلمه ، واشتهر في الآفاق ذكر فضله وعلمه حتى الآن ؛ إذا بالغ أحد في وصف رجل قال : كأنه سيدي إبراهيم التازي ، وإذا امتلأ أحدهم غيظاً قال : لو كنتُ في منزلة سيدي إبراهيم التازي ما صبرتُ لهـٰذا ؛ لما كان يتحمله من إذاية الخلق ، والصبر على المكاره ، واصطناع المعروف للناس ، والمداراة ، فهو أحد من أظهره الله لهداية خلقه ، وأقامه داعياً لبسط كراماته ، مجللاً برداء المحبة والمهابة ، مع ما له من القبول في قلوب الخاصة والعامة ؛ فدعاهم إلى الله ببصيرة ، وأرشدهم لعبوديته بعقائد التوحيد ووظائف الأذكار)[1] .

وكان من نعيم الإمام السنوسي : صحبتُهُ لهـٰذا العارف الجليل ، وانتسابُهُ له ، وقد شاركه في هـٰذا أعلامٌ ؛ كأخيه لأمه الشيخ علي التالوتي ، والحافظ التنسي ، والإمام أحمد زروق .

قال العلامة المؤرخ ابن مريم المليتي في « البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان » : (أخذ عن الإمام العلامة الولي الزاهد الناصح

---

(١) انظر « نيل الابتهاج » (ص٦٠) ، وذكر أنه توفي سنة (٨٦٦هـ) ، وإليه تنسب الطريقة التازية .

إبراهيم التازي نزيل وهران ؛ ألبسه الخرقة ، وحدَّثه بها عن شيوخه ، وبصق في فيه ، وروىٰ عنه أشياء كثيرة)[١] .

والعارف التازي قد لبس الخرقة علىٰ طريقة السادة الصوفية من شرف الدين الداعي ، ولبسها من الشيخ صالح بن محمد الزواوي بسنده إلىٰ أبي مدين العارف الشهير والقطب الكبير[٢] .

ومن النفوس الشريفة التي اتصلت أنفاس إمامنا السنوسي بها . . الإمام الفقيه والقطب الكبير **الحسن بن مخلوف بن مسعود المزيلي الراشدي** ، **شهر بأبركان** ، ومعناه بلسان البربرية : الأسود ، فلازمه كثيراً وانتفع به ، وكان يقول : (رأيت المشايخ والأولياء ، **فما رأيت مثل سيدي الحسن أبركان**)[٣] ، وكان إذا دخل عليه الإمام السنوسي تبسم له ، وفاتحه بالكلام ، وقال له : (**جعلك الله من الأئمة المتقين**) ، قال العلامة ابن مريم : (فحقَّق الله فراسته ودعوته فيه)[٤] .

وفي صغره كان إذا مرَّ مع الصبيان على الإمام ابن مرزوق الحفيد . . وضع يديه علىٰ رأسه وقال : نقرة خالصة ![٥] .

---

(١) البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان (ص٢٣٨) .
(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٦١) .
(٣) انظر « نيل الابتهاج » (ص١٦١) .
(٤) انظر « البستان » (ص٢٣٨) ، و« نيل الابتهاج » (ص٥٧٢) ، و« تعريف الخلف » (١/١٨٦) .
(٥) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٧١) .

ويظهر أنَّ محبة الصوفية قد تَبَلَتْ فؤادَهُ ، فسعىٰ سعياً حثيثاً للريادة في طريقهم ، **وهي ليست بطريقِ قالٍ** ، **بل جدٌّ ومثابرة وفعال** ، ولذا تجد الشكاية بطيٍّ بساطها ، حتىٰ قال الإمام السنوسي نفسه : (من الغرائب في زماننا هـٰذا أن يوجد عالم جُمع له علمُ الظاهر والباطن علىٰ أكمل وجه ؛ بحيث يُنتفع به في العلمين ، فوجود مثله في غاية الندور ، **فمن وجده فقد وجد كنزاً عظيماً دنيا وأخرىٰ** ، **فليشدَّ عليه يده** ؛ لئلا يضيع عن قرب فلا يجد مثله شرقاً وغرباً أبداً) .

عقَّب علىٰ هـٰذه الكلمة الشيخ الملالي تلميذ الإمام : (وكأنه أشار به لنفسه ، فلم يلبث بعده حتىٰ خطف ، **فكأنه كاشفنا بذلك** ، ولا شك أنه لا يوجد مثله أبداً)[١] .

وقال العلامة الشفشاوَني : (وأشياخه وأشياخ ابن زكري واحدٌ ، ومن أشياخهما العالم الرحَّال الأَيُلِّيُّ ، بسكون اللام وفتح الهمزة وضم الياء وكسر اللام ، وهو أول من أدخل علم الكلام إلى المغرب في الأزمنة المتأخرة ، والشيخ ابن مرزوق شارح « البردة » ، والشيخ أبو عبد الله بن العباس شارح « لامية ابن مالك » ، والشيخ أبو العباس أحمد بن زاغ ، والشيخ أبو عبد الله أقرقار ، والشيخ أبو عثمان قاسم العقباني ، والشيخ أبو عبد الله بن الجلاب ، أفادني بذلك شيخنا أبو عبد الله محمد شقرون بن هبة الله)[٢] .

---

(١) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٥ ـ ٥٦٦) .
(٢) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢٢) .

تلامذته

قال العلامة التنبكتي : (أخذ عنه أعلامٌ ؛ **كابن صعد ، وأبي القاسم الزواوي ، وابن أبي مدين ، والشيخ يحيى بن محمد ، وابن الحاج البيدري ، وابن العباس الصغير ، وولي الله محمد القلعي ريحانة زمانه ، وإبراهيم الوجديجي ، وابن ملوكة** ، وغيرهم من الفضلاء)[1] .

ولم يعقد الشيخ الملالي باباً للحديث عن الآخذين عن الإمام السنوسي ، وهو واحد من أعيان تلامذته ، والمؤرخ لسيرته ، ومجمع أخباره وأحواله .

وكان ممَّن تتلمذ للإمام السنوسي وهو من جملة أقرانه ، وأعيان أهل زمانه . . الإمام الشيخ العارف بالله تعالىٰ **أحمد بن أحمد البرنسي الفاسي** المعروف بـ (**زروق**) ، والمتوفىٰ سنة (٨٩٩هـ) علىٰ جلالة شأنه وعلوِّ قدره ، وقد شاركه في كثير من شيوخه ، وقد نصَّ على التلمذة للإمام السنوسي بنفسه كما نقل ذلك المؤرخ العلامة التنبكتي[2] .

ومن جملة الأعلام الذين اجتمعوا به ، وحضروا عموم مجالسه دون

---

(١) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٧٢) .

(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص١٣١) ، وقد ماز الإمام زروق عن الإمام السنوسي من حيث الشيوخ بأخذه وروايته عن المصريين ؛ كالحافظ الدميري والحافظ السخاوي ، ولم تكن للإمام السنوسي فيما يظهر رحلة مشرقية .

القراءة عليه مباشرةً : **أبو جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي ، المتوفىٰ سنة (٩٣٨هـ)** ، وقد أرَّخَ له ولسيرته العطرة في « ثبته » المشهور ، ومن جملة ما قاله : (لقيته رضي الله تعالىٰ عنه ، وحضرت مجلسه الغاصَّ بالمستفيدين من طلبة العلم والعامة بمسجده قربَ داره بدرب مسوفة من داخل تلمسان أمَّنَها الله تعالىٰ ، وحضرت « الفاتحة » وأوائل سورة « البقرة » تقرأ عليه بالسبع ، وكتباً غير ذلك ؛ منها « البخاري » ، كان يُقرأ عليه في بعض مجالسَ حضرتها ، ويتكلَّم علىٰ أحاديثه بالكلام الذي يدلُّ علىٰ مقامه في العلم والعبادة ، وغيرُهُ من كُتُب المجلس .

وحضرنا ـ يومَ سلمنا عليه إثرَ ما صلينا العصر خلفه ـ « عقيدته الصغرىٰ » تقرأ بين يديه ، يقرؤها طلبته وجمعٌ من العوام الملازمين لمجلسه عن ظهر قلب سرداً علىٰ صوتٍ واحد إثرَ سلامِهِ من صلاة عصر يوم الجمعة عادة مستمرة ، وهو قاعد بمحرابه ، مقبل على الذكر)[1] .

وقال : (ولم تقدَّرْ لي القراءة عليه مع رغبتي في ذلك وحرصي عليه ؛ لاستغراق طلبته أوقات قعوده ، حتىٰ إنهم كانوا يقرؤون عليه والرملية في يد أحدهم إذا فرغت قطع ، وكنت أؤمل القراءة وأترصد لها وقتاً ، فعاجلته ـ قدَّسَهُ الله تعالى ـ المَنِيَّةُ ، ولم أنلْ من ذلك الأُمْنِيَّة)[2] .

---

(١) انظر « ثبت أبي جعفر البلوي » (ص ٤٣٦) .
(٢) انظر « ثبت أبي جعفر البلوي » (ص ٤٣٧) .

مؤلّفاته ومخلّفه العلميّ

تنوَّعت تآليف الإمام السنوسي في المكتبة الإسلامية ، وهو واحد ممَّن أكثر من التأليف ، ورغم هـٰذا التنوع كانت تآليفه العقدية تاج مخلَّفه العلمي ، وقد عقد تلميذه الشيخ الملالي باباً خاصاً للحديث عنها ، وسترىٰ بين يديك كلَّ التآليف التي ذكرها ؛ وهي[(١)] :

ـ « **المقرب المستوفي في شرح فرائض الحوفي** » : وهو أول مؤلفاته ، وكان عمره حين كتبه تسع عشرة أو ثماني عشرة سنة على اضطراب في ذلك ، وسيأتي خبره مع الشيخ العارف بالله الحسن أبركان وأمره له بإخفائه حتىٰ يبلغ سنَّ الأربعين[(٢)] .

ـ « **عقيدة أهل التوحيد** » أو « **العقيدة الكبرىٰ** »[(٣)] : وهي أول ما صنف في علم التوحيد ، وعبارتها متينة مستصعبة كما نصَّ في « شرح العقيدة الوسطىٰ »[(٤)] .

ـ « **عمدة أهل التوفيق والتسديد** » أو « **شرح العقيدة الكبرىٰ** » :

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٢) .

(٢) انظر (ص ٤٥) .

(٣) كذا كان يسميها الإمام السنوسي نفسه ، أمَّا الزيادة في عنوانها الأصلي : (المخرجة من ظلمات الجهل وربقة التقليد . . .) إلىٰ آخره ، فهي وصف لها ، وليست جزءاً من اسمها كما يرىٰ ذلك كل من العكاري والحامدي ، مع إثبات الملالي له .

(٤) انظر « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ١٢٣) .

وهـٰذا الشرح يعدُّ من أوسع الكتب العقدية التي أَلَّفها الإمام .

ـ « **العقيدة الوسطىٰ** » : وهي أخصر من « الكبرىٰ » وفوق « الصغرىٰ » .

ـ « **شرح العقيدة الوسطىٰ** » : وهو من عيون ما أُلِّف في علم التوحيد .

ـ « **العقيدة الصغرىٰ** » المعروفة بـ « **أم البراهين** » و« **ذات البراهين** » و« **السنوسية الصغرىٰ** » : وهي درَّةُ « عقائده » ، والمقصودة بقولهم : « **عقيدة السنوسي** » عند الإطلاق ، وكُتب لها من الذيوع ما لم يكتب لغيرها ، وأقبل عليها العلماء شرحاً ، والطلاب حفظاً ودرساً ، قال العلامة الملالي : (وهي من أجلِّ العقائد ، ولا تعادلها عقيدة من عقائد من تقدم ولا من تأخَّر ، وقد أشار الشيخ رضي الله عنه إلىٰ ذلك في صدر شرحه لها)[١] .

ـ « **شرح العقيدة الصغرىٰ** » ، ويعرف أيضاً بـ « **توحيد أهل العرفان ومعرفة الله ورسله بالدليل والبرهان** » ، وبـ « **شرح أم البراهين** » وهو أيضاً قد كتب له الذيوع والانتشار في الآفاق ، وكم من حاشية وضعت عليه .

ـ « **صغرى الصغرىٰ** »[٢] : وصفها الشيخ الملالي بقوله :

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) .

(٢) وقد تُسمَّىٰ أحياناً : « العقيدة الوجيزة » ، وبذا تسمَّىٰ أيضاً : « صغرىٰ صغرى الصغرىٰ » كما سترىٰ .

(عقيدته المختصرة في غاية الاختصار ، وهي أصغر من « العقيدة الصغرى » المتقدم ذكرها الآن ، ولهٰذا يقال لها : « صغرى الصغرىٰ » ، وقد كان وضعها لوالدي حفظه الله تعالىٰ من كل آفة وبلية ، وأناله الدرجة العلية ، وذلك أنَّ والدي لمَّا قرأ على الشيخ رضي الله عنه « عقيدته الصغرىٰ » وختمها عليه بالتفسير غير مرة . . رأىٰ أنه قد ثقل عليه درسها وحفظها لكبره وكثرة همومه ، فطلب من الشيخ رضي الله عنه أن يجعل له عقيدة أصغر من « الصغرىٰ » ، بحيث يمكنه درسها وحفظها ، فعمل له هٰذه العقيدة ، وكتبها له بخطِّهِ ، وقد نبَّه رضي الله عنه فيها علىٰ نكت فائقة ودرر رائقة ، لم يذكرها في « العقائد » السابقة)[1] .

ـ « **شرح صغرى الصغرىٰ** » : وهو شرح نفيس ، لا يستغني عنه طالب مستبحر ، قال الشيخ العلامة الملالي : (وفيه فوائد عجيبة ، ونكت غريبة)[2] .

ـ « **المقدمات** » ويعرف أيضاً بـ « **المقدمة** » : قال الشيخ الملالي : (ومنها « المقدمة » التي وضعها مبينة لـ « عقيدته الصغرىٰ » ، وهي قريبة منها في الجرم)[3] ، وهي ثماني مقدمات .

ـ « **شرح المقدمات** » : وقراءة هٰذا الشرح تُعدُّ خير معين لطلاب

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) .
(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) .

الأصول وعلم الكلام ، خصوصاً في مرحلة التمهيد .

ـ **عقيدة كتب بها لبعض الصالحين** : قال الشيخ الملالي : (وفي هٰذه العقيدة دلائل قطعية ترد علىٰ من زعم وأثبت التأثير للأسباب العادية)[١] .

ـ « **شرح أسماء الله الحسنىٰ** » : قال الشيخ الملالي : (فبعدما يذكر تفسير كل اسم من أسمائه تعالىٰ . . يقول بإثره : في حظ العبد من الاسم كذا وكذا)[٢] ، ولا يخفىٰ تأثره بحجة الإسلام الغزالي بذلك .

ـ **شرحه للتسبيح الذي حضَّ عليه الشرع دبر كل صلاة** : ذكره العلامة الملالي ، وقال : (وهو : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر)[٣] .

ـ « **شرح واسطة السلوك** » : و« واسطة السلوك » منظومة رجزية للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمٰن الحوضي ، وهو مَنْ طلب من الإمام السنوسي شرحها .

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) .
(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) ، وقال العلامة البلوي في اسم هٰذا المؤلَّف : (« كلامٌ على المعقبات المشروعة دبر الصلوات » جزءٌ) .

ـ « **المنهج السديد في شرح كفاية المريد** » ، ويعرف أيضاً بـ « **شرح الجزائرية** » : وهو شرح لمنظومة الإمام الفقيه أبي العباس أحمد بن عبد الله الجزائري ، وقد نعت الإمام السنوسي هٰذا النظم في طالعة كتابه بقوله : (هو منظوم مشتمل علىٰ طريقي هداية الخواص والعوام) ، وهي قصيدة لامية من البحر البسيط ، وعرفت أيضاً بـ « الجزائرية في العقائد الإيمانية » ، والعلامة الناظم هو من طلب من الإمام السنوسي شرحها ، وقال العلامة البلوي : (وهي قصيدة نفيسة بعث بها إليه من الجزائر ليشرحها ، فوضع عليها هٰذا الشرح الجليل ، وهو كبير محشو بالفوائد في علوم شتىٰ)[1] .

ـ « **مكمِّل إكمال الإكمال** » للإمام الأُبِّيِّ : وهو في شرح « صحيح الإمام مسلم » ، قال الشيخ الملالي : (زاد فيه نكتاً غريبة ودرراً عجيبة ، وهو في سفرين كبيرين)[2] .

ـ « **شرح صحيح الإمام البخاري** » : قال الشيخ الملالي : (ولم يكمله) ، وذكر أنه وصل إلىٰ (باب من استبرأ لدينه)[3] .

ـ « **شرح مشكلات صحيح البخاري** » : وقعت هٰذه الأحاديث

---

(١) انظر « ثبت أبي جعفر البلوي » (ص ٤٤١) .
(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٤) ، و« الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف » للأستاذ الدكتور عبد العزيز دخان .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٦) .

المتشابهة في آخره ، وهي مشكلة عند ضيِّق الفهم ضعيف البيان .

- « **مختصر شرح الزركشي علىٰ صحيح البخاري** » : قال الشيخ الملالي : (وقد رأيته بخطه)[1] .

- « **مختصر حاشية التفتازاني على الكشاف** » : ولعله مختصر لطيف ؛ إذ إن « حاشية السعد على الكشاف » لم تكتمل .

- « **شرح الياسمينية** » : قال الشيخ الملالي : (ومنها شرحه الذي وضعه علىٰ « مقدمة الجبر » لأبي محمد عبد الله بن حجاج شهر بـ « ابن الياسمين » ، وقد وضع هـٰذا الشرح في زمن صغره ، ورأيته بخطه)[2] .

- « **شرح جمل الخونجي** » في المنطق : لعله لم يكمله ، قال الملالي : (رأيت منه كراريس)[3] .

- « **شرح إيساغوجي** » في المنطق : قال الشيخ الملالي : (وهو لأبي الحسن إبراهيم بن عمر بن الحسن الرُّبَاط ابن علي بن أبي [بكر] البقاعي الشافعي ، وهو شرح كبير الجرم ، كثير العلم)[4] .

- « **شرح مختصر الإمام ابن عرفة الورغمي** » في المنطق : وقد حلَّ فيه ما صَعُب من عبارة الإمام ابن عرفة ، قال الشيخ الملالي :

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٦) .
(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٦) .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٦) .
(٤) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٦) .

(وأخبرني الشيخ رضي الله عنه قال لي : كلام ابن عرفة صعب جدّاً ، وخصوصاً في هٰذا « المختصر »)[1] ، وكان يستعين علىٰ حلِّ عباراته بالخلوة ، ولم يكمله .

ـ « **المختصر في المنطق** » : وقد زاد فيه زيادات علىٰ « جمل الخونجي » .

ـ « **شرح المختصر في المنطق** » : شرح فيه كتابه السابق ذكره ، وهو ممَّا يُكتفىٰ به في هٰذا الفنِّ ؛ ففيه جلُّ ما يحتاجه المتكلِّم .

ـ « **عمدة ذوي الألباب ونزهة الحساب في شرح بغية الطلاب في علم الأسطرلاب** » : و« بغية الطلاب » لشيخه الإمام أبي عبد الله الحباك .

ـ « **شرح أرجوزة ابن سينا** » : قال الشيخ الملالي : (لم يكمله)[2] .

ـ « **مختصر في القراءات السبع** » : لم يعرِّف به الشيخ الملالي .

ـ « **شرح الشاطبية الكبرىٰ** » : قال الشيخ الملالي : (وقد رأيته بخطه غير مكمَّل)[3] .

ـ « **شرح المدونة** » في الفقه المالكي : قال الشيخ الملالي :

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .
(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .

(شرح منها جملة كافية ، وقد رأيته بخطه ، ولا أدري هل كمَّله أم لا) .

- « **شرح الوغليسية** » في الفقه المالكي : قال الشيخ الملالي : (شرح منها شيئاً يسيراً ، ولم يكمله)[1] .

- **نظم في الفرائض** : قال الشيخ الملالي : (وصدره : [من الرجز]

الحمدُ للمميتِ ثم الباعثِ   الوارثِ الأرضَ وغيرِ وارثِ

وقد رأيته بخطه رضي الله عنه ، وعمل هٰذا النظم في حال صغره ، ولا أدري هل كمله أم لا)[2] .

- « **مختصر رعاية المحاسبي** » : في الأخلاق والتصوف .

- « **مختصر الروض الأنف** » في السيرة النبوية الشريفة : وأصله للسهيلي ، قال الشيخ الملالي : (ولم يكمله ، والله أعلم) .

- « **مختصر بغية السالك في أشرف المسالك** » في التصوف : وأصله للساحلي المعروف بالمعمم .

- **شرح أبيات في التصوف منسوبة للإمام الإلبيري** : ومطلعها :

(من مخلع البسيط)

رأيتُ ربي بعينِ قلبي   فقلتُ لا شكَّ أنتَ أنتَ

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .

(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .

شرحها على طريقة أهل الحقائق .

- **شرح لثلاثة أبيات لبعض العارفين في التصوف** : ومطلعها :

(من الطويل)

تطَهَّرْ بماءِ الغيبِ إنْ كنتَ ذا سرٍّ وإلا تيمَّمْ بالصعيدِ أوِ الصخرِ

- **شرح لبيتين لبعض العارفين في التصوف** : ومطلعهما : (من الخفيف)

طلعَتْ شمسُ مَنْ أحبُّ بليلٍ فاستضاءَتْ وما لها من غروبِ[1]

- « **شرح العقيدة المرشدة** » : قال الشيخ الملالي : (رأيته مُكمَّلاً بخطه)[2] .

- « **الدرُّ المنظوم في شرح قواعد ابن آجرُّوم** » : وهو شرح لـ « الآجرومية » في علم النحو ، قال الشيخ الملالي : (رأيته بخطه مُكمَّلاً)[3] .

- « **شرح جواهر العلوم** » في علم الكلام : والأصل للعلامة العضد الإيجي ، وهو على منهج الإمام البيضاوي في « طوالع الأنوار » ، بل بلغت صعوبته حتى قال الشيخ الإمام السنوسي : (البيضاوي نقطة في بحر هـٰذا الكتاب)[4] .

---

(١) كذا في « المواهب القدسية » (ق ١٥١) ، وقد أورد البيت (ق ١٠٧) مغلوطاً فيه ، فليتنبه .

(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .

(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) .

(٤) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٧) ، والمعنى : كتاب البيضاوي نقطة في =

ـ « **تفسير القرآن العزيز** » : وصل فيه إلىٰ قوله تعالىٰ من سورة (البقرة) : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [البقرة : ٥] .

ـ « **تفسير سورة (صٓ)** » وما بعدها إلىٰ آخر القرآن الكريم : قال الشيخ الملالي : (ولا أدري إلىٰ ما انتهىٰ إليه من السور)[١] .

قال الشيخ العلامة الملاليُّ المؤرخ لسيرة الإمام السنوسيٍّ بعدما أورد جميع هٰذه التصانيف : (فهٰذا ما علمنا من تآليفه رضي الله عنه ، وزد مع ذلك : ما كتبه من **الأجوبة على المسائل** التي ترد عليه في جلِّ الأوقات ، وبعض الأجوبة يحسن أن تعدها من تآليفه رضي الله عنه ؛ لكبرها واستقلالها بنفسها ، وما كتب من **المواعظ والوصايا والرسائل والحُجُب** التي يطلب فيها ، **وما نسخ بيده من تصانيف العلماء ودواوين القدماء**)[٢] .

وثَمَّ كتبٌ فيها تأمُّل عند نسبتها إليه ، فليقع الكلام عليها :

ـ « **حقائق السنوسي** » ، ويعرف أيضاً بـ « **الحقائق في التعريفات** »[٣] : ما تراه من الحدود والتعريفات في هٰذه الرسالة جلُّهُ للإمام السنوسي ، **ولٰكنه ليس هو المؤلف لهٰذه الرسالة** ، وإنما هي

= بحر هٰذا الكتاب ، وهو مؤلَّف علىٰ طريقة الحكماء .

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٨) .

(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٨) .

(٣) ذكره البغدادي في « هدية العارفين » (٢/ ٢١٦) .

لشيخه الإمام الحافظ عبد الرحمـٰن الثعالبي الهواري ، وقد جمع مادة رسالته هـٰذه من « شرح العقيدة الصغرىٰ » لتلميذه الإمام السنوسي ، هـٰذا الشرح الذي اعتنىٰ فيه الإمام ببيان كلِّ مصطلح دائر في علم الكلام ، ويظهر أنَّ جمعها قد راقَ لشيخه الإمام الثعالبي ، ولـٰكن لمَّا كانت هـٰذه المادة للإمام السنوسي وهَم بعضهم فنسبها إليه ، هـٰذا ما يظهر والعلم عند الله تعالىٰ .

والناظر في النسخ المنتشرة لهـٰذه « الحقائق » سيرى اختلافاً كثيراً من حيث الزيادة والنقصان ، ولعله قد وقعت محاولات مقارنة مع كتب الإمام السنوسي ألجأت إلىٰ زيادة بعض التعريفات ، وأيّاً ما كان الأمر فالكتاب نافع ومفيد .

ـ « **توحيد أهل العرفان ، ومعرفة الله ورسله بالدليل والبرهان** » : ذكره البغدادي في « هدية العارفين » ، ولـٰكن نبَّهَ أنه ليس تأليفاً مستقلاً ، بل هو « شرح أم البراهين »[1] ، وقد سبق ذكره في تآليف الإمام السنوسي[2] ، وإنما أعيد ذكره هنا لتوهم بعضهم أنه تأليف مستقل .

ـ « **العقد الفريد في حل مشكلات التوحيد** » : قال البغدادي في « هدية العارفين » : (وهو شرح « لامية الجزائري » في الكلام)[3] ،

(١) انظر « هدية العارفين » (٢/ ٢١٦) .
(٢) تقدم (ص ٢٣) .
(٣) انظر « هدية العارفين » (٢/ ٢١٦) .

وقد سبق لك أن علمت أنَّ « شرح الجزائرية » هو : « المنهج السَّديد في شرح كفاية المريد » ، والعجيب من المؤرخ البغدادي أنه ذكره بهٰذا العنوان الصحيح وذكر أنه شرح لـ « الجزائرية » !

ـ « **نصرة الفقير في الردِّ علىٰ أبي الحسن الصغير** » : ذكره البغدادي أيضاً في « هدية العارفين »[1] ، ويظهر أنه رسالة من الرسائل المطولة التي ذكرها الشيخ الملالي ، ولهٰذه الرسالة نسخ خطية مفردة[2] ، وبعيدٌ أن تكون تأليفاً مستقلاً برأسه ، بل كأنها فُتيا استفتي بها الشيخ السنوسي في حق أبي الحسن الصغير ، وكان منكراً للرمز والإشارة علىٰ طريقة السادة الصوفية ، ومتبعاً للظاهر ، فأفتى الشيخ السنوسي بإحراق كتبه ، وتحريم النظر فيها ، أما الاستدلال بالنفي لنفي نسبة هٰذه الرسالة أو الفتوىٰ للسنوسي . . فهو مسلك نازل ، لا يُعوَّل عليه عند المحققين .

ـ « **العقيدة السادسة** » : ذكرها العلامة الحفناوي الديسي في « تعريف الخلف برجال السلف » في ترجمة (محمد بن أحمد البوني) حيث قال : (ونظمَ « **عقيدة السنوسي السادسة** » ، وهي عقيدة مجهولة عند الكثير من الناس ، وشرحها صاحبه العلامة سيدي

---

(١) انظر « هدية العارفين » (٢/ ٢١٦) .
(٢) منها في المكتبة الوطنية في الجزائر (١٤٦) (٣) ، والمكتبة الوطنية في تونس (١٥٠٢) .

عبد الرحمٰن الجامعي ، قيل : **إنَّ الشيخ وضعها للنسوان والصبيان**)[1] .

وترتبط بهٰذه « العقيدة » **أعلامٌ أخرىٰ أطلقت عليها** ، يجدر إيرادها قبل الحديث عنها ؛ وهي :

- « **صغرىٰ صغرى الصغرىٰ** » .
- « **العقيدة الحفيدة** » .
- « **عقيدة النساء** » .
- « **عقيدة النسوان والصبيان** » .
- « **العقيدة الوجيزة** » .

وهٰذه العناوين كلُّها لعقيدة لطيفة جدّاً ، لا تتجاوز الصفحتين ، سهلة العبارة ، واضحة الدلائل ، قريبة ـ كما وصفت ـ من جميع الأذهان علىٰ تفاوت فهومها ، **ولٰكن لا مستندَ يقطع بنسبة هٰذه العقيدة المباركة المتَّفق علىٰ ما فيها إلى الإمام السنوسي** ، بل النصُّ المنقول إليك عن العلامة الحفناوي هو الذي دار عليه المتأخِّرون في إثباتها .

نعم ؛ تعدُّد شروحها ، واتفاق عباراتها ، وتقدُّم هٰذه الشروح تاريخياً ؛ إذ يعودُ كثيرٌ منها إلىٰ مطلع القرن الحادي عشر الهجري إلىٰ منتصفه . . **قد يجعلنا نثقُ بنسبتها إلى الإمام السنوسي** ، علىٰ أن الإمام السُّكتاني ـ وهو واحد من شرَّاحها ـ اكتفىٰ بقوله : (وكان من جملة **ما**

---

(١) تعريف الخلف برجال السلف (٢/٥١٦) .

نُسبَ إليه ـ يعني : الإمام السنوسي ـ العقيدةُ المسماة بـ « الحفيدة »)[1] .

وهـٰذه من الإمام السُّكتاني كلمةُ إنصاف وتحقيق ، ولو كان بين يديه حينها ما يؤكِّد نسبتها إلى الإمام السنوسي . . **لجزم وقطع بذلك** ، لـٰكنه اكتفىٰ بهـٰذه العبارة المشكِّكة ، ولم يعبأ بهـٰذا التشكيك مع حسن عبارة هـٰذه العقيدة ووجازتها وقرب مأخذها .

ـ « **شرح الموجهات** » في المنطق : ولعله جزء من أحد كتبه المنطقية ؛ إذ الموجهات من أبحاثه .

ـ « **رسالة في الطب** » أو « **شرح حديث : المعدةُ بيت الداء** » : وهو كتابه في « شرح أرجوزة ابن سينا » في الطب .

وقد تقف علىٰ بعض العناوين الأخرىٰ منسوبة إلى الإمام السنوسي وهي مما يُقطع بعدم نسبتها إليه ، فلا داعي للتعرُّض لها .

وقد وصف الشفشاوَني **تآليف الإمام السنوسي** بكلمة جامعة فقال : (ناهيك بتنوير كلامه ، وإتقان عبارته ، حتىٰ لا يجدُ المتعسف مدخلاً للتعقب بوجهٍ ولا بحال ، واتفاقِ فحول الأولياء وأكابر العلماء علىٰ فضله وتلقِّي تآليفه بالقبول)[2] .

ونقل عن الإمام أبي عبد الله الهبطي قوله : (كلامُ السنوسي محفوظٌ من السقطات)[3] .

---

(١) انظر « التحفة المفيدة » (ص ٤٠) .
(٢) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢١) .
(٣) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢٢) .

قبس من عظيم أخلاقه

جمع الله تعالىٰ للإمام السنوسي إلىٰ عظيمِ علمه وبحبوحةِ معرفتِهِ.. سعةَ الأخلاق الحميدة ، فجابَ شُعب الإيمان وطنَّبَ فيها خيامه ، فعُهِدَ عنه أنه خيِّرٌ برٌّ ، تقي ورع زاهد ، حليم صبور ، سكَنتِ الرحمة فؤاده ، وغلبت عليه الشفقة علىٰ جميع خلق الله تعالىٰ ، هيِّنٌ لينُ القياد ، شديد الحياء ، كثير التواضع ، قليل الكلام والضحك ، تجلَّىٰ عليه الخوف من الله تعالىٰ ؛ فأكثر من إحياء الليل مناجياً ، وأكثر من الصدقة والدعاء راجياً .

وبالجملة : كانت طينته نورانية ، وسيرته محفوفة بعناية ربانية .

أمَّا سعة علمه :

فآثاره العلمية الواسعة تشهد له بذلك ، ولا سيما علم التوحيد والتصوف .

قال فيه العلامة الشفشاوَني : (كان من مشايخ المئة التاسعة ، وتوفي علىٰ رأسها ، فكان من جدَّد لهـٰذه الأمة أمر دينها علىٰ رأس تلك المئة كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، وكان من أكابر الأولياء ، وأعلام العلماء ، وتآليفه تدلُّ علىٰ تحقيقه وغزارة علمه)(١) .

---

(١) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢١) .

وقال العلامة الحضيكي : (كان آية في العلم والصلاح والهدىٰ والزهد والورع ، له أوفر حظ في العلوم فروعها وأصولها ، إذا تحدَّث في علم ظنَّ السامع أنه لا يحسن غيره ، لا سيما في التوحيد ، وانفرد بعلم الباطن ، لا يقرأ شيئاً من علم الظاهر إلا خرج لعلوم الآخرة ، لا سيما في التفسير والحديث ، كأنه يشاهد الآخرة ؛ لكثرة مراقبته لله تعالىٰ)[1] .

وقد جعل رحمه الله تعالىٰ للعالم علامات يعرف بها ؛ حيث قال : (**العالم حقّاً** : من يستشكل الواضح ، ويوضح المشكل ؛ لسعة فهمه وعلمه وتحقيقه ، فهو الذي يُحضر مجلسه ، ويُستمع فوائده)[2] .

وقال العلامة ابن مريم في « البستان » : (أمَّا علومه الظاهرة فله فيها أوفر نصيب، وجمع من فروعها وأصولها السهم والتعصيب)[3].

وأمَّا زهده وورعه :

فحسبك بكلمته التي تنوقلت في ترجمته ؛ حيث قال : (**حقيقة الولي العارف** : من لو كشف له عن الجنة وحورها . . **ما التفت إليها** ،

---

(١) انظر « طبقات الحضيكي » (ص ٢٣٥) .
(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٥) ، وقال مؤلفه العلامة التنبكتي بعد سوقه لهـٰذا القول : (وبموته فُقد من يتصف بها ، وإن كان العلماء الحافظون موجودين ، لـٰكن المراد العلم النافع المتصف صاحبه بالخشية ، فهو في علوم الباطن قطب رحاها ، وشمس ضحاها) .
(٣) البستان (ص٢٣٩) نقلاً عن الملالي .

ولا ركن لغيره تعالىٰ)[1] ، فمن زهد بمثل هـٰذا فهو عمَّا دونه أزهد .

وقد بعث إليه السلطان في أخذ شيء من غلات مدرسة الوليِّ الصالح الحسن أبركان ، فامتنع ، فألحُّوا عليه ، **فكتب في الاعتذار كتابة مطوَّلة** ، فقُبل منه[2] .

كان لا يأنس بأحدٍ ولا يتسبَّب في معرفته ، وقد تبغَّض إليه الاجتماع بأهل الدنيا والنظر إليهم وقربهم ، وهو لمن بُسط لهم فيها ونالوا رتبها . . أشدُّ بغضاً ، قال تلميذه الملالي : (خرج يوماً معنا للصحراء ، فرأىٰ فرساناً بثياب فاخرة علىٰ بُعد ، فقال : من هـٰؤلاء ؟ قلنا : خواص السلطان ، **فتعوَّذ ورجع لطريق آخر** .

ولقيهم مرة أخرىٰ ، وما تمكن من الرجوع ، **فجعل وجهه للحائط وغطَّاه** حتىٰ جازوا ولم يروه)[3] .

ولما أراد ختم التفسير عزم علىٰ قراءة سورة (الإخلاص) يوماً و(المعوِّذتين) يوماً ، فسمع به الوزير وأراد حضور الختم ، فبلغه ذلك ، فقرأ السور الثلاثة يوماً واحداً ؛ **خيفة حضور الوزير عنده ورؤيته والاجتماع به**[4] .

وطلبه السلطان أن يطلع إليه ويقرأ التفسير بحضرته علىٰ عادة

---

(١) انظر « طبقات الحضيكي » (ص٢٣٦) ، و« نيل الابتهاج » (ص٥٦٦) .
(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٦) .
(٣) انظر « طبقات الحضيكي » (ص٢٣٦) .
(٤) انظر « طبقات الحضيكي » (ص٢٣٧) ، و« نيل الابتهاج » (ص٥٦٦) .

المفسرين ، فامتنع ، فألحُّوا عليه ، **فكتب إليه معتذراً بغلبة الحياء له ، ولا يقدرَ على التكلم هناك** ، فأيسوا منه .

وإذا سمع يوماً بوليمة أحد من أبناء الدنيا تخلَّف يومه عن الحضور ؛ **خيفة أن يُدعىٰ** ، **فلا يظهرُ بالكلية حتىٰ تمرَّ أيام الوليمة** ، وربما تخلَّف قبله أياماً .

وحاشىٰ نفسَه عن قبول عطايا السلطان ومن لاذ به ، وربما تأتي داره وهو غائب ، **فإذا وجدها أنكر علىٰ أهل داره** ، **وتغيَّر كثيراً** ، وكان يقبل هدايا غيرهم ممَّن طابت أكسابهم ، ويدعو لهم .

وقد جاءه يوماً ابن الخليفة ومعه عبدٌ ، فأقبل يقبِّل يديه ورجليه ، وطلب منه قبوله هدية ، **فأبىٰ** ، **ثم تبسَّم مطيِّباً قلبه ودعا له** ، فطلب منه أن يأخذه ويتصدق به على الفقراء ، فأبىٰ ولم يرضَ لهم ذلك .

ولعله كان يُقصد بشفاعات وقضاء حوائج ، ويُطلب منه الكتابة إلى الأمراء ، فكان يكره ذلك ، وإن فعل فعن حياء ؛ فقد كلَّفه إنسانٌ يوماً بكَتْبِ ثلاثين براءة ، فكتبها وقال : **هـٰذه مصائب ابتُلينا بها** .

وكان يتمنَّىٰ ألا يرىٰ أحداً وألا يراه أحدٌ ، وكان يقول : **لا حاجة لي بأحد ولا بماله**[1] ، وقد قال فيه العلامة الحوضي[2] : (من الكامل)

---

(١) انظر « طبقات الحضيكي » (ص٢٣٦_٢٣٧) ، و« نيل الابتهاج » (ص٥٦٦_٥٦٧) ، وفيها كل هـٰذه الأخبار .

(٢) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٦٢) .

كم جاءَتِ الدنيا تسوقُ رئاسةً   يبغـي إليـك تقـرُّبـاً أبنـاؤهـا
فأبيتَ عنها معرضاً مستحقراً   لم يخدعَنْكَ جمالُها وبهاؤها

وأمّا عبادته وتبتُّله وخوفه من الله تعالىٰ ، وحسنُ معاملته مع عباده :

فكان في هـٰذا إمام زمانه ، وقد أثَّرت فيه صحبة الصوفية وعلماء الحقائق ، فطاب خبره ومخبره ، وحَسُنت سيرته وسريرته .

كان رضي الله عنه طويل الحزن ، كثير الخوف ، ولشدة خوفه يسمع لصدره أنين وهو مستغرق في الذكر ، فلا يشعر بمن معه ، مع تواضع وحسن خلق ورقة قلب ، رحيماً متبسماً في وجه من لقيه ، مع إقبال وحسن كلام ، يتزاحم الأطفال علىٰ تقبيل أطرافه ، ليناً هيِّناً حتىٰ في مشيه ، ما ترىٰ أحسن خلقاً ، ولا أوسع صدراً ، ولا أكرم نفساً ، ولا أعطف قلباً ، ولا أحفظ عهداً . . منه ؛ يوقِّر الكبير ، ويقف مع الصغير ، ويتواضع للضعفاء ، مُعظِّماً جانب النبوة في غاية ، حتى ارتحل الناس إليه وتبرَّكوا به .

لا يعارضه أحد إلا أفحمه ، جمع له العلم والعمل والولاية إلى النهاية ، مع شفقته على الخلق وقضاء حوائجهم عند السلطان ، والصبر علىٰ إذايتهم ، وضع له من القبول والهيبة والإجلال في القلوب ما لم ينله غيره من علماء عصره وزُهَّاده .

وكان جلُّ وعظه للناس في الخوف من المولى الجليل ومراقبته ، وذكر أحوال الآخرة ، وهو إلىٰ هـٰذا يعظ كل أحدٍ بما يناسب حاله ،

وقلَّ أن تراه إلا وهو يحرِّك شفتيه بذكر الله تعالىٰ[١] .

ومن صور شفقته وخوفه من مولاه سبحانه : أنه مرَّ به ذئب يطارده صيَّادٌ وكلابُهُ فحبسوه ثم ذبح ، فلمَّا وصل إليه ورآه ملقىً على الأرض . . بكىٰ وقال : لا إلـٰه إلا الله ، أين الروح التي يجري بها ؟ ![٢] .

وكان يقول : (ينبغي للإنسان أن يمشي برفق وينظر أمامه ؛ **لئلا يقتل دابة في الأرض**) .

وإذا رأىٰ من يضرب دابة ضرباً عنيفاً . . تغيَّرَ ، وقال لضاربها : ارفق يا مبارك !

وكان ينهىٰ مؤدِّبي الكُتَّاب عن ضرب الصبيان ، ويقول : (لله تعالىٰ مئة رحمة ، لا مطمع فيها إلا لمن اتَّسم برحمة جميع الخلق وأشفق عليهم)[٣] .

وزاره في مرض موته بعض العلماء وكان قد أساء إليه ، فطلب منه السماح ، فغفر له ودعا له بالخير ، ولمَّا مات الإمام بكىٰ عليه هـٰذا العالم وتألَّم جدّاً وقال : فقدت الدنيا بفقده .

وكان يتصدَّق ويأمر أهله بالصدقة ، لا سيما أيام الشدة والجوع ،

---

(١) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٦ـ٥٦٧) .

(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٧) ، و« طبقات الحضيكي » (ص٢٣٧) .

(٣) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٨) ، و« طبقات الحضيكي » (ص٢٣٧) .

ويقول : (من أحب الجنة فليكثر الصدقة خصوصاً في الغلاء)[1] .

وكان يؤثر الخلوات ، ويزور المواضع الخربة للاعتبار ، ويقول : أين سكَّانُها ؟ وكيف يتنعَّمون ؟

وكان يقول : (كم من ضاحك مع الناس وقلبه يبكي خوفَ ربه ، فهـٰذا شأن العارفين)[2] .

وحالُهُ مع الدنيا حال المسجون ، فقلَّ نومه وطال صومه ، فكان ينام أول الليل ويحيي سائره ، مع التزام الصوم عاماً إن هو رجع إلى النوم متى استيقظ ، وهـٰذا ما قد أثَّر في وجهه .

وصدق فيه ما قيل : (باطنه حقائق التوحيد ، وظاهره زهد وتجريد ، وكلامه هداية لكل مريد)[3] .

وهو مع هـٰذا كله شديد الحياء ، حتىٰ إنه كان يكتب الشفاعات للسلاطين حياءً ممن يسأله ذلك ، فلامه علىٰ ذلك أخوه لأمه الشيخ علي التالوتي يوماً ، فقال له الإمام : والله يا أخي ؛ يمنعني منه غلبة الحياء ، ولا أقدر أن أقول : لا أكتب ، إذا كان الحياء يدخل صاحبه النار فأنا أدخلها[4] .

---

(١) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٨) ، و« طبقات الحضيكي » (ص٢٣٨) .
(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٩) ، و« طبقات الحضيكي » (ص٢٣٨) .
(٣) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٥) .
(٤) انظر « البستان » (ص٢٤١) .

أحواله في يومه، وأثره من أخلاقه

كان رحمه الله تعالىٰ يصوم يوماً بيوم صومَ سيدنا داود علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام ، ويفطر علىٰ يسير الطعام ، ولا يبحث يوم فطره عمَّا يأكل ، وربما بقي ثلاثة أيام أو أزيد لا يأكل ولا يشرب ، إن أُتِيَ بطعام أكل ، وإلا بقي كذلك ، وربما سألوه بعد مضي جلِّ النهار : هل مفطر هو ؟ فيقول : لا مفطر ولا صائم ، فيقال له : لِمَ لا تعلمنا بفطرك ؟! فيبتسم .

وربما مازح بعض أصحابه ، فلا تجد أحسن منه حينئذ ، ولا يرفع صوته ، بل يعتدل فيه ، ويصافح الناس ولا يمنع من قبَّلَ يده ، ولا يلبس لباساً مخصوصاً يعرف به ، بل ثوبه ما اعتاده الناس .

كان يكره الكلام بعد الصبح والعصر ، ويتراخىٰ في صلاته بتكبيرة الإحرام بعد الإقامة ، ولا يكبر إلا بعد حين ، وكان بعد صلاة الصبح في مسجده يقرأ أوراده ، ثم يباشر بإقراء العلم إلىٰ وقت الفطور المعتاد ، ثم يقف ساعة مع الناس علىٰ باب داره ، ثم يدخل ويصلي الضحىٰ قدر قراءة عشرة أحزاب ، ثم يشتغل بالمطالعة نهاراً .

وكان بعد الزوال يخرج لخلواته إلى الغروب ، وأحياناً يصلي الظهر مع الناس ثم يجلس يصلي ويتنفل ويقرأ إلى العصر ، ثم يشتغل بورده إلى الغروب ، فإذا صلى المغرب صلىٰ ستَّ ركعات ، وبقي في مسجده حتىٰ يصلي العشاء ، ويقرأ ما تيسر .

ثم يرجع إلىٰ داره وينام ساعة ، ثم يشتغل بالنظر أو النسخ ساعة ، ثم يصلي إلىٰ طلوع الفجر[1] .

فيا لها من أحوال شريفة ، نال صاحبها المقامات المنيفة ! فأكرِمْ به من عالم عامل ، ومنارة هدي تتلمَّحها أعين القُصَّاد ، وسالكي سبل الرشاد !

طرفٌ من كراماته

مثلُ الإمام السنوسي لا يعظم شأنه بحكاية كرامة له ؛ إذ حسبُنا ما أكرمه الله به حين بوَّأه هـٰذه المنزلة العلمية الرفيعة ، وأقامه عَلَمَ هدىً لإرشاد الخلق ، واستنقذ بما أجراه الله علىٰ يراعه كثيراً من التائهين المتحيِّرين ، ولـٰكن حكايةُ ذلك من باب زيادة العناية والتعظيم .

ومن اللطيف أن ترىٰ له بعض الكرامات ممزوجةً بعلم الكلام ! وهـٰذا دالٌّ علىٰ صدق حال الإمام مع هـٰذا العلم المقرِّب من الله تعالىٰ ؛ فقد حكى العلامة الشفشاوَني عن بعض الأولياء أنه رأىٰ والد الشيخ السنوسي بعد موته في المنام ، فقال له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لي ، فقال : بمَ ؟ قال : بتفكُّر ولدي في الجبل ساعةَ دفني !

فلمَّا سُئلَ الإمام السنوسي عن ذلك قال : نعم ؛ كنت أتفكَّر في

---

(١) انظر « البستان » (ص٢٤٤) ، و« نيل الابتهاج » (ص٥٧٠) .

الجبل الذي كان أمامي ؛ وهو المطلُّ علىٰ تِلِمْسان ، وكم فيه من جواهر ، وكيف ركَّبه الحكيم بقدرته وحكمته .

ومن كراماته : أنَّ رجلاً اشترىٰ لحماً من السوق ، فسمع الإقامة في المسجد ، فدخل واللحم معه يحمله ، فخاف من طرحه فوات ركعة ، وكبَّر علىٰ هـٰذه الحال ، فلمَّا سلَّم وعاد إلىٰ أهله طبخ أهله اللحم إلىٰ صلاة العشاء فلم ينضج ، فأرادوا طرحه فإذا هو علىٰ حاله بدمه ، فقالوا : لعله لحم شارف ، فباتوا يوقدون عليه إلى الصبح ، فلم يتغيَّر عن حاله !

فتذكر الرجل ، فذهب إلى الإمام فأعلمه بذلك ، فقال له : يا بنيَّ ؛ أرجو الله تعالىٰ أنَّ كل من صلَّىٰ ورائي لا تعدو عليه النار ، ولعل هـٰذا اللحم كان معك حين صليت معي ، ولـٰكن اكتم ذلك[1] .

ومن ذلك : أنه كان يقول ثقةً بمولاه : (من كانت له إلى الله حاجة فليتوسل بنا وليقدمنا) ، فرُوي أنَّ امرأة ضاع منها مفتاح بيتها ، فحاولت بكل حيلة فتحه فلم تفلح ، فتوسلت بالشيخ وبجاهه عند ربه ، ففُتح الباب وانحلَّ القفل[2] .

ومن ذلك : تأليفه للشرح الكبير لـ « الحوفية » ، الذي سماه : « المقرب المستوفي » ، ألَّفه وهو ابن تسع عشرة سنة ، فلما وقف

---

(١) نقلها صاحب « البستان » (ص٢٤٤) عن الشيخ الملالي تلميذ الإمام السنوسي .
(٢) انظر « البستان » (ص٢٤٥) .

عليه الشيخ القطب الحسن أبركان . . تعجب منه ، وأمر بإخفائه حتىٰ يكمل مُؤلِّفه أربعين سنة ؛ لئلا يصاب بالعين ، ويقول له : لا نظير له فيما أعلم ، ودعا لمؤلفه[1] .

ومن ذلك : أنه رُئي يوماً كثير الانقباض متغير اللون ، فسُئل عن ذلك ، فأجاب بعد إلحاح وشرط كتم الأمر ، فقال : أطلعني الله تعالىٰ علىٰ رؤية جهنم وما فيها ، نعوذ بالله منها ، فمن حينئذٍ صرت أتغير وأحزن إلى الآن ، فهـٰذا سبب تغيري[2] .

ومذهبُ الإمام السنوسي في الكرامة ووقوعها مذهبُ عامة المحققين من أهل السنة والجماعة ، وقد نثر الحديث عنها مختصراً تارة ومطولاً أخرىٰ في « سنوسياته » المباركة ، وله عبارة ذهبية نقدية لم تحجِّم قدرة الله تعالىٰ ولم تقصر من شأن الكرامة في « شرح العقيدة الوسطىٰ » إذ قال فيها :

(فكرامات الأولياء باعتبار ظهورها تكاد تلحق بمعجزات الأنبياء ، وإنكارها ليس بعجيب من أهل البدع والأهواء ؛ إذ لم يشاهدوا ذلك من أنفسهم قطُّ) إلىٰ أن قال : (وإنما العجب من بعض فقهاء أهل السنة ؛ حيث قال فيما روي عن إبراهيم بن أدهم أنهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك اليوم بمكة : إنَّ من اعتقد جواز ذلك يكفر !!)[3] .

---

(١) انظر « البستان » (ص٢٤٥) ، و« نيل الابتهاج » (ص٥٧١) .
(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٩) .
(٣) انظر « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ٥١٦) .

ولك أن تتأمَّل كلمته المتواضعة المنكسرة حينما حكىٰ شروط الولي التي ذكرها الإمام ابن دهاق ؛ إذ قال : (ونحن بالنسبة إلىٰ هـٰذا المقام مقامِ أولياء الله تعالىٰ وخاصة حضرته . . علىٰ ساحل التمني ، نغترف من بحر التوحيد والعرفان الذي خاضوا لُججه ، وغابوا فيه بقدر الإمكان ، ونعترف لهم بأن ما هم فيه من درجة العِيان أو ما يقرب منها . . فوق ما الكثير عليه من درجة البرهان)[١] .

اللوحة الأخيرة من حياته

لندعِ الشيخ محمد بن عمر الملالي تلميذ الإمام السنوسي يرسم لنا هـٰذه اللوحة وهو يحدثنا عن ساعات اللقاء والرحيل عن هـٰذه الفانية إلى الدار الباقية ، قال رحمه الله تعالىٰ :

(كان رضي الله عنه في أواخر عمره كثير الانقباض عن الخلق ، لا يكاد ينبسط مع أحد كما كانت عادته قبل ذلك ، ويشق عليه الخروج إلى المسجد للإقراء والصلاة ، ولا يخرج إليه في بعض الأيام إلا حياءً من الناس الذين ينتظرونه في المسجد للصلاة .

ولمَّا أحسَّ رضي الله تعالىٰ عنه بألم مرضه الذي توفي منهُ . . انقطع عن المسجد ، فسمع الناس بمرضه ، فصاروا يأتون إلى المسجد فلا يجدونه ، فتتغير قلوبهم من فقدان الشيخ وعدم رؤيته لهم ، فأُخبر الشيخ بذلك ، فصار يتكلَّف الخروج إلى المسجد للصلاة لأجل

---

(١) انظر « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ٥٢١) .

الناس ، فإذا رأوه فرحوا وسُرُّوا بخروجه ورؤيته .

فخرج يوماً وأتىٰ لباب المسجد ، وأراد الصعود إليه ، فلم يقدر ، فقال : كيف أطلع إلى المسجد يا ربِّ ؛ أو كما قال ، فهمَّ بالرجوع إلىٰ داره فبدا له خوفاً من أن يدخل على الناس حزناً برجوعه ، فتكلَّف الصعود إلى المسجد ، وصلَّىٰ بالناس صلاة عصر يوم الجمعة ، ولم يكمل الصلاة إلا بشق النفس ، وهـٰذه آخر صلاة صلاها .

فرجع إلىٰ داره ، فبقي إلىٰ صبيحة يوم السبت من الغد ، فقرَّبت إليه زوجته طعاماً ، فقال لها : لا أقدر علىٰ شيء[1] ، فقالت له : وأيُّ شيء بك ؟ فقال لها : أنا تخلفت ، ثم غاب عن حسِّهِ ، فبقي علىٰ تلك الحالة النهار كله .

ثم كلَّمته زوجته وقالت له : ما الذي غيَّبك عن حِسِّكَ ؟ أو قريباً من هـٰذا ، فقال لها : إنَّ الملائكة قد صعدت بي إلى السماء الدنيا ، فسمعت قائلاً يقول لي : اترك ما أنت عليه فقد قَرُبَ أجلُكَ ، ثم قال : لا أستطيع أن أفسِّرَ لك بقية ما رأيت ، أو كما قال .

فقالت له زوجته : وما الذي أُمرت بتركه ؟ قال لها : قد تركت حبس ذلك المحبس لا آخذ منه شيئاً أبداً .

ثم إنه لازم الفراش من حينئذٍ إلىٰ أن توفي ، ومدة مرضه عشرة

---

(١) وقد ذكر الملالي في « المواهب القدسية » (ق ١٣) أنه بلغ به الجهد حتىٰ عجز عن التيمم وأركان الصلاة ، فقال : (رحم الله تعالىٰ أبا حنيفة حيث قال بسقوطها) يعني : الصلاة .

أيام ، وفي كل ساعة يتقوَّىٰ مرضه وتضاعف ألمه وتضعف قوته وحركته ، ويثقل لسانه ، وهو مع ذلك ثابت العقل [لم] يتأوَّه ولا أنَّ بالكلية ، ثم تجده مع ذلك يكلِّم من كلَّمه ، ويسلِّم علىٰ من سلَّم عليه أو يشير له .

فلمَّا قَرُب أجلُهُ بثلاثة أيام دخلته سكرات الموت ، فرجع يتأوَّه بالقهر ويميل يميناً وشمالاً ، فنظرت إليه وقد احمرَّت وجنتاه وأرخيت عيناه وشفتاه[1] ، واشتدَّ نَفَسُهُ ، وتقوَّىٰ صعوده وهبوطه ، فلم أملك صبراً على البكاء بما عاينت من شدة مقاساته وعظيم صبره علىٰ ذلك ، ففارقته وظننتُ أنه لا يبقىٰ تلك الليلة ، وكانت ليلة السبت ، فبقي في النزع تلك الليلة والأحد إلىٰ بعد العصر ، فكان ابن أخيه حينئذٍ يلقنه الشهادة مرة بعد مرة ، فالتفت الشيخ له وقال بكلام ضعيف جدّاً : **وهل ثَمَّ غيرها ؟!** يعني : أنه رضي الله تعالىٰ عنه ليس بغافل عنها بقلبه في هـٰذا الوقت ، وإن كنت لم أُنطق بها اللسانَ .

فحينئذٍ استبشروا بذلك ، **وعرف الحاضرون أنه ثابت العقل** ، ليس بغافل عن الله سبحانه .

وكانت بِنْتُهُ رضي الله عنها تقول له حينئذٍ : تمشي وتتركني ؟!

فقال لها : **الجنة تجمعنا عن قريب إن شاء الله تعالىٰ** .

وكانت في يده رضي الله تعالىٰ عنه سبحة ، فلمَّا اشتدَّ مرضه

---

(١) وانظر هنا « المواهب القدسية » (ق ٩٣) .

سقطت السبحة من يده ، فبقي كذلك ما شاء الله ، ثم التفت إلى السبحة فلم يجدها في يده ، فقال : **مشت العبادة يا محمد** ؛ يعني : نفسه .

وكان رضي الله عنه يقول عند موته : **نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بكلمتي الشهادة عالمين بها** .

وتوفي رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه يوم الأحد بعد العصر ، الثامن عشر من جُمادى الآخرة ، من عام **خمسة وتسعين بعد ثمان مئة** .

وأخبرتني والدتي رحمها الله تعالىٰ عن بنت الشيخ رضي الله عنها أنها شمَّت رائحة المسك في البيت بنَفَسِ موت أبيها ، وشمَّته أيضاً في جسده ، والله تعالىٰ أعلم .

نسأله سبحانه أن يُقدِّس روحه ، وأن يسكنه في أعالي الفردوس فسيحَهُ ، وأن يجعله ممَّن يتنعم في كل لحظة برؤية ذاته العلية العديمة النظير والمثال ، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة ، وأن يجمعنا معه بفضله وكرمه في أعلى المنازل الفاخرة ، بجاه سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلىٰ آله عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته)[١] .

قال العلامة أبو جعفر البلوي : (ودفن بين ظهري يوم الاثنين بعده

---

(١) انظر « المواهب القدسية في المناقب السنوسية » للشيخ محمد بن عمر الملالي (ق ١٥٨) .

حذاءَ قبر أخيه الصالح العلامة أبي الحسن التانلوتي[1] قدس الله تعالىٰ روحه بعين وانزوته خارج باب الجياد ، **حضرنا جنازته** ، وكانت في غاية الحفول ؛ غصَّت الشوارع فيها بالناس ، وحضرها السلطان فمن دونه ، وأتبع ثناءً يليق مثله ، وتأسَّف الناس لفقده وبحقٍّ ، وكانت سنُّهُ يومئذٍ ستاً وخمسين سنة ، نفعنا الله تعالىٰ به ، وجمعنا به في مستقر رحمته ، إنه ولي ذلك والقادر عليه)[2] .

وممَّا رثاه الفقيه الأجلُّ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمـٰن الحوضي بعد وفاته[3] : (من الكامل)

ما للمنازلِ أظلمَتْ أرجاؤُها ... والأرضِ رجَّتْ حينَ خابَ رجاؤُها
هـٰذا الذي ورثَ النبيَّ فأصبحَتْ ... عللُ الضلالِ به استفيدَ دواؤُها
هـٰذا الذي تبعَ النبيَّ وصحبَهُ ... فانجابَ عن سُبُلِ الهدىٰ ظلماؤُها
يا أيُّها النفسُ المقدسةُ التي ... لبقائِها المحمودِ كانَ فَناؤُها
يا أوحدَ العلماءِ يا عَلَماً بهِ ... كلُّ العلومِ بدَتْ لنا أنحاؤُها
يا درَّةَ الزهَّادِ يا غوثاً بهِ ... يُرجىٰ لأمراضِ القلوبِ شفاؤُها
أخلاقُكَ التسليمُ يصحبُها الرضا ... باللهِ منشورٌ عليكَ لواؤُها

بلَّتْ ترابه سحبُ الرضوان ، وجعل الله مستقرَّه فراديس الجنان .

* * *

---

(١) مرَّ غير مرة أنه التالوتي .
(٢) انظر « ثبت أبي جعفر البلوي » (ص٤٣٧ـ٤٣٨) .
(٣) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٦١) .

كلمة

في السلسلة العقدية للإمام السنوسي

قال العلامة المؤرخ الشفشاوَني في الإمام السنوسي : (**وعقائدُهُ الخمسُ وشروحاتُها مِنْ أفضلِ ما أُلِّفَ في الإسلامِ ؛ وهي : « المقدمةُ » ، و« الصغرىٰ » ، و« صغرى الصغرىٰ » ، و« الوسطىٰ » ، و« الكبرىٰ »**)[1] ، وهي كلمة ذهبية في تقويم « السنوسيات » .

واكتفى المؤرخ ابن القاضي المكناسي في التعريف بالإمام السنوسي بقوله : (**صاحبُ العقائد التي لم يأتِ أحدٌ بمثلها من المتأخِّرين**)[2] .

وسلسلةُ « **السنوسيات** » بشروحها ممَّا تشبَّث بذاكرة التاريخ فما كانت لتُنسىٰ ، ورغم زحمة التآليف العقدية وتنوُّعها حجماً ومنهجاً ، ودخولِها مكتبةَ علم الكلام بكل ثقة ورصانة . . كان لـ « السنوسيات » أعظم الأثر في الغرب الإسلامي ثم شرقه ؛ **إذ دخلت بقدم راسخة سلسلةَ التعليم المنهجي لعلم الكلام** ؛ بما تميَّزت عن غيرها من كتب

---

(١) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢١) .

(٢) انظر « درة الحجال » (٢/ ١٤١) .

الاعتقاد بالابتداء بمعتصر المختصر الذي تجده في وجيز متونها ، إلى المختصر الذي تراه في كبير المتون ووجيز الشروح ، إلى الوسيط ، ثم إلىٰ سعة البسيط .

هـٰذا الترتيب البديع الذي انتهجه إمامنا السنوسي لم يكن بِدْعاً ؛ **فقد سُبق إليه من قِبَلِ أعلام علم الكلام** ، فلحجة الإسلام الغزالي مثله ؛ في « قواعد العقائد » و« الرسالة القدسية » و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، وللعلامة المحقق سعد الدين التفتازاني شِبْهُهُ ؛ في « تهذيب المنطق والكلام » و« المقاصد » و« شرح المقاصد » ، وكلاهما من أقصى المشرق الإسلامي ، ولـٰكن البديع في سلسلة الإمام السنوسي هو استحياؤه وكشفه الإلهامي عن تربُّع هـٰذه السلسلة المباركة مناحيَ النظر والتدريس في علم العقائد في المستقبل القريب ، بل إنَّ تآليفه هـٰذه عانقتها أنظار العلماء وأقلامهم في حياته قبل موته ، كلُّ هـٰذا كان مدعاة له أن يتفرَّس وجوه طلبة المستقبل ، مُلِمّاً بضعف الضعيف وبلادة ذهنه ، وشرود النَّصَف النصيف في عقله ، وكدورة وهم الذكي علىٰ حدَّته ونباهته ، واكتفاء الموفَّق بلمحته وإشارته .

كل هـٰذا هو بعضُ ما أدركه الإمام السنوسي لتنفذ همَّتُهُ **في إنشاء مدرسة كلامية لها منهاجها وأسلوبها** ، تبدأ حدودها بصبيان الكُتَّاب ، وعامَّة أهل الصنائع والحِرَف الذين لا شغل لهم بالعلم ، بل بالنسوة اللاتي همُّهنَّ بيوتهنَّ وقضاء حوائجهنَّ ، لتصل إلى العالم المحقق

المدقِّق الحريص علىٰ نفائس العلم وحُلله ، والباحث الغوَّاص في لُججه لاستخراج دُرره ؛ فمن « **صغرىٰ صغرى الصغرىٰ** » إلىٰ « **شرح العقيدة الكبرىٰ** » ، ومن تقليدٍ أعمىٰ إلىٰ تحقيقٍ أسمىٰ ، فسبحان الفتاح علىٰ ما فتح ! وله الحمد تعالىٰ علىٰ ما أعطىٰ ومنح .

ومكنةُ الإمام في علم الكلام صارت مضرب مثل ، حتىٰ قال الشيخ أبو عمران موسى بن عقدة الأغضاوي إذا ذُكر علمُ الكلام : (**ما رأيتُ مَنْ غربلَ هـٰذا العلمَ مثل هـٰذا الرجل**) يعني : السنوسي[1] .

وقبل رحيل إمامنا السنوسي عن هـٰذه الدنيا الفانية . . قرَّت عينه حينما رأىٰ مؤلفاته ـ وعلىٰ رأسها « سنوسياته » ـ **قد أقبل عليها طلبة العلم** ، بل إنَّ بعض شيوخه نظر فيها واستخرج ما سُمِّي بكتاب « حقائق السنوسي » .

أمَّا الناظر في كتب فهارس المخطوطات فسيرى الأثر الكبير الذي أحدثته « السنوسيات » ؛ إذ أعملت العلماءُ أقلامَها في شرح متونها ، والتحشية علىٰ شروحها ، ولا سيما « الصغرىٰ » و« شرحها » ، فقد كانت لهـٰذه العقيدة تحديداً عنايةٌ فائقة ندر أن ترىٰ مثلها لكتاب في رحاب المكتبة الإسلامية .

والبديع في منهج السنوسي في « سنوسياته » المباركة هو التأليف المتراكب الذي لا بد فيه من جديد مفيد ، فالمتون علىٰ تفاوت حجمها

---

(١) نقله العلامة الشفشاوَني في « دوحة الناشر » (ص ١٢١ـ ١٢٢) .

ترىٰ فيها تكراراً في معالمها العامة ، **ولٰكن مع جديد في أسلوب العرض ، وتنويع في الدليل والمثال ، وزيادة تنفرد بها كل « سنوسية » لا توجد في غيرها** ، وكم ترىٰ للعلماء نقولاً وتحريرات عن إمامنا السنوسي يختمونها بقولهم : كما في « شرح العقيدة الكبرىٰ » ، أو « شرح العقيدة الوسطىٰ » ، أو « شرح العقيدة الصغرىٰ » ، ولا يمكنهم الاكتفاء بـ « شرح العقيدة الكبرىٰ » مثلاً عن غيرها .

وكل ناظر يعلم تنوع الخطاب الذي روعي فيه تنوع المخاطَب ، فقد كان للسنوسي نية حسنة في استنقاذ المقلِّدين من جميع الشرائح ؛ فتراه يخاطب العامي والمختصَّ ، والصغير والكبير ، والأمة والصبي ، **بلغة حريصة على التفهيم والبيان ، دون اشتغال بتنميق عبارة** ، ومع هٰذا كله جاءت « سنوسياته » حلوة الكلمات ، رائقة العبارات .

ثم من الملامح البديعة في هٰذه السلسلة الموفقة : المزج الهادف والمتعمد لبعض الإشارات المعرفية علىٰ طريقة السادة الصوفية ، ولبعض الأدعية الرقيقة التي يختم بها فصوله علىٰ سبيل الإيناس والتذكير ، وشحذ الهمم واستلهام التوفيق ، ولبعض الأشعار والحكم والأقوال التي ترطب جفاف النص وتطرِّي من خشونته ، وكم لهٰذا الملمح من أثر طيب ، وطمأنينة تسري في النفوس ، فلله درُّه من عالم نحرير موفَّق !

وقد لوَّح الإمام السنوسي بوفاء هٰذه الطريقة في عرض الاعتقاد بالمقصود ، وبركتها وسلامتها من كدر الخوض فيما لا يعني ؛ فقد

قال في طالعة كتابه « **المنهج السديد** » المعروف بـ « شرح الجزائرية » وهو يتحدث عن « منظومة الإمام أبي العباس الجزائري » : (إذ هو منظوم مشتمل علىٰ طريقي هداية الخواص والعوام ؛ لأنه قد ضم فيه إلىٰ حلاوة النظم المستميلة للطباع تقريرَ الأدلة البرهانية للعقائد على التمام ، **ثم وشَّحها بخطابات تصوفية تهزُّ النفوس النائمة لتعظيم جناب الحق** ويدخل بها الضعيف مع القوي في سلك الانتظام ، **وتلك سنَّة الله تعالىٰ في تقرير الأدلة في كتابه العزيز ، ثم سنَّة مصطفاه الرسول** ، وما أبركها من طريقة ، وأنصحها من دلالة ! لتضمنها الهداية العامة ، وإنالة البغية لكل موفق يروم إلى الحق الوصول)[١] .

نعم ؛ قد اشتعلت نار الغيرة والحسد في قلوب بعض علماء عصره حينما رأوا عقائد السنوسي يُكتب لها التوفيق والمسيرة التعليمية ، ولم تلبث أن خبت ؛ رحمةً بالإمام وبهم من قبل ، قال العلامة المؤرخ الحضيكي في « طبقاته » : (ولما ألَّف بعض عقائده أنكره كثير من علماء وقته ، وتكلموا بما لا يليق ، فكثر تغيُّره بذلك ، ثم رأىٰ في منامه عمر بن الخطاب رضي الله عنه واقفاً علىٰ رأسه يتهدده على الخوف من الناس ، فأصبح وقد زال حزنه ، وقوي على المنكرين ، **فخرسوا من حينئذٍ ، ثم أقرُّوا بفضله**)[٢] .

ولعلَّ الرغبةَ الجامحة التي حملت إمامَنا السنوسيَّ إلىٰ منصَّةِ

---

(١) المنهج السديد (ص ٢٢) .
(٢) طبقات الحضيكي (ص٢٣٧) .

الإمامة في علم الكلام والتوحيد . . **هي حسنُ ظنِّهِ بهـٰذا العلم ، وصفاء نيَّته في تعلُّمه وتعليمه** ؛ تعرف هـٰذا من قوله رحمه الله تعالىٰ : (ليس علم من علوم الظاهر يورث معرفته تعالىٰ ومراقبته غير التوحيد ، وبه يفتح فهم كل العلوم ، وبقدر معرفته يزيد خوفه منه تعالىٰ)[١] .

فحالفه التوفيق والتأييد ، فرقيَ دَرَجَ هـٰذا العلم حتىٰ رَأَسَ فيه ، وصارت تآليفه في علم التوحيد يُشار إليها بالبنان ، ووُسمت بالفضل ، حتىٰ قيل فيها : (وعقائده كافية فيه ، خصوصاً « الصغرىٰ » ، لا يعادلها شيء من العقائد كما أشار إليه)[٢] .

وكان الشيخ أبو محمد عبد الله الورياجلي قد نذر علىٰ نفسه ألا تفارقه « عقيدة السنوسي الصغرىٰ » ، وقد جعلها في جيبه علىٰ جلالة قدره وعظيم إنصافه[٣] .

ومن جملة المبشِّرات التي رئيت : ما حكاه تلميذُ الإمام السنوسيِّ الشيخُ الملالي في « المواهب القدسية » حيث قال : (حدثني بعضهم أنه مات قريبه ، وكان صالحاً ، فرآه في النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : دخلت الجنة ، فرأيت إبراهيم الخليل عليه السلام يُقرئ صبياناً « عقيدة السنوسي » ، يدرسونها في الألواح يجهرون بقراءتها)[٤] .

---

(١) طبقات الحضيكي (ص٢٣٥) .
(٢) انظر « نيل الابتهاج » (ص٥٦٤) نقلاً عن تلميذه الملالي .
(٣) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢٢) .
(٤) انظر « المواهب القدسية » (ص١٠٣) ، ونقله العلام التنبكتي في « نيل =

وقد بلغ شأن « السنوسيات » عموماً و« شرح العقيدة الصغرىٰ » خصوصاً شأواً جعل بعض محققي العلماء يتضجَّر من ذلك ، لا من باب الاعتراض علىٰ ما حوته من علم جمٍّ ، بل أن يُخطَّأ ما سواها لمجرَّد مخالفتها ، حتىٰ قال العلامة الشيخ حسن العطار في « حاشيته علىٰ شرح المحلي لجمع الجوامع » : (ليت هـٰذا القائل عاش حتى الآن ؛ ليرىٰ ما يقوله المدرسون في دروسهم ، بل ما ينقله المؤلفون في عصرنا ممن يتعلَّق بعلم الكلام ؛ فإنهم اتخذوا « الصغرىٰ » وما كتب عليها من الحواشي والشروح عمدة وإماماً ، ولم تطمح نفوسهم بما قرره محققو هـٰذا الفن في كتبهم ، حتىٰ إنه لو أُتي لواحد منهم بنقل ساطع أو برهان قاطع . . لم يعدل عمَّا استقرَّ في ذهنه ممَّا يخالف الصواب ، وقال : لا أعدل عمَّا رأيته في ذلك الكتاب)[١] .

وهـٰذه الكلمة من شيخ الأزهر العلامة العطار يقدر قدرَها العالمُ والموفق ، فحاشا أن يفهم منه الطعن في « السنوسيات » ، **بل هو تنبيهٌ علىٰ ألا تجعل** ـ لا سيما « الصغرىٰ » و« شروحها » ـ كلَّ شيء في هـٰذا العلم المترامي الأطراف ، فقد ترىٰ تحقيقاً في مسألة أو أكثر لا تجده أو تجد خلافه فيها .

ولو أن العلامة العطار عاش حتى الآن ؛ ورأىٰ حال طلبة علم

= الابتهاج » (ص٥٧١) .

(١) حاشية العطار علىٰ شرح جمع الجوامع (٢/ ٤٥٥) .

العقائد والكلام ، **وما هم عليه من اهتمام بالوجبات العلمية السريعة ،** والاختصارات المحدثة المخِلَّة وغير المحقَّقة ، **والتأليفات الهشَّة التي داهنَ فيها مؤلفوها أهل البدع وجانبوا المداراة** ، وأخرىٰ تعصَّب فيها أصحابُها فضيَّقوا واسعاً ، **وجعلوا الجنةَ وَقْفاً علىٰ أهل السنَّة دون غيرهم** ، ورأىٰ إلىٰ ذلك أحوال مدرِّسي هـٰذا العلم العظيم ، **والذين عامتهم تُلقلقُ ألسنتُهم بمصطلحات هـٰذا العلم دون دراية** ، وبعضُهم قد أضمر الخصومةَ له وهو يدرسه محتسباً بزعمه ليصحِّح الأخطاء ويردَّ البدع التي انتشرت فيه ! ولا يعلم أنه قد ضلَّ بفعله وأضلَّ(١) . . لرجا المولىٰ تعالىٰ أن تعود تلك العصبيَّة لهـٰذه المدرسة العريقة ، وأن يؤول الأمر إلىٰ ما كان عليه ، والشكوىٰ إلى المولى العظيم .

* * *

---

(١) وإليك هـٰذه الذكرىٰ في صفات القاصد لتعلم علم التوحيد والعقائد ، وهي صفاتٌ ذكرها حجة الإسلام إمامنا الغزالي في كتابه (قواعد العقائد) من كتب « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٦٠) حيث قال : (**العالمُ به ينبغي أن يخصِّصَ بتعليم هـٰذا العلم مَنْ فيه ثلاث خصال** :

إحداها : التجرد للعلم والحرص عليه ؛ فإنَّ المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت .

والثانية : الذكاء والفطنة والفصاحة ؛ فإنَّ البليد لا ينتفع بفهمه ، والفدم لا ينتفع بحجاجه ، فيخاف عليه من ضرر الكلام ، ولا يرجىٰ فيه نفعه .

والثالثة : أن يكون في طبعه الصلاح والديانة والتقوىٰ ، ولا تكون الشهوات غالبة عليه ؛ فإنَّ الفاسق بأدنىٰ شبهة ينخلع عن الدين ؛ فإن ذلك يحلُّ عنه الحجر ويرفع السدَّ بينه وبين الملاذِّ) ، وهـٰذه الثالثة يدخل فيها الفاسق بالاعتقاد كما لا يخفىٰ .

كلمةٌ عن كتاب
« شرح العقيدة الصغرى »

لَئِن كانت مؤلفاتُ الإمام السنوسي كالأبناء البررة بآبائهم . . فلا شكَّ أنَّ **« شرح العقيدة الصغرىٰ » أشدُّها برّاً بالسنوسي ، وأحبُّها إلىٰ قلبه** ؛ تعرفُ هـٰذا من الرقَّة التي ألمَّت بالإمام السنوسي مع السطور الأخيرة التي خطَّتْها يراعتُهُ ؛ تلك الرقَّةُ التي حملته علىٰ دعاء لاهجٍ بالضراعة لمَنْ أخذ بما في هـٰذا الكتاب فأسكنَهُ في طوايا صدره ، وأشغل بمعانيه فؤادَهُ ، وعملَ بوصاياه التي جاءت في خاتمته ؛ من الإكثارِ من ذكر الله تعالىٰ بترديد كلمة التوحيد على الوصف المذكور ، وإدمانِ ذلك إلىٰ لقاء الحقِّ سبحانه ببشائر الرضا علىٰ ركائب اليقين .

ولعلَّ الفتحَ الذي فُتِحَ به للإمام بتأصيل العقائد السنية جمعاء ، وردِّها إلىٰ تلك العروة الوثقىٰ (لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله) بطريقةٍ لم يَسبقْ إليها أحدٌ قبلَهُ[1] ، وما خالط الإمامَ بعد ذلك من أسرار وأنوار ، وكوشف به . . كلُّ ذلك كان مدعاةً للبهجة الكبرى التي تجلَّتْ بتأليفه لهـٰذا الكتاب ، والبشارة العظمى التي بُشِّرها في حقِّ

(١) اللهم إلا ما أشار إليه العلامة ياسين الحمصي في « حاشيته » من أن الإمام الحليمي قد أتىٰ ببعض ذلك في كتابه « المنهاج » . انظر (ص ١١٠) .

الآخذين بهاذه العروة على النحو الذي سطَرَهُ فيه ، حتىٰ قال مستبشراً ومبشِّراً : (فاسرحْ ـ يا مَنْ مَنَّ الله عليه بفضله **بحفظ هاذه العقيدة المباركة إن شاء الله تعالىٰ ـ في رياض الجنة كيف شئت ، وحيث شئت**)[1] .

والإمام قد عرفَ قدْرَ هاذه العقيدة التي هي موهبةٌ ربَّانية ، وأنَّها علىٰ لُطفِ حجمها ذات شؤونٍ عرفانية ؛ فلذا قال فيها : (**ومن جملة نِعَمِ مولانا العظيمة ، ومِنَحِهِ الفائقة الكريمة** : أن وفَّقنا سبحانه بفضله في هاذا الزمان الكثير الجهل . . لوضع عقيدة صغيرة الجِرْمِ ، كثيرة العلم ، **محتوية علىٰ جميع عقائد التوحيد**) إلىٰ أن قال : (**فدونك أيُّها** المتعطش للدخول في زمرة أولياء الله تعالىٰ **عقيدةً** لا يعدل عنها بعد الاطلاع عليها ، والاحتياج إلىٰ ما فيها . . إلا من هو من المحرومين ؛ **إذْ لا نظير لها فيما علمتُ ، وهي بفضل الله تعالىٰ تزهو بمحاسنها علىٰ كبار الدواوين**)[2] .

ثم أثنىٰ علىٰ شرحها فقال : (وهاأنا أُمِدُّكَ ثانياً بعون الله تعالىٰ **بشرح لها مختصر** ؛ يُكمِل لك منها المقصودَ ، ويكشف لك إن شاء الله تعالى الغطاءَ عمَّا انبهم عليك منها من المعنى المسدود ؛ فتظفر إن شاء الله تعالىٰ بكيمياء السعادة وإكسير النجاة ، وتظلُّ تجتني بها إن

---

(١) انظر (ص ٣١٧) .
(٢) انظر (ص ١١١) .

وفَّقك الله تعالىٰ ثمراتِ الإيمان إلىٰ أن ينزل بك عرضُ الممات)[1] .

لقد بقيت محبَّةُ هـٰذه العقيدة تنمو إلىٰ أن لقيَ مولاه ، وبقيَتْ أنسَهُ الذي يأنسُ به ويرغبُ فيه ويُتحبَّبُ إليه به ؛ حتىٰ قال العلامة الحافظ أبو جعفر البلوي وهو يحدِّث عن مجلس الإمام السنوسي يومَ زاره : (وحضرنا ـ يومَ سلمنا عليه إثرَ ما صلينا العصر خلفه ـ « عقيدتَهُ الصغرىٰ » تُقرأُ بين يديه ، **يقرؤها طلبتُهُ وجمعٌ من العوامِّ الملازمين لمجلسه عن ظهر قلب سرداً علىٰ صوتٍ واحد** إثرَ سلامِهِ من صلاة عصر يوم الجمعة عادةً مستمرةً ، وهو قاعدٌ بمحرابه ، مقبلٌ على الذكر)[2] .

وقد لَهِجَ الإمام بالدعاء لكلِّ من حفظها ، ورجا له الجنة[3] ، وخصَّ بعد تعميمٍ أحبَّتَهُ ، ولمَّا سئل عنهم : مَنْ هم ؟ قال : مَنْ أحبَّني ، لا مَنْ أحببته ، ففتح البوابةَ علىٰ مصراعيها إلىٰ يوم الدين ، وإنَّا نغتنمُ صالحَ دعائه ونزعمُ أنَّا له من المحبِّين .

وقد وصف تلميذه ومؤرِّخ سيرته العلامةُ المَلالي هـٰذه « العقيدةَ » ـ وهو واحدٌ من عشرات شارحيها ـ فقال : (وهي من أجلِّ العقائد ، **ولا تعادلها عقيدة من عقائدِ مَنْ تقدم ولا من تأخَّر**)[4] .

---

(1) انظر (ص ١١٢) .
(2) انظر « ثبت أبي جعفر البلوي » (ص ٤٣٦) .
(3) انظر ذلك (ص ٣٢٨) .
(4) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) .

ومن البشائرِ اللطيفة في فضلها ما حكاه المَلالي أيضاً فقال : (حدثني بعضُهم : أنه مات قريبه وكان صالحاً ، فرآه في النوم ، فسأله عن حاله ، فقال : دخلت الجنة ، فرأيت إبراهيم الخليل عليه السلام يُقرئ صبياناً « عقيدة السنوسي » ، يدرسونها في الألواح يجهرون بقراءتها)[1] .

وكان الشيخ أبو محمد عبد الله الورياجليُّ رحمه الله تعالىٰ **قد نذر علىٰ نفسه ألا تفارقه « عقيدة السنوسي الصغرىٰ »** ، وقد جعلها في جيبه علىٰ جلالة قدره ، وهـٰذا من عظيم إنصافه[2] .

وقد نعت العلامة المؤرخ الشفشاوَني عقائد الإمام السنوسي فقال : (من أفضل ما أُلِّف في الإسلام)[3] .

وإلىٰ زمن ليس ببعيدٍ ، بل إلىٰ يومنا هـٰذا . . لا تزال قراءة السنوسيات محطةً علمية لا بدَّ منها لطالب العلم ؛ يأتي المتخصص عليها كلِّها ، ويكتفي غيره ببعضها ، إلا أن « العقيدة الصغرىٰ » و« شرحها » ممَّا يشتركُ في دراستهما الجميع .

وقد امتدحها العارفُ الزاهد الواصل أبو عبد الله بن يجبشَ التازيُّ بقوله[4] : (من الكامل)

---

(١) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) ، ونقله التنبكتي في « نيل الابتهاج » (ص ٥٧١) .

(٢) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢٢) .

(٣) انظر « دوحة الناشر » (ص ١٢١) .

(٤) انظر « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) ، وقال : (انتهت القصيدة ، وهي في غاية الحسن) .

وفريدةٍ صاغَ الإمامُ المرتضىٰ العـالـمُ الحبرُ التقـيُّ الأمجـدُ
نجلُ الكرامِ الصالحينَ ذوي العلا الطاهرُ الأصلِ الشريفُ محمدُ
بحرُ العلومِ ومعدنُ الأسرارِ مِنْ بيـنِ الأنـامِ بعصـرِهِ والمـرشـدُ
لو أبصرَتْ عيناكَ حسنَ عقيدةٍ قد صاغَها هـٰذا الإمامُ الأوحدُ
لرأيتَ ما يجلي القلوبَ مِنَ الصدا وينيلُهـا نـوراً حكـاهُ الفـرقـدُ
فعليكَ يا نعمَ الحبيبُ بدرسِها تـدركْ فـوائـدَ دونَهـا لا تـوجـدُ
في شرحِها ظهرَتْ غرائبُ علمِهِ فاقصدْ إليهِ ورِدْ فنعمَ الموردُ
عـوِّلْ علىٰ كتبِ الإمـامِ فـإنَّهـا تغنيكَ عن طلبِ الشيوخِ وتُسعِدُ
إذْ ما يكونُ مِنَ القلوبِ بروزُهُ فـالقلـبُ يقبـلُ مـا يقـولُ السيـدُ
فـاللهُ ينفعُـهُ وينفـعُ كـلَّ مَـنْ رامَ الـذي قـد صـاغَـهُ ويـؤيِّـدُ
وينيلُـهُ أجـراً عظيمـاً دائمـاً ونجـا بـهِ حيـثُ النبـيُّ محمـدُ
فعليـهِ مِـنْ ربِّ العـلا صلـواتُـهُ ما دامَ في أعلى الجنانِ مخلَّدُ
ثم الرضا عن آلِهِ معْ صحبِهِ والتـابعيـنَ ومَـنْ إليهـم يُسنـدُ

وقد أكثر العلماء عنايتهم بهـٰذه العقيدة وبشرحها ؛ حتىٰ إنه من العبث حصرُ أسماء المعتنين بهما ؛ **إذ قد صارت نواة مدرسة عقدية ، ترامت أطرافها** ، وتنوعت مناهج شرحها ، وعانقتها أقلام أعلام العلماء والعارفين ، إلىٰ أن بلغت العشرات[١] .

(١) انظر بعضها في « جامع الشروح والحواشي » (١/ ٢٧١) ، ووراء ما أورده سيلٌ عارم لم يذكره .

عنوان هـٰذه العقيدة وشرحِها :

أمَّا اسم هـٰذه العقيدة : فلا شكَّ أنَّ الإمام السنوسي قد سمَّاها : « **العقيدة الصغرىٰ** »[1] ، وقد يختصر فيقال : « **الصغرىٰ** » ، أو تذكر منسوبةً إلى المصنف فيقال : « **صغرى السنوسي** » ، و« **السنوسية الصغرىٰ** » ، أو « **عقيدة السنوسي** »[2] ، أو « **العقيدة السنوسية** » ، وإذا قيل : « **السنوسية** » فهي المقصودة ، كما عرفت بـ « **ذات البراهين** » قريباً من عصر المؤلف[3] ، وبعدها شاعت تسميتها بـ « **أم البراهين** » .

أما بشأن شرحها : فلم يزد مصنفها على التعريف به بأكثر من « **شرح العقيدة الصغرىٰ** » ، ولـٰكن يطالعنا البغدادي في « هدية العارفين » بأنَّ اسم هـٰذا الشرح هو : « **توحيد أهل العرفان ، ومعرفة الله ورسله بالدليل والبرهان** »[4] ، ولعله اعتمد في هـٰذه النسبة علىٰ ما وجده علىٰ ظهر بعض مخطوطاته .

وقد ورد لهـٰذا الشرح أيضاً اسم آخر موجود في الورقة الأولىٰ من

---

(١) نصَّ علىٰ ذلك العلامة الملالي في « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) ، وبالإضافة إليها عُرفت مختصرتها المسمَّاة بـ « صغرى الصغرىٰ » .

(٢) كذا سمَّاها مؤلفها في حكاية رؤيا حكاها الملالي عنه في « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) .

(٣) قال العلامة الملالي في « المواهب القدسية » (ق ١٠٣) وهو يتحدث عنها : (المسماة عندنا اليوم بـ « ذات البراهين ») .

(٤) انظر « هدية العارفين » (٢/٢١٦) .

النسخة السلطانية المعتمدة له[1] ؛ وهو : « **نبذة التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل والتقليد** » ، وقد تفرَّدت هـٰذه النسخة بهـٰذا العنوان .

ماذا في « شرح العقيدة الصغرىٰ » :

كلُّ تآليف الإمام السنوسي وسمت بالتحقيق ، وشدة التحرِّي والعناية في تقرير العقائد بعيداً عن الأقوال الشاذة ، والاختيارات البعيدة أو التالفة ، وستجد زيادة علىٰ ذلك هنا أموراً ، منها :

ـ تلطيفُهُ القول بشأن التقليد ؛ حيث نقل كلام الإمام أبي بكر بن العربي المالكي ، ثم نعته بالحسن ، وعاب على المقلدين اكتفاءَهم بالتقليد ، واستبعد حصول إيمان جازم عن غير نظر ، وكلامه هنا علىٰ أي حال دون صولته الغبراء في « شرح العقيدة الكبرىٰ » .

ـ ردُّ جميع العقائد التي تحصل بمعرفتها النجاة والفوز عند الله تعالىٰ إلىٰ كلمة التوحيد (لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله) بطريقة لم يسبق إليها .

ـ تأثُّرُهُ الجلي بالإمام محمد الساحلي المالقي صاحب كتاب « بغية السالك في أشرف المسالك » .

ـ الخاتمةُ الذهبية في تطبيق العلوم العقدية ؛ بذكر كلمة الإخلاص بتمامها علىٰ طريقة العارفين المحققين ، وتأكيدُهُ أن كثرة ذكر الله تعالىٰ بها سببٌ لبلوغ أرفع المراتب العليَّة .

---

(١) وهي النسخة (هـ) ، وانظر صورة هـٰذه الورقة (ص ٨٣) .

ـ حرصُهُ أن تكون هـٰذه العقيدة رائدة جميع عقائده وأسماها ؛ وليس هـٰذا لما حوته من علم وتحقيق فحسب ، بل لمبشِّراتٍ حفَّت بها ، ومنازلاتٍ كوشف مؤلفُها بها ، جعلته ـ كما رأيتَ ـ يستحلي سماعها من طلبته إلىٰ أُخريات حياته .

إلىٰ غير ذلك ممَّا لا يخفىٰ علىٰ مطالعه ، نفعنا الله به .

* * *

منهج العمل في الكتاب

ككلِّ كتب الإمام السنوسي امتدَّت يدُ العناية العلمية لهـٰذا الشرح المبارك ؛ إذ كان ممَّن اعتنىٰ بالتحشية عليه أسماءٌ لامعة في سماء علم العقيدة والكلام ؛ كالعلامة **السكتاني** ، والعلامة **ياسين العليمي** ، والعلامة **الجمل** ، والعلامة **المقري** ، والعلامة **الدسوقي** ، وكان لحواشيهم هـٰذه إثراء كبير لهـٰذا الشرح الذي دخل سلاسلَ التعليم العقدية بقدم واثقة ، وكُتبَ له الذيوع ، فكانت هـٰذه العناياتُ نتاجَ اهتمامات متنوعة من قبل العلماء والطلبة .

وقد تمَّ اعتماد خمس نسخ رئيسة في إخراج نصِّهِ ، وثلاث نسخ رافدة للاستئناس والترجيح ؛ حيث قوبلت النسختان (أ ، ب) مقابلة تامة ، وعورضت أكثر العبارات علىٰ باقي النسخ الرئيسة ، ونُظر في مواضعَ يسيرة من نسخ الاستئناس في بعض العبارات الحرجة .

وقد خُرِّجت جميع الآثار والأخبار ، وتمَّ عزوُ الأقوال إلىٰ قائليها علىٰ قدر الاستطاعة ، ذُكر القائل أو لم يذكر ، وشُكِلَ النصُّ شكلاً إعرابيّاً تامّاً ، وزيدَ من ضبط الكلمات المشكلة ، وشُرحَ المشكل ، وعُلِّق عليه باختيارات منتقاة من أشهر الحواشي التي ذُكرت لك .

ولكيلا تطول الحواشي عمدت إلىٰ إنشاء اختصاراتٍ لبيان أصل النقل ، متَّبعاً في ذلك السادةَ العلماء في طريقة تعليقهم ؛ فرمزت لكل حاشية بما يناسبها ، وإليك ما اعتمدت في ذلك مع رمزه :

ـ حاشية العلامة أحمد بن محمد المقري القرشي (ت١٠٤١ هـ) : وهي نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ذات الرقم العام (٥٧٣٧) والخاص (٤٠٦) ، ورُمز لها بـ « **مقري** » .

ـ حاشية العلامة الشيخ ياسين بن زين الدين العليمي الشامي الحمصي (ت ١٠٦١ هـ) : وهي نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ذات الرقم العام (١٤٨١) والخاص (٧١) ، ورُمز لها بـ « **ياسين** » .

ـ حاشية العلامة عيسىٰ بن عبد الرحمـٰن السكتاني (ت١٠٦٢ هـ) : وهي نسخة مكتبة السيدة زينب بالقاهرة ذات الرقم العام (٩٠٧) ، ورُمز لها بـ « **سكتاني** » .

ـ حاشية مجردة من تقييدات وتعليقات العلامة سليمان بن عمر العجيلي المعروف بالجمل (ت١٢٠٤ هـ) : وهي نسخة المكتبة الأزهرية بالقاهرة ذات الرقم العام (٤٤٦٥٣) والخاص (٣٣٥٤) ، ورُمز لها بـ « **جمل** » .

ـ حاشية العلامة محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت١٢٣٠ هـ) : وهي مطبوعة المطبعة العامرة الميمنية سنة (١٢٩٠ هـ) ، ورُمز لها بـ « **دسوقي** » .

كما تمَّ إعداد ترجمةٍ طيبة للإمام السنوسي ، وكلمةٍ عن هٰذا الشرح وأصله ، وعن عموم العقائد السنوسية ، وإعداد فهرسة تفصيلية لأبحاث الكتاب ، إلىٰ غير ذلك ممَّا تقرُّ به عينُ المحبِّين .

وبعد :

فها هي ذي صحيفةُ العمل في سلسلة الإمام السنوسي تُطوىٰ ، وستصبح عمَّا قريبٍ أُحدوثةً لمن أجرىٰ قلمَ العمل بها كما صارت من قبل علماً يُنتفعُ به لمؤلفِها ، وقد كان للفقير الذي قامَ بخدمتها من قرابة اثنتي عشرة سنة زيارةٌ لمشهد الإمام السنوسي في تِلِمْسان المحروسة ، انطلقَتْ لهاتُهُ يومَها فرَجَا أن يكون من جملة خُدَّامه ، ولم تكن ساعتَها أيُّ صورة لهٰذه الخدمة وكيف تكون ، إلىٰ أن أمضى الله بفضله هٰذا الرجاء من غير اختيار ، وأيُّ فضلٍ جرَتْ به الأقدارُ بالانتساب إلىٰ هٰؤلاء الأخيار ؟! روَّى الله جَدَثَهُ بعاطر رحماته ، وأعادَ علينا جميعاً من طيبِ نفحاته ، وجمعَنا به آمنين مطمئنِّين في ريَّا جنَّاته ، آمين .

وكتبه
الفقير لعفو مولاه الغني
أنس محمد عدنان الشرفاوي الحسني

وصف النّسخ الخطّيّة

لـ ((العقيدة الصّغرى))

النسخة الأولى

نسخة مكتبة **الإسكوريال** بإسبانيا ، ذات الرقم (١٥٥٤) ، وهي ضمن مجموع عقدي عتيق ، قريب عهد بالإمام السنوسي ، وقد كتبت هـٰذه النسخة في أواخر القرن التاسع الهجري .

ورمز لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

نسخة المكتبة **الظاهرية** بدمشق ، ذات الرقم (٤٣٦٣) ، والمكتوبة سنة (١٠٩٥ هـ) ، وهي من تملكات عبد السلام الشطي الحنبلي .

ورمز لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة

نسخة المكتبة **الظاهرية** بدمشق (٤٩٥٨) ، والمكتوبة سنة (١١٠٢ هـ) ، وقد اعتني بشكلها وضبطها .

ورمز لها بـ (ج) .

* * *

وصف النّسخ الخطّيّة
لـ « شرح العقيدة الصّغرى »

لعلَّ سمة العناية بهـٰذا الكتاب نسخاً وشرحاً من قبل أعلام العلماء . . كانت سبباً رئيساً في العناية بإخراج النصِّ وضبطه علىٰ ما يرضي مؤلفه بإذن الله تعالىٰ ، ولا سيما أنَّ النصَّ ليس فيه من التعويص ما يوقع في حيص بيص .

وقد تمَّ بفضل الله سبحانه اعتمادُ **خمسِ نسخ خطية رئيسة** ، إضافة إلىٰ **ثلاث نسخ** كانت لمجرد الاستئناس ، عند حصول هَناةٍ من الإلباس ، **وهـٰذه النسخ هي** :

النسخة الأولى

نسخة المكتبة **الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٤٠٧١) والخاص (٦٠٨٨) توحيد مغاربة .

وهي نسخة **تامة** ، كتبت بخط مغربي جلي ، وبلونين متغايرين ؛ حيث كُتب متن « العقيدة الصغرىٰ » بتمامه باللون الأحمر ، وضبطت متناً وشرحاً بالشَّكْل التام ، مع وقوع بعض الأخطاء في ذلك ، ووقعت في (١١٣) ورقة ، وجاء في هوامشها ما يفيد أنها قوبلت وروجعت ،

كما أُثبت عليها بعض المطالب التي راقت لمالكها أو قارئها .

وقع الفراغ من نسخها سنة (١٠٤٣ هـ) ، ولم يُذكر اسم ناسخها ، ولا ذُكر عنوان الكتاب أيضاً ، وقد تفرَّدت هٰذه النسخة ببعض المغايرات ، وعلىٰ ندرة ببعض الزيادات اللطيفة .

ورُمِزَ لها بـ (أ) .

النسخة الثانية

نسخة المكتبة **الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٤٠٧٤) والخاص (٦٠٩١) توحيد مغاربة .

وهي نسخة **تامة** ، كتبت بخط مشرقي جميل ، وكتبت عناوينها باللون الأحمر ، ووقعت في (٥١) ورقة ، وهي نسخة مقابلة كما تفيدنا هوامشها .

وقع الفراغ من نسخها سنة (١١٠١ هـ) ، علىٰ يد ناسخها خليل بن حسن ، وجاء عنوان الكتاب في أولها : « كتاب أم البراهين » وصُحح بقلم محدث بزيادة كلمة : (شرح) ، وقد تطابقت جلُّ خاتمتها مع النسخة (أ) ، إلا أننا نجزم أنها لم تنسخ عنها ؛ وذلك للفروق الجليلة والفاشية بين النسختين ، وكان لهٰذه النسخة أثر كبير في إخراج النصِّ .

ورُمِزَ لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة

نسخة المكتبة **الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩١٤٦١) والخاص (٥٨٦٥) توحيد مغاربة .

وهي نسخة **مبتورة الأول** بتراً يسيراً ؛ حيث افتُتحت بحدِّ المستحيل ، وقد كتبت بخط مشرقي معتاد ، وكتب المتن باللون الأحمر ، ووقعت في (٥١) ورقة أيضاً ، ولو تمت من أولها لجاءت قرابة (٥٥) ورقة ، وهي نسخة مقابلة كما تفيدنا هوامشها ، وعُلِّق عليها ببعض التعليقات العلمية التي أغنتنا عن إثباتها الحواشي العلميةُ الرفيعة المعتمدة .

ولم يذكر العنوان للبتر المشار إليه ، وقد تطابقت جلُّ خاتمتها مع النسخة (أ) أيضاً ، وهي موافقة في كثير من الأحايين لها ، كما أنها لم تؤرَّخ ، ولم يُذكر اسم ناسخها ، ولعلها كُتبت في القرن الحادي عشر علىٰ ما يظهر .

ورُمِزَ لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة

نسخة المكتبة **الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٤٠٧٨) والخاص (٦٠٩٥) توحيد مغاربة .

وهي نسخة **تامة** ، وقد كتبت بخط مشرقي معتاد ، وكتب المتن

باللون الأحمر ، ووقعت في (٧١) ورقة ، وجاء علىٰ هوامشها بعض الفوائد العلمية المفادة على الأغلب من الحواشي العلمية الموضوعة على الكتاب .

جاء العنوان أولها : « شرح السنوسية » ، وقد كتبت سنة (١٠٣٥ هـ) ، ولم يذكر اسم ناسخها ، إلا أنها علىٰ تقدُّمها علىٰ بعض النسخ تاريخاً متأخرةٌ من حيث العناية والضبط ، ولذا أُخِّرت .

ورُمِزَ لها بـ (د) .

النسخة الخامسة

نسخة مكتبة **آيا صوفيا** بإستنبول ، ذات الرقم (٢٣٣٧) .

وهي نسخة **سلطانية تامة** ، وقد كتبت بخط مشرقي رائق ، جاء علىٰ ورقة العنوان منها : (وقد كتبت هـٰذه النسخة الشريفة المباركة المعظمة برسم المقام الشريف الإمام الأعظم والملك المكرم ، خليفة الله في أرضه ، السلطان ابن السلطان ؛ سلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد خان ، عزَّ نصره ، وسقى الله عهدهم) .

جاء في أولها : (هـٰذه العقيدة المسماة بـ « نبذة التوحيد المخرجة من ظلمات الجهل والتقليد »)(١) ، ولم تُؤرَّخ ، كما لم يذكر اسم ناسخها ، إلا أنها ترجع إلىٰ ما قبل سنة (٩١٨ هـ) التي هي سنة وفاة

---

(١) انظر الكلام عن اسم الكتاب (ص ٦٥) .

السلطان المذكور ، والعلم عند الله تعالىٰ .

ورُمِزَ لها بـ (هـ) .

* * *

أما بشأن نسخ الاستئناس فهي :

ـ نسخة مكتبة **سليم آغا** بإستنبول ، ذات الرقم (٣١) ، ضمن مجموع هي في آخره ، وقد كتبت سنة (١٠٧٦ هـ) .

ـ نسخة المكتبة **الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩١٤٢٦) والخاص (٥٨٣٠) توحيد الشوام ، وقد كتبت سنة (١١١٧ هـ) .

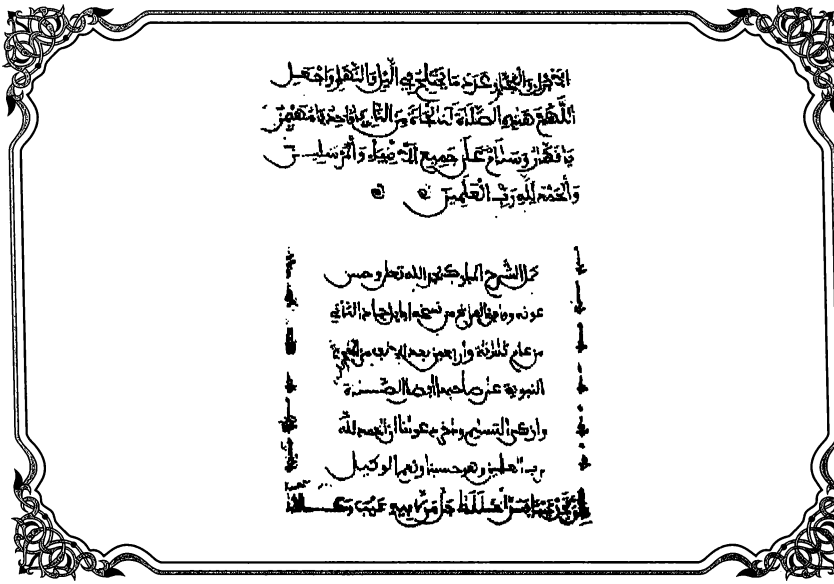
ـ نسخة المكتبة **الأزهرية** بالقاهرة ، ذات الرقم العام (٩٤٠٧٠) والخاص (٦٠٨٧) ، كتبت قبل سنة (١١٣٨ هـ) .

* * *

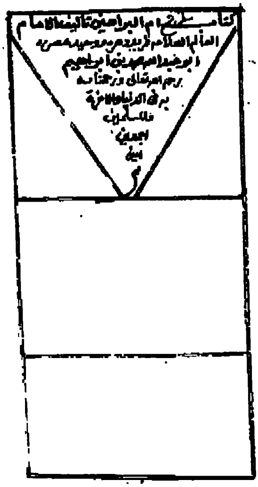
صور من المخطوطات المستعان بها



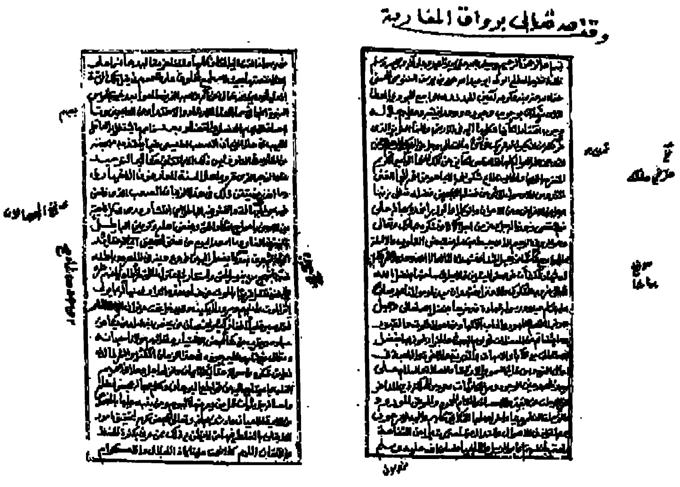
راموز الورقة الأولى من النسخة (أ)



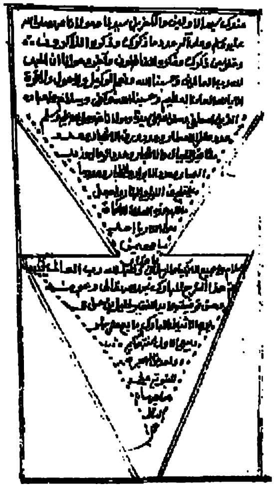
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (أ)



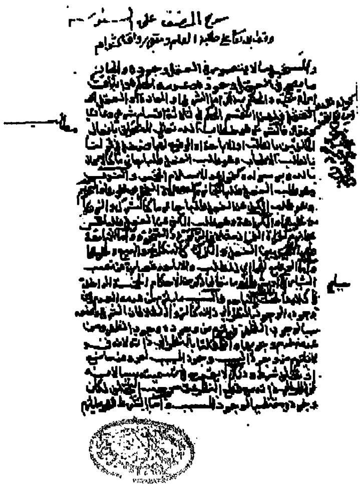
راموز ورقة العنوان من النسخة (ب)



راموز الورقة الأولى من النسخة (ب)



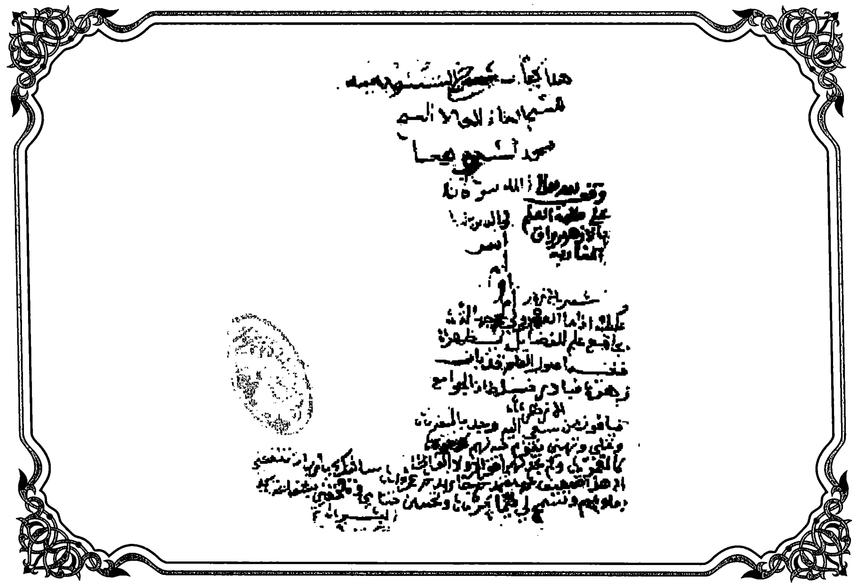
راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)



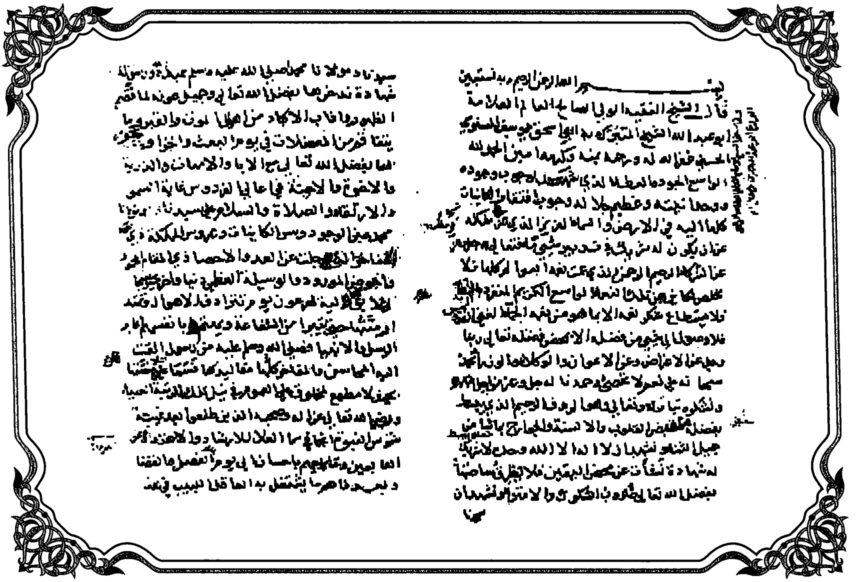
راموز الورقة الأولى من النسخة (ج)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (ج)



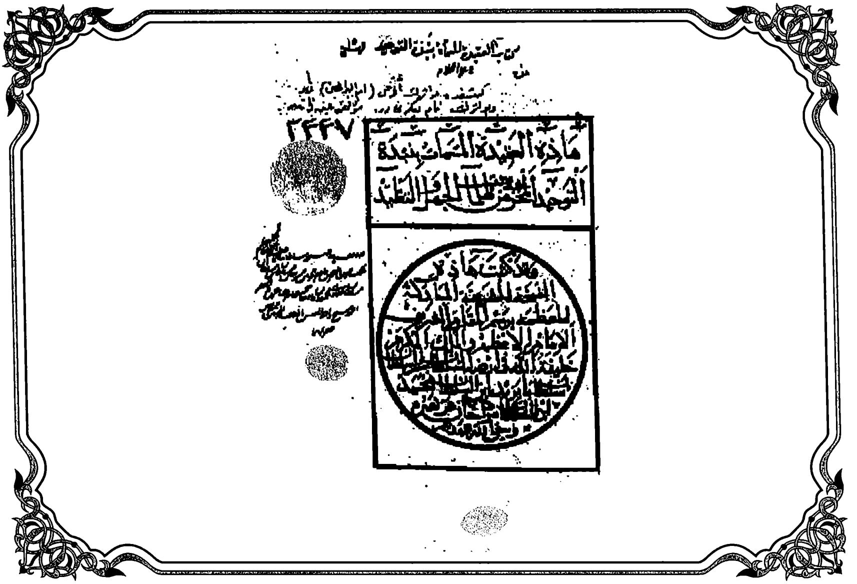
راموز ورقة العنوان من النسخة (د)



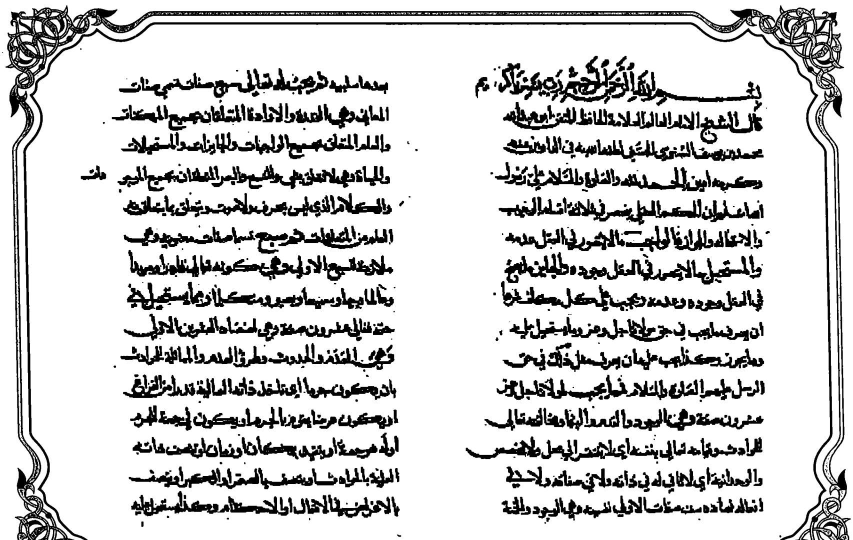
راموز الورقة الأولى من النسخة (د)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (د)



راموز ورقة العنوان من النسخة (هـ)



راموز الورقة الأولى من النسخة (هـ)



راموز الورقة الأخيرة من النسخة (هـ)

مَتْنُ أُمِّ البَرَاهِين

تأليف

مُحيي ما اندرس من الدِّين، وناصر سُنَّة سيّد المرسلين ﷺ

أبي عبد الله محمّد بن يوسف بن عُمر السَّنُوسيّ المالكيّ

(ت ٨٩٥ هـ)

[مقدمةٌ]

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ .

[أقسامُ الحكمِ العقليِّ]

اِعْلَمْ : أَنَّ ٱلْحُكْمَ ٱلْعَقْلِيَّ يَنْحَصِرُ فِي ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ : ٱلْوُجُوبُ ، وَٱلِاسْتِحَالَةُ ، وَٱلْجَوَازُ .

فَٱلْوَاجِبُ : مَا لا يُتَصَوَّرُ فِي ٱلْعَقْلِ عَدَمُهُ .

وَٱلْمُسْتَحِيلُ : مَا لا يُتَصَوَّرُ فِي ٱلْعَقْلِ وُجُودُهُ .

وَٱلْجَائِزُ : مَا يَصِحُّ فِي ٱلْعَقْلِ وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ .

[الكلامُ على المكلفِ ، وما يجبُ عليهِ معرفتُهُ]

وَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ شَرْعاً : أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ ، وَمَا يَجُوزُ ، وَكَذَلِكَ[١] يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي حَقِّ ٱلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ .

فَمِمَّا يَجِبُ لِمَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ : عِشْرُونَ صِفَةً .

---

(١) في (ب ، ج) : (كذا) .

[الصفاتُ الواجبةُ للهِ تعالىٰ]

وَهِيَ : ٱلْوُجُودُ ، وَٱلقِدَمُ ، وَٱلْبَقَاءُ ، وَمُخَالَفَتُهُ تعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ ، وَقِيَامُهُ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ ؛ أَيْ : لا يَفْتَقِرُ إِلَىٰ مَحَلٍّ ، وَلا مُخَصِّصٍ ، وَٱلْوَحْدَانِيَّةُ ؛ أَيْ : لا ثَانِيَ لَهُ فِي ذَاتِهِ ، وَلا فِي صِفَاتِهِ ، وَلا فِي أَفْعَالِهِ .

فَهَـٰذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ ، ٱلأُولَىٰ نَفْسِيَّةٌ ؛ وَهِيَ ٱلْوُجُودُ ، وَٱلْخَمْسَةُ بَعْدَهَا سَلْبِيَّةٌ .

ثُمَّ يَجِبُ لَهُ تَعَالَىٰ سَبْعُ صِفَاتٍ تُسَمَّىٰ : صِفَاتِ ٱلْمَعَانِي .

وَهِيَ ٱلْقُدْرَةُ وَٱلإِرَادَةُ ٱلْمُتَعَلِّقَتَانِ بِجَمِيعِ ٱلْمُمْكِنَاتِ .

وَٱلْعِلْمُ ٱلْمُتَعَلِّقُ بِجَمِيعِ ٱلْوَاجِبَاتِ وَٱلْجَائِزَاتِ وَٱلْمُسْتَحِيلاتِ .

وَٱلْحَيَاةُ ، وَهِيَ لا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ .

وَٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ ٱلْمُتَعَلِّقَانِ بِجَمِيعِ ٱلْمَوْجُودَاتِ .

وَٱلْكَلامُ ٱلَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ ، وَيَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ٱلْعِلْمُ مِنَ ٱلْمُتَعَلَّقَاتِ .

ثُمَّ(١) سَبْعُ صِفَاتٍ تُسَمَّىٰ : صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّةً ،

---

(١) في (ب ، ج) زيادة : (ثم يجب له تعالىٰ) .

وَهِيَ مُلازِمَةٌ لِلسَّبْعِ ٱلأُولَىٰ .

وَهِيَ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ قَادِراً ، وَمُرِيداً ، وَعَالِماً ، وَحَيّاً ، وَسَمِيعاً ، وَبَصِيراً ، وَمُتَكَلِّماً .

[المستحيلاتُ في حقِّهِ سبحانَهُ وتعالىٰ]

وَمِمَّا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ : عِشْرُونَ صِفَةً ؛ وَهِيَ أَضْدَادُ ٱلْعِشْرِينَ ٱلأُولَىٰ .

وَهِيَ : ٱلْعَدَمُ ، وَٱلْحُدُوثُ ، وَطُرُوءُ ٱلْعَدَمِ ، وَٱلْمُمَاثَلَةُ[1] لِلْحَوَادِثِ ؛ بِأَنْ يَكُونَ جِرْماً ؛ أَيْ : تَأْخُذُ ذَاتُهُ ٱلْعَلِيَّةُ قَدْراً مِنَ ٱلْفَرَاغِ ، أَوْ يَكُونَ عَرَضاً يَقُومُ بِٱلْجِرْمِ ، أَوْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ لِلْجِرْمِ ، أَوْ لَهُ هُوَ جِهَةٌ ، أَوْ يَتَقَيَّدَ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ ، أَوْ تَتَّصِفَ ذَاتُهُ ٱلْعَلِيَّةُ بِٱلْحَوَادِثِ ، أَوْ يَتَّصِفَ بِٱلصِّغَرِ أَوِ ٱلْكِبَرِ ، أَوْ يَتَّصِفَ بِٱلأَغْرَاضِ فِي ٱلأَفْعَالِ وَٱلأَحْكَامِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ أَلا يَكُونَ قَائِماً بِنَفْسِهِ ؛ بِأَنْ يَكُونَ صِفَةً يَقُومُ بِمَحَلٍّ ، أَوْ يَحْتَاجَ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ أَلا يَكُونَ وَاحِداً ؛ بِأَنْ يَكُونَ مُرَكَّباً فِي ذَاتِهِ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ مُمَاثِلٌ فِي ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ[2] ، أَوْ

---

(١) في (ب ، ج) : (ومماثلته تعالىٰ) .
(٢) في (ب ، ج) : (في صفاته) بدل (صفاته) .

يَكُونَ مَعَهُ فِي ٱلْوُجُودِ مُؤَثِّرٌ فِي فِعْلٍ مِنَ ٱلأَفْعَالِ .

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى ٱلْعَجْزُ عَنْ مُمْكِنٍ مَا ، وَإِيجَادُ شَيْءٍ مِنَ ٱلْعَالَمِ مَعَ كَرَاهَتِهِ لِوُجُودِهِ ؛ أَيْ : عَدَمِ إِرَادَتِهِ لَهُ تَعَالَىٰ[١] ، أَوْ مَعَ ٱلذُّهُولِ، أَوِ ٱلْغَفْلَةِ، أَوْ بِٱلتَّعْلِيلِ، أَوْ بِٱلطَّبْعِ.

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ أَيْضاً عَلَيْهِ تَعَالَى ٱلْجَهْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ بِمَعْلُومٍ مَا ، وَٱلْمَوْتُ ، وَٱلصَّمَمُ ، وَٱلْعَمَىٰ ، وَٱلْبَكَمُ .

وَأَضْدَادُ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَعْنَوِيَّةِ وَاضِحَةٌ مِنْ هَـٰذِهِ .

[الجائزُ في فعلِهِ سبحانَهُ]

وَأَمَّا ٱلْجَائِزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ فَفِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ .

[براهينُ الصفاتِ الإلـٰهيَّةِ]

أَمَّا بُرْهَانُ وُجُودِهِ تَعَالَىٰ : فَحُدُوثُ ٱلْعَالَمِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْدِثٌ بَلْ حَدَثَ بِنَفْسِهِ[٢] لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ ٱلأَمْرَيْنِ ٱلْمُتَسَاوِيَيْنِ مُسَاوِياً لِصَاحِبِهِ رَاجِحاً عَلَيْهِ بِلا سَبَبٍ ، وَهُوَ مُحَالٌ .

---

(١) إنما فسَّرَ الكراهة بما ذكر مع أن التفسير من وظائف الشراح لا المتون ؛ لأجل أن يحترز من الكراهة الشرعية التي هي من أقسام الحكم الشرعي . « دسوقي » (ص١٥٨) .

(٢) في (أ ، ب ، ج) : (لنفسه) بدل (بنفسه)، والمثبت من نسخ الشرح .

وَدَلِيلُ حُدُوثِ ٱلْعَالَمِ : مُلازَمَتُهُ لِلأَعْرَاضِ ٱلْحَادِثَةِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَمُلازِمُ ٱلْحَادِثِ حَادِثٌ ، وَدَلِيلُ حُدُوثِ ٱلأَعْرَاضِ : مُشَاهَدَةُ تَغَيُّرِهَا مِنْ عَدَمٍ إِلَىٰ وُجُودٍ ، وَمِنْ وُجُودٍ إِلَىٰ عَدَمٍ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْقِدَمِ لَهُ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيماً لَكَانَ حَادِثاً ، فَيَفْتَقِرُ إِلَىٰ مُحْدِثٍ ، وَيَلْزَمُ ٱلدَّوْرُ أَوِ ٱلتَّسَلْسُلُ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْبَقَاءِ لَهُ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ ٱلْعَدَمُ لَٱنْتَفَىٰ عَنْهُ ٱلْقِدَمُ ؛ لِكَوْنِ وُجُودِهِ حِينَئِذٍ يَصِيرُ جَائِزاً لا وَاجِباً ، وَٱلْجَائِزُ لا يَكُونُ وُجُودُهُ إِلا حَادِثاً ، كَيْفَ وَقَدْ سَبَقَ قَرِيباً وُجُوبُ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ ؟!

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ : فَلأَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ شَيْئاً مِنْهَا لَكَانَ حَادِثاً مِثْلَهَا ، وَذَلِكَ مُحَالٌ(١) ؛ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبَقَائِهِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ قِيَامِهِ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ : فَلأَنَّهُ لَوِ ٱحْتَاجَ إِلَىٰ مَحَلٍّ لَكَانَ صِفَةً ، وَٱلصِّفَةُ لا تَتَّصِفُ بِصِفَاتِ ٱلْمَعَانِي وَلا ٱلْمَعْنَوِيَّةِ ، وَمَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ يَجِبُ ٱتِّصَافُهُ بِهِمَا ، فَلَيْسَ

---

(١) في (ب ، ج) : (وهو) بدل (وذلك) .

بِصِفَةٍ ، وَلَوِ ٱحْتَاجَ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ لَكَانَ حَادِثاً ، وَقَدْ قَامَ ٱلْبُرْهَانُ عَلَىٰ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبَقَائِهِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ جَلَّ وَعَزَّ : فَلأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِداً لَزِمَ أَلا يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْعَالَمِ ؛ لِلُزُومِ عَجْزِهِ حِينَئِذٍ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ بِٱلْقُدْرَةِ وَٱلإِرَادَةِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْحَيَاةِ : فَلأَنَّهُ لَوِ ٱنْتَفَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا لَمَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلسَّمْعِ لَهُ تَعَالَىٰ وَٱلْبَصَرِ وَٱلْكَلامِ[1] : فَٱلْكِتَابُ وَٱلسُّنَّةُ وَٱلإِجْمَاعُ[2] ، **وَأَيْضاً** : لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَتَّصِفَ بِأَضْدَادِهَا ، وَهِيَ نَقَائِصُ ، وَٱلنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ مُحَالٌ .

وَأَمَّا بُرْهَانُ كَوْنِ فِعْلِ ٱلْمُمْكِنَاتِ أَوْ تَرْكِهَا جَائِزاً فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً أَوِ ٱسْتَحَالَ عَقْلاً .. لانْقَلَبَ ٱلْمُمْكِنُ وَاجِباً أَوْ مُسْتَحِيلاً ، وَذَلِكَ لا يُعْقَلُ .

---

(١) إطلاق البرهان هنا على الدليل مجازٌ ؛ لعدم تركبه ، ولكونه نقلياً .

(٢) مع ضميمة فهم أهل اللغة . « دسوقي » (ص١٩٩) .

[الكلامُ في النبواتِ]

وَأَمَّا ٱلرُّسُلُ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ : ٱلصِّدْقُ ، وَٱلأَمَانَةُ ، وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ(١) لِلْخَلْقِ .

وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : أَضْدَادُ هَـٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ ؛ وَهِيَ : ٱلْكَذِبُ ، وَٱلْخِيَانَةُ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ نَهْيَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ ، وَكِتْمَانُ(٢) شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ .

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : مَا هُوَ مِنَ ٱلأَعْرَاضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ٱلَّتِي لا تُؤَدِّي إِلَىٰ نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ ٱلْعَلِيَّةِ ؛ كَٱلْمَرَضِ وَنَحْوِهِ .

أَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ صِدْقِهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : فَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَصْدُقُوا لَلَزِمَ ٱلْكَذِبُ فِي خَبَرِهِ تَعَالَىٰ ؛ لِتَصْدِيقِهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلنَّازِلَةِ مَنْزِلَةَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي .

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلأَمَانَةِ لَهُمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : فَلأَنَّهُمْ لَوْ خَانُوا بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ لَٱنْقَلَبَ ٱلْمُحَرَّمُ أَوِ

---

(١) في (أ ، ب ، ج) : (بإبلاغه) ، والمثبت من نسخ الشرح .
(٢) في (ج) : (أو كتمان) .

ٱلْمَكْرُوهُ طَاعَةً فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ؛ لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَمَرَنَا بِٱلِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، وَلا يَأْمُرُ تَعَالَىٰ بِمُحَرَّمٍ وَلا مَكْرُوهٍ ، وَهَـٰذَا بِعَيْنِهِ هُوَ بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلثَّالِثِ .

وَأَمَّا دَلِيلُ جَوَازِ ٱلْأَعْرَاضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ ـ صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ ـ : فَمُشَاهَدَةُ وُقُوعِهَا بِهِمْ ؛ إِمَّا لِتَعْظِيمِ أَجْرِهِمْ ، أَوْ لِلتَّشْرِيعِ ، أَوْ لِلتَّسَلِّي عَنِ ٱلدُّنْيَا ، وَٱلتَّنَبُّهِ[1] لِخِسَّةِ قَدْرِهَا عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَعَدَمِ رِضَاهُ تَعَالَىٰ بِهَا دَارَ جَزَاءٍ لِأَوْلِيَائِهِ ؛ بِٱعْتِبَارِ أَحْوَالِهِمْ فِيهَا عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ .

[العقائدُ المنجيةُ مجتمعةٌ في كلمةِ الشهادةِ]

وَيَجْمَعُ مَعَانِيَ هَـٰذِهِ ٱلْعَقَائِدِ كُلِّهَا قَوْلُ : لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ .

إِذْ مَعْنَى ٱلْأُلُوهِيَّةِ : ٱسْتِغْنَاءُ ٱلإِلَـٰهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَٱفْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ ؛ **فَمَعْنَىٰ (لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ)** : لا مُسْتَغْنِياً عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَمُفْتَقِراً إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إلا ٱللهُ تَعَالَىٰ .

أَمَّا ٱسْتِغْنَاؤُهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ : فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ

---

(١) في (ب ، ج) : (والتنبيه) .

تَعَالَىٰ : ٱلْوُجُودَ ، وَٱلْقِدَمَ ، وَٱلْبَقَاءَ ، وَٱلْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ ، وَٱلْقِيَامَ بِٱلنَّفْسِ ، وَٱلتَّنَزُّهَ عَنِ ٱلنَّقَائِصِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : وُجُوبُ ٱلسَّمْعِ لَهُ تَعَالَىٰ ، وَٱلْبَصَرِ ، وَٱلْكَلامِ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ تَعَالَىٰ هَـٰذِهِ ٱلصِّفَاتُ لَكَانَ مُحْتَاجاً إِلَى ٱلْمُحْدِثِ أَوِ ٱلْمَحَلِّ أَوْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ ٱلنَّقَائِصَ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : تَنَزُّهُهُ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلأَغْرَاضِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ ، وَإِلا لَزِمَ ٱفْتِقَارُهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مَا يُحَصِّلُ غَرَضَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ ٱلْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ؟!

وَكَذَا يُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : أَنَّهُ لا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمُمْكِنَاتِ وَلا تَرْكُهُ ؛ إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً ؛ كَٱلثَّوَابِ مَثَلاً . . لَكَانَ جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِراً إِلَىٰ ذَلِكَ ٱلشَّيْءِ لِيَتَكَمَّلَ بِهِ ؛ إِذْ لا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ إِلا مَا هُوَ كَمَالٌ لَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ ٱلْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ؟!

وَأَمَّا ٱفْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ : فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ تَعَالَى ٱلْحَيَاةَ ، وَعُمُومَ ٱلْقُدْرَةِ ، وَٱلإِرَادَةِ ، وَٱلْعِلْمِ ؛ إِذْ لَوِ ٱنْتَفَىٰ شَيْءٌ مِنْ هَـٰذِهِ لَمَا أَمْكَنَ أَنْ يُوجِدَ تَعَالَىٰ شَيْئاً مِنَ ٱلْحَوَادِثِ ، فَلا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ شَيْءٌ ، كَيْفَ وَهُوَ تَعَالَى ٱلَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟!

وَيُوجِبُ لَهُ تَعَالَى ٱلْوَحْدَانِيَّةَ(١) ؛ إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ تَعَالَىٰ ثَانٍ فِي أُلُوهِيَّتِهِ(٢) لَمَا ٱفْتَقَرَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ؛ لِلُزُومِ عَجْزِهِمَا حِينَئِذٍ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَلا ٱلَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟!

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : حُدُوثُ ٱلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ(٣) ؛ إِذْ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهُ قَدِيماً لَكَانَ ذَلِكَ ٱلشَّيْءُ مُسْتَغْنِياً عَنْهُ تَعَالَىٰ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَلا ٱلَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْتَقِرَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟!

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : أَنْ لا تَأْثِيرَ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ فِي أَثَرٍ مَا ، وَإِلا لَزِمَ أَنْ يَسْتَغْنِيَ ذَلِكَ ٱلأَثَرُ عَنْ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ، كَيْفَ وَهُوَ تَعَالَى ٱلَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ عُمُوماً وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ؟!

هَـٰذَا إِنْ قَدَّرْتَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ يُؤَثِّرُ بِطَبْعِهِ .

وَأَمَّا إِنْ قَدَّرْتَهُ مُؤَثِّراً بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ كَمَا يَزْعُمُهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْجَهَلَةِ . . فَذَلِكَ مُحَالٌ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ حِينَئِذٍ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِراً فِي إِيجَادِ بَعْضِ ٱلأَفْعَالِ إِلَىٰ وَاسِطَةٍ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ ؛ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوبِ ٱسْتِغْنَائِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

---

(١) كلمة التوحيد يؤخذ منها وجوب الوحدانية بالمطابقة ، وما ذُكر زيادة تأكيد .

(٢) في (ب ، ج) : (الألوهية) بدل (ألوهيته) .

(٣) قوله : (**بأسره**) ردٌّ على القائلين بأنه قديم بالمادة حادث بالأشخاص .

فَقَدْ بَانَ لَكَ بِهَـٰذَا : تَضَمُّنُ قَوْلِ (لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ) لِلأَقْسَامِ ٱلثَّلاثَةِ ٱلَّتِي يَجِبُ عَلَى ٱلْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا فِي حَقِّ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ؛ وَهِيَ : مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ ، وَمَا يَجُوزُ .

وَأَمَّا قَوْلُنَا : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَيَدْخُلُ فِيهِ ٱلإِيمَانُ بِسَائِرِ ٱلأَنْبِيَاءِ وَٱلْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ، وَٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ جَاءَ بِتَصْدِيقِ جَمِيعِ ذَٰلِكَ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : وُجُوبُ صِدْقِ ٱلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ، وَٱسْتِحَالَةُ ٱلْكَذِبِ عَلَيْهِمْ ، وَإِلا لَمْ يَكُونُوا رُسُلاً أُمَنَاءَ لِمَوْلانَا ٱلْعَالِمِ بِٱلْخَفِيَّاتِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَٱسْتِحَالَةُ فِعْلِ ٱلْمَنْهِيَّاتِ كُلِّهَا ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ أُرْسِلُوا لِيُعَلِّمُوا ٱلْخَلْقَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ ، فَيَلْزَمُ أَلا يَكُونَ فِي جَمِيعِهَا مُخَالَفَةٌ لِأَمْرِ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ٱلَّذِي ٱخْتَارَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلْخَلْقِ ، وَأَمِنَهُمْ عَلَىٰ سِرِّ وَحْيِهِ(١) .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : جَوَازُ ٱلأَعْرَاضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ [ٱلَّتِي

---

(١) يقال : أَمِنَهُ وآمَنَه علىٰ كذا ؛ إذا جعله مؤتمناً عليه ، قال تعالىٰ حاكياً قول سيدنا يعقوب علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف : ٦٤] .

لا تُؤَدِّي إِلَىٰ نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ ٱلْعَلِيَّةِ] عَلَيْهِمُ [ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ][1] ؛ إِذْ ذَاكَ لا يَقْدَحُ فِي رِسَالَتِهِمْ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، بَلْ ذَاكَ[2] مِمَّا يَزِيدُ فِيهَا .

فَقَدِ ٱتَّضَحَ لَكَ تَضَمُّنُ كَلِمَتَيِ ٱلشَّهَادَةِ مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا لِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَى ٱلْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عَقَائِدِ ٱلإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ .

وَلَعَلَّهَا لِاخْتِصَارِهَا مَعَ ٱشْتِمَالِهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ جَعَلَهَا ٱلشَّرْعُ تَرْجَمَةً عَلَىٰ مَا فِي ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلإِيمَانِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ ٱلإِسْلامَ إِلا بِهَا[3] .

فَعَلَى ٱلْعَاقِلِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهَا ، مُسْتَحْضِراً لِمَا ٱحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِ ٱلإِيمَانِ ، حَتَّىٰ تَمْتَزِجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ ؛ فَإِنَّهُ يَرَىٰ لَهَا مِنَ ٱلأَسْرَارِ وَٱلْعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَا لا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ ، وَبِٱللهِ تَعَالَى ٱلتَّوْفِيقُ ، لا رَبَّ غَيْرُهُ ، وَلا مَعْبُودَ سِوَاهُ .

---

(١) ما بين معقوفين في الموضعين ليس في (أ ، ب ، ج) ، والمثبت من نسخ الشرح .

(٢) في (أ ، ب ، ج) : (ذلك) ، والمثبت من نسخ الشرح .

(٣) في (أ ، ب ، ج) : جاءت كلمتي (الإيمان) و(الإسلام) كل منهما محل الأخرىٰ ، والمثبت من نسخ الشرح .

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَأَحِبَّتَنَا عِنْدَ ٱلْمَوْتِ نَاطِقِينَ بِكَلِمَتَيِ ٱلشَّهَادَةِ عَالِمِينَ بِهَا .

وَصَلَّى ٱللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا ذَكَرَهُ ٱلذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ ٱلْغَافِلُونَ ، وَرَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ أَجْمَعِينَ ، وَعَنِ ٱلتَّابِعِينَ وَتَابِعِ ٱلتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ، وَسَلَامٌ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ ، وَٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

* * *

شرح العقيدة الصغرى

وهو شرح العقيدة المسمّاة بـ «أمّ البراهين»

تأليف

محيي ما اندرس من الدين، وناصر سنّة سيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم

أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي المالكي

(ت ٨٩٥ هـ)

شرف بخدمته

أنس محمد عدنان الشرفاوي

دار التقوى
دمشق الشام

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

قالَ الفقيهُ الصالحُ الوليُّ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يوسفَ السنوسيُّ الحسنيُّ عفا اللهُ عنهُ بمنِّهِ وكرمِهِ ، آمينَ :

الحمدُ للهِ الواسعِ الجودِ والعطاءِ ، الذي شهدَ بوجوبِ وجودِهِ ووحدانيَّتِهِ وعظيمِ جلالِهِ وجوبُ افتقارِ الكائناتِ كلِّها إليهِ في الأرضِ والسماءِ[(١)] ، **العزيزِ** الذي عزَّ مُلْكُهُ عن أنْ يكونَ لهُ شريكٌ في تدبيرِ شيءٍ ما فتعالىٰ وجلَّ عنِ الشركاءِ[(٢)] ، **الرحيمِ الرحمـٰنِ** الذي عمَّتْ نعمُهُ العوالمَ كلَّها فلا مَخْلَصَ لكائنٍ عن تلكَ النَّعماءِ[(٣)] ، **الواسعِ**

---

(١) قوله : (**في الأرض والسماء**) **أراد بهما** : جهتي السفل والعلو . « ياسين » (ق ٦) .

(٢) في (ب) : (في ملكه) بدل (ملكُهُ) ، وكلٌّ من النسختين صحيح ، ولمَّا ضمَّن (عزَّ) معنىٰ (تنزَّهَ) عدَّاه بـ (عن) ، **والتدبير** : إن أضيف إلى العبد كان معناه النظرَ في عواقب الأمور ، وإن أضيف إليه تعالىٰ كان معناه إيجادَ الشيء علىٰ وجهٍ مُحْكم متقن . مفادٌ « دسوقي » (ص٦) .

(٣) قوله : (**الرحيم الرحمـٰن**) سلك فيه طريق الترقي ، والأكثر طريق التدلي كما في البسملة ؛ ووجهُ الترقي : الانتقال من الوصف بالإنعام بدقائق النعم إلىٰ =

الكريمِ المنفردِ بالإيجادِ فلا يُستطاعُ شكرُ نعمِهِ إلا بما هو مِنْ نعمِهِ الجماءِ[(١)] ، **الغنيِّ القدُّوسِ** فلا وصولَ إلىٰ شيءٍ مِنْ فضلِهِ إلا بمحْضِ فضلِهِ تعالىٰ ربُّنا وجلَّ عنِ الأغراضِ والأعوانِ والوكلاءِ والوزراءِ[(٢)] .

نحمدُهُ سبحانَهُ علىٰ نِعَمٍ لا تُحصىٰ وحمدُنا لهُ جلَّ وعزَّ مِنْ أجلِّ الآلاءِ[(٣)] ، **ونشكرُهُ** تباركَ وتعالىٰ وهو الرؤوفُ الرحيمُ الذي يبسطُ بفضلِهِ مُنقبِضَ القلوبِ والألسنةِ والجوارحِ بما شاءَ مِنْ جميلِ الثناءِ[(٤)] .

ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةً نشأَتْ عن محضِ اليقينِ فلا يطرقُ ساحتَها بفضْلِ اللهِ تعالىٰ ضروبُ الشكوكِ والامتراءِ[(٥)] ، **ونشهدُ** أنَّ سيِّدَنا ومولانا محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عبدُهُ ورسولُهُ شهادةً ندَّخرُها بفضْلِ اللهِ تعالىٰ وجميلِ عونِهِ لما قصمَ الظُّهورَ وأذابَ الأكبادَ مِنْ أهوالِ الموتِ والقبرِ وما يتفاقمُ مِنَ

= جلائلها ، **والمخلص** : الخلوص ، **والنعماء** : جمع نعمة ، أو مفرد مرادف لها . مفادٌ « دسوقي » (ص٧) .

(١) **الواسع** : مَنْ كَثُرت تعلُّقات قدرته ، **والجمَّاء** : الكثيرة ، وقد عبَّر المصنف عن هـٰذا المعنىٰ في « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ٣٠٣) : (من الطويل)

لكَ الحمدُ مولانا علىٰ كلِّ نعمةٍ ... ومِنْ جملةِ النعماءِ قولي لكَ الحمدُ
فـلا حمـدَ إلا أنْ تمـنَّ بنعمـةٍ ... تعاليتَ لا يقوىٰ علىٰ شكرِكَ العبدُ

(٢) **الغني القدوس** : اسمان دالان على التنزيه ، ناسب ذكرهما السياق .

(٣) **الآلاء** : النِّعَم ، و(**لا تحصىٰ**) : لا تتناهىٰ تعلُّقاتُها .

(٤) **الرأفةُ** : رحمةٌ خاصَّة ؛ وهي إيصال المنحة بلا محنة .

(٥) **ضروب الشكوك** : أنواعها ، فدخل فيها الظنُّ والوهم ، **والامتراء** : الشكُّ، أو شكٌّ خاصٌّ ؛ وهو ما يكون مع الشُّبهِ من غير حَلِّها ، أو يكون مع الجدل .

المعضلاتِ في يومِ البعثِ والجزاءِ ، ونحوزُ بها بفضْلِ اللهِ تعالىٰ معَ الآباءِ والأمهاتِ والذريَّةِ والإخوةِ والأحبَّةِ في أعالي الفردوسِ غايةَ السموِّ والارتقاءِ .

والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ عينِ الوجودِ وسرِّ الكائناتِ وعروسِ المملكةِ ذي المفاخرِ السنيَّةِ التي جلَّتْ عنِ العدِّ والإحصاءِ[1] ، ذي المقامِ المحمودِ والحوضِ الموردِ والوسيلةِ العظمىٰ دنيا وأخرىٰ وملجأِ الخلائقِ كلِّهم وإليهِ يُهرَعونَ يومَ تترادفُ الأهوالُ وتمتدُّ أَزْمَتُها حتىٰ يتبرَّأَ مِنَ الشفاعةِ ويهتمَّ بأنفسِهم أكابرُ الرُّسُلِ والأنبياءِ[2] .

فصلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ رسولٍ ألقَتْ إليهِ المحاسنُ والمفاخرُ كلُّها مقاليدَها فسما علىٰ أعلىٰ مِنَصَّتِها بحيثُ لا مطمعَ لمخلوقٍ على العمومِ في نيلِ تلكَ الرتبةِ العلياءِ ، **ورضيَ اللهُ عن آلِهِ وصحبِهِ** الذينَ طلعوا بعدَ غَيبةِ شموسِ النبوَّةِ أنجماً في سماءِ العلا للإرشادِ والاهتداءِ ، وعنِ التابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الفصْلِ والقضاءِ .

---

(١) قوله : (**عين الوجود**) **يحتمل** : أنه أراد العين الباصرة أو الشمس ، على التشبيه أو الاستعارة ، **ويحتمل** : أنه أراد بالعين خيارَ الشيء . « ياسين » (ق ١٥) ، أو أشار إلىٰ أوَّليته عليه الصلاة والسلام وإلىٰ طينته النورانية ، علىٰ أن العالم ينتهي إلىٰ جوهره عليه الصلاة والسلام ، وانظر في ذلك « معارج القدس » (ص١١٧) .

(٢) **يهرعون** : يسرعون المشيَ في اضطراب ؛ من أُهرع الرجل ؛ إذا أقبل يرعد ويسرع ، **والأزمة**: الشدَّة .

وبعدُ :

فأهمُّ ما يشتغلُ بهِ العاقلُ اللبيبُ في هـٰذا الزمانِ الصعْبِ : أنْ يسعىٰ فيما ينقذُ بهِ مهجتَهُ مِنَ الخلودِ في النارِ ، **وليسَ ذلكَ إلا بإتقانِ عقائدِ التوحيدِ على الوجْهِ الذي قرَّرَهُ أئمَّةُ أهلِ السنَّةِ العارفونَ الأخيارُ** ، وما أندرَ مَنْ يُتقِنُ ذلكَ في هـٰذا الزمانِ الصعبِ الذي فاضَ فيهِ بحرُ الجهالاتِ وانتشرَ فيهِ الباطلُ أيَّ انتشارٍ ، ورمىٰ في كلِّ ناحيةٍ مِنَ الأرضِ بأمواجِ إنكارِ الحقِّ وبُغْضِ أهلِهِ وتزيينِ الباطلِ بالزخرفِ الغارِّ ! وما أسعدَ مَنْ وُفِّقَ اليومَ لتحقيقِ عقائدِ إيمانِهِ ثم عرفَ بعدَ ذلكَ ما يُضطرُّ إليهِ مِنْ فروعِ دينِهِ في ظاهرِهِ وباطنِهِ حتى ابتهجَ سرُّهُ بنورِ الحقِّ واستنارَ ، ثم اعتزلَ الخلْقَ طُرّاً طاوياً عنهم شرَّهُ إلىٰ أنْ ينتقلَ قريباً بالموتِ عن فسادِ هـٰذهِ الدارِ(١) ! فهنيئاً لهُ بما يرىٰ إثْرَ الموتِ مِنْ نعيمٍ وسرورٍ لا يُكيَّفُ ولا يدخلُ تحتَ ميزانِ الأنظارِ(٢) ، لقد صبرَ قليلاً ففازَ كثيراً فسبحانَ مَنْ يخصُّ بفضلِهِ مَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ ويقرِّبُ مَنْ

---

(١) انظر شكوى المصنف من أهل زمانه في « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ١٢٣) ، وفي سياق المصنف تنبيهٌ علىٰ أهمِّ شروط العزلة ؛ كإتقان العلم المصحح للعبادة ، واعتقاد كفِّ شرِّهِ عن الناس ، لا العكس ؛ فقد روى البخاري (٢٧٨٦) ، ومسلم (١٨٨٨) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قيل : يا رسول الله ؛ أيُّ الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مؤمنٌ مجاهدٌ في سبيلِ اللهِ بنفسِهِ ومالِهِ » ، قالوا : ثم مَنْ ؟ قال : « مؤمنٌ في شِعبٍ مِنَ الشعابِ يتقي اللهَ ، ويدعُ الناسَ مِنْ شرِّهِ » .

(٢) **يعني** : لا يدرك بالفكر والنظر فضلاً عن أن يكون ضرورياً .

شاءَ ويبعدُ مَنْ شاءَ بمحضِ الاختيارِ(١) .

[مِنَّـةُ اللهِ تعالىٰ على المصنِّفِ بتأليفِهِ لعقائدِهِ المشهورةِ]

وقد ألهمَ مولانا سبحانَهُ بفضلِهِ وعظيمِ جودِهِ في هـٰذا الزمانِ الكثيرِ الشرِّ لما لا نطيقُ شكرَهُ مِنْ معرفةِ عقائدِ الإيمانِ(٢) ، وأنزلَها جلَّ وعزَّ في صميمِ القلبِ بما يُحتاجُ إليهِ مِنْ قواطعِ البرهانِ(٣) ، وعلَّمَ سبحانَهُ بمحضِ فضلِهِ وإحسانِهِ جزئيَّاتٍ قلَّ مَنْ يعرفُها اليومَ ومَنْ ينبِّهُ عليها بالخصوصِ مِنَ الأئمَّةِ الأعيانِ(٤) ، وأرشدَ سبحانَهُ بمحْضِ كرمِهِ لتحقيقِ أمورٍ قدِ ابتُليَ بالغلطِ فيها مَنْ لا يُظَنُّ بهِ ذلكَ ممَّنْ عُرِفَ بكثرةِ الحفظِ والإتقانِ .

اللهمَّ ؛ كما أنعمتَ فزدْنا يا ذا الجلالِ والإكرامِ بفضلِكَ وتمِّمْ لنا ذلكَ بحُسْنِ الخاتمةِ والحلولِ إثْرَ الموتِ معَ الأحبَّةِ في دارِ الأمانِ ،

---

(١) قوله : (**فسبحانَ من يخصُّ**. . .) كالتعليل لقوله قبلُ : (لقد صبر قليلاً ففاز كثيراً) ، وتأكيد لنفي الأغراض عنه سبحانه .

(٢) قوله : (**لما لا نطيق**) اللام زائدة في المفعول الثاني ، وليست أصلية متعلقة بـ (ألهم) لأنه يتعدىٰ للمفعول الثاني بنفسه ؛ قال تعالىٰ : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٨]. « دسوقي » (ص١٩) ، والمفعول الأول محذوف ، تقديره : وقد ألهمَنا . « جمل » (ق٤) ، وكذا يقال في (وعلَّمَ ، وأرشد) الآتيين .

(٣) **يعني** : أنزل المعرفةَ مصاحبة أو ملابسةً للأدلة القاطعة للتردُّد .

(٤) **أراد بالجزئيات** : المسائل الجزئية المتفرِّعة عن المسائل الكلية ؛ كنفْي الأغراض عن أفعاله وأحكامه تعالى المتفرِّعة عن مسألة (لا يجب على الله تعالىٰ شيء) .

ولا تجعلْنا يا أرحمَ الراحمينَ مِنَ المستدرَجينَ بنعمتِكَ يا ذا الفضلِ والامتنانِ ، فبكرمِ جلالِكَ وعلوِّ ذاتِكَ ثم برحمتِكَ المهداةِ إلينـا سيِّدِنا ومولانا محمَّـدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] نعوذُ بِكَ مِنَ السلبِ بعدَ العطاءِ ومِنْ عذابِكَ الذي لا يُطاقُ ومِنْ أنْ تُلحقَنا بأهلِ الخيبةِ والحرمانِ .

[تعظيمُ نعمةِ اللهِ على المصنِّفِ بتأليفِهِ « العقيدةَ الصغرىٰ » ، وبيانُ فضلِها]

ومِنْ جملةِ نِعَمِ مولانا العظيمةِ ، ومِنَحِهِ الفائقةِ الكريمةِ : أنْ وفَّقَنا سبحانَهُ لوضْعِ عقيدةٍ صغيرةِ الجِرْمِ ، كثيرةِ العلمِ ، محتويةٍ علىٰ جميعِ عقائدِ التوحيدِ ، ثم تأييدِها بالبراهينِ القطعيَّةِ القريبةِ لكلِّ مَنْ لهُ نظرٌ سديدٌ ، ثم ختمناها بشيءٍ لم نرَهُ سَمَحَ بهِ أحدٌ غيرُنا مِنَ المتقدِّمينَ ولا مِنَ المتأخِّرينَ[2] ؛ وهو أنَّا شرحنا كلمتيِ الشهادةِ التي لا غنىٰ للمُكلَّفِ عن معرفتِها ، وإلىٰ عَذْبِ مواردِها يشتدُّ عطشُ المتعطِّشينَ ؛

---

(١) قوله : (فبكرم) الفاء زائدة لتزيين اللفظ ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من ضمير (نعوذ) أي : نعوذ بك من السلب . . . إلىٰ آخره ، حالةَ كوننا متوسلين إليك في قبول دعائنا بكرم جلالك . « دسوقي » (ص٢١) ، أو واقعة في جواب شرط مقدر ، وهي مقدمة من التأخير ؛ أي : فإذا أجيب سؤالنا . « ياسين » (ق١٩) ، وانظر علة تقديم لفظ (السيد) على (المولىٰ) في « شرح صغرى الصغرىٰ » (ص ١١٨) .

(٢) نفىٰ رؤيةَ سماح غيره بذلك ، لا نفسَ السماحة ؛ تحرِّياً للصدق ، ولإمكان أن يكون غيره سمح به ولم يره هو ، وقد ذكر الحَلِيميُّ في « المنهاج » ما يقرب من صنيع المصنف . « ياسين » (ق٢٠) .

إذْ بها تُقرعُ أبوابُ فضْلِ اللهِ تعالىٰ للدخولِ في زمرةِ النبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ ، وبإتقانِ معرفتِها يسلمُ العبدُ مِنْ آفاتِ الخلودِ في غضبِ اللهِ تعالىٰ ويرتقي بفضْلِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ أعلىٰ علِّيِّينَ(١) ، وذكرنا معناها أوَّلاً ثم بيَّنَّا وجْهَ دخولِ جميعِ عقائدِ الإيمانِ فيها بحيثُ تبتهجُ عندَ ذلكَ بذكرِها قلوبُ المتقينَ ، وينبسطُ علىٰ بواطنِهم وظواهرِهم ما انطوىٰ مِنْ محاسنِها فأصبحوا يتبخترونَ في حُلَلِ معارفِها بينَ رياضِ الجنَّةِ مُتردِّدينَ .

فدونَكَ أيُّها المتعطِّشُ للدخولِ في زمرةِ أولياءِ اللهِ تعالىٰ **عقيدةً لا يعدلُ عنها بعدَ الاطلاعِ عليها والاحتياجِ إلىٰ ما فيها إلا مَنْ هو مِنَ المحرومينَ ؛ إذْ لا نظيرَ لها فيما علمتُ وهي بفضْلِ اللهِ تعالىٰ تزهو بمحاسنِها علىٰ كبارِ الدواوينِ** ، فثِقْ بها أيُّها الحافظُ لها إنْ فهمتَها بغايةِ الأُمْنيَّةِ(٢) ، واشكرِ اللهَ تعالىٰ إذْ مَنَّ عليكَ بنعمةٍ عظيمةٍ طُرِدَ عنها كثيرٌ مِنَ الخلقِ فباؤوا في أصولِ عقائدِهم بأعظمِ رزيَّةٍ ، وأخلِصْ لي مِنْ دعائِكَ إذْ أخرجَها مِنْ جوفي وحرَّكَ بها يدي ولساني مولايَ المنفردُ بإيجادِ الكائناتِ كلِّها والعالِمُ بكلِّ طويَّةٍ .

---

(١) قوله : (**في غضب الله**) **أراد به** : النار مجازاً ؛ بدليل مقابلته ، **وعليُّون** : كتاب جامع لأعمال أهل الخير ، فيكون أعلاهُ صدرَهُ ، وقيل : مكان في السماء السابعة تحت العرش فيه أرواح المؤمنين . مفادٌ « ياسين » (ق٢١) بتصرف .

(٢) أي : بغاية ما يتمنَّاه أهل العقول من الكمالات ، وغاية الكمالات التي يتمنَّاها أهل العقول : معرفة العقائد على الوجه الحق ، وقوله : (**بغاية**) علىٰ حذف مضاف ؛ أي : بحصول غاية الأمنية . « دسوقي » (ص٢٦) .

[بيانُ فضْلِ هـٰذا الشرحِ المباركِ]

وهـٰأنا أُمِدُّكَ ثانياً بعونِ اللهِ تعالىٰ بشرحٍ لها مختصرٍ يُكْمِلُ لكَ منها المقصودَ[1] ، ويكشفُ لكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى الغطاءَ عمَّا انبهمَ عليكَ منها مِنَ المعنى المسدودِ ، فتظفرُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ بكِيمِياءِ السعادةِ وإكسيرِ النجاةِ[2] ، وتظلُّ تجتني بها إنْ وفَّقَكَ اللهُ تعالىٰ ثمراتِ الإيمانِ إلىٰ أنْ ينزلَ بكَ عَرَضُ المماتِ .

وهـٰذا أوانُ الشروعِ في هـٰذا الشرحِ المباركِ بفضْلِ اللهِ تعالى الكريمِ الوهَّابِ ، نسألُهُ سبحانَهُ أنْ يعينَني عليهِ ويُوفِّقَني فيهِ لعينِ الصوابِ[3] ، بجاهِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ آلِهِ ومَنِ انتمىٰ إليهِ وحازَ بمشاهدتِهِ أعظمَ شرفٍ مِنْ ساداتِنا الأصحابِ .

* * *

---

(١) قوله : (**هـٰأنا**) فيه إدخال هاء التنبيه علىٰ ضمير الرفع المنفصل مع أن الخبر ليس باسم إشارة ، ومثله يقع في تراكيب العلماء ، وقيل : إنه ليس بعربي ، وقوله : (**يكمل لك منها المقصود**) لا ينافي ما سبق من صفاتها ؛ لأنه إما علىٰ وجه المبالغة ، أو بالنسبة لعلم المصنف . « ياسين » (ق٢٣) .

(٢) **الإكسير** : الكيمياء ، **والنجاة** : السعادة ، فالعطف مرادف . « دسوقي » (ص٢٧) ، ويوقف على (النجاة) بالتاء ، أو على (الممات) بالهاء ؛ مراعاةً للسجعة .

(٣) قوله : (**نسأله سبحانه**) جملة مستأنفة ، والسؤال قسمان : سؤالُ استخبار ، ويتعدَّىٰ بـ (عن) نحو : سألته عن حاله ، وسؤال استعطاف وهو المراد هنا ، ويتعدىٰ بنفسه ؛ نحو سألته العفوَ ، ولذا قيل : إنَّ (عن) في قوله : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ [الأنفال : ١] صلةٌ . « ياسين » (ق٢٣) .

[الكلامُ على الحمدِ والشكرِ]

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ عَلَىٰ رَسُولِ ٱللهِ .

الحمدُ : هو الثناءُ بالكلامِ على المحمودِ بجميلِ صفاتِهِ ، سواءٌ كانَتْ[1] مِنْ بابِ الإحسانِ ، أو مِنْ بابِ الكمالِ المختصِّ بالمحمودِ ؛ كعلمِهِ وشجاعتِهِ مثلاً .

وإنَّما قلنا : (الثناءُ بالكلامِ) عوضاً عن قولِ بعضِهم : (الثناءُ باللسانِ) ليشملَ الحدُّ الحمدَ القديمَ والحادثَ .

والشكرُ : هو الثناءُ باللسانِ أو بغيرِهِ مِنَ القلبِ وسائرِ الأركانِ على المنعِمِ بسببِ ما أسدىٰ إلى الشاكرِ مِنَ النِّعَمِ .

فبينَهُ وبينَ الحمدِ عمومٌ وخصوصٌ مِنْ وجهٍ ؛ يعني : أنَّ الحمدَ أعمُّ مِنَ الشكرِ بحسَبِ المتعلَّقِ ؛ لأنَّهُ يتعلَّقُ بالكمالِ سواءٌ كانَ إحساناً أو غيرَهُ ، والشكرُ لا يتعلَّقُ إلا بالإحسانِ ، والشكرُ أعمُّ مِنَ الحمدِ بحسَبِ المحلِّ ؛ لأنَّهُ يكونُ باللسانِ والقلبِ وسائرِ الجوارحِ[2] ،

---

(١) أي : تلك الصفات ، فهو تقسيم للمحمود عليه . « ياسين » (ق٢٥) .

(٢) في هامش (ب) نسخة زيادة : كما قال الشاعر : [من الطويل]

أفادَتْكمُ النعماءُ مِنِّي ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المحجَّبا =

والحمدُ لا يكونُ إلا باللسانِ .

والصلاةُ مِنَ اللهِ تعالىٰ علىٰ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] : زيادةُ تَكرِمةٍ وإنعامٍ ، وسلامُهُ عليهِ : زيادةُ تأمينٍ لهُ وطيبُ تحيَّةٍ وإعظامٍ .

* * *

= وما أحسبُ أنه من كلام المصنف هنا ؛ إذ قد أورده في « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ١٣٢) وقال : (وفي الاستدلال به نظر ؛ إذ لم يطلق الشاعر لفظ الشكر على الثلاثة حتىٰ يستدلَّ بلفظه) ثم وجَّهَهُ بأنه استدلالٌ معنوي ، والبيت أورده الزمخشري في « الفائق » (١/ ٣١٤) دون نسبة ، وانظر « عروس الأفراح » (١/ ٣٦) .

(١) لم يصرح باسمه عليه الصلاة والسلام ؛ لأن لفظ (رسول الله) صار علماً بالغلبة عليه صلى الله عليه وسلم ، وقال العارف بالله تعالىٰ عبد الغني النابلسي في « الأنوار الإلـٰهية » (ص٥٥) : (ولم يصرِّح باسمه الشريف ؛ لأنه هو الرسول من الله تعالىٰ حقيقة إلىٰ كافة الخلق ، والمرسلون جميعهم كالنائبين عنه في تبليغ الرسالة إلى العالمين) ثم قال : (من البسيط)

كلُّ النبيينَ وَٱلرُّسْلِ الكرامِ أتَوا ... نيابةً عنهُ في تبليغِ دعواهُ

فهو الرسولُ إلىٰ كلِّ الخلائقِ في ... كلِّ الدهورِ ونابَتْ عنهُ أفواهُ

أقسام الحكم

اَعْلَمْ : أَنَّ ٱلْحُكْمَ ٱلْعَقْلِيَّ يَنْحَصِرُ فِي ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ : ٱلْوُجُوبُ ، وَٱلِاسْتِحَالَةُ ، وَٱلْجَوَازُ .

فَٱلْوَاجِبُ : مَا لا يُتَصَوَّرُ فِي ٱلْعَقْلِ عَدَمُهُ .

وَٱلْمُسْتَحِيلُ : مَا لا يُتَصَوَّرُ فِي ٱلْعَقْلِ وُجُودُهُ .

وَٱلْجَائِزُ : مَا يَصِحُّ فِي ٱلْعَقْلِ وُجُودُهُ وَعَدَمُهُ .

الحكمُ : هو إثباتُ أمرٍ أو نفيُهُ(١) .

والحاكمُ بذلكَ : إمَّا الشرعُ ، أوِ العادةُ ، أوِ العقلُ .

فلهـٰذا انقسمَ الحكمُ إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ : **شرعيٍّ** ، **وعاديٍّ** ، **وعقليٍّ**(٢) .

---

(١) انظر « شرح المقدمات » (ص ١١١) ، ففيه التمهيد لهـٰذا المبحث .

(٢) **اعلم** : أن المقصود بالذات إنما هو قوله : (ويجب علىٰ كل مكلف . . .) إلىٰ آخره ، وإنما قدم هـٰذا لأن معرفة أقسام الحكم العقلي مما يتوقف عليه الشروع في هـٰذا الفن ؛ لاستمداده منها ؛ لأن صاحب علم الكلام تارة يثبتها ، وتارة ينفيها . « ياسين » (ق ٣٢) ، وقوله في المتن : (**اعلم**) يعني : يا طالب معرفة الله تعالىٰ ، ومعنى (اعلم) : ابحثْ لتحصِّلَ اليقين والجزم بما سأذكر لك .

[الكلامُ على الحكمِ الشرعيِّ]

فالشرعيُّ : هو خطابُ اللهِ تعالى المتعلِّقُ بأفعالِ المكلَّفينَ بالطلبِ أوِ الإباحةِ ، أوِ الوضعِ لهما .

[الأحكامُ التكليفيَّةُ]

فدخلَ في قولِنا : (بالطلبِ) أربعةٌ[1] :

الإيجابُ : وهو طلبُ الفعلِ طلباً جازماً ؛ كالإيمانِ باللهِ تعالىٰ وبرسلِهِ ، وكقواعدِ الإسلامِ الخمسِ .

والندبُ : وهو طلبُ الفعلِ طلباً غيرَ جازمٍ ؛ كصلاةِ الفجرِ ونحوِها[2] .

والتحريمُ : وهو طلبُ الكفِّ عنِ الفعلِ طلباً جازماً ؛ كالشرْكِ والزنا ونحوِهما .

والكراهةُ : وهي طلبُ الكفِّ عنِ الفعلِ طلباً غيرَ جازمٍ ؛ كقراءةِ القرآنِ في الركوعِ والسجودِ مثلاً[3] .

---

(١) قوله : (**أربعة**) أثبتت من (أ) وحدها ، وهي كذلك في « شرح المقدمات » (ص ١١٨) .

(٢) **صلاة الفجر هنا** : سنَّتُها ، ومثَّلَ بعضهم بالضحىٰ ، ولعلَّه أوضح .

(٣) قال العلامة السرقسطي البناني في « المواهب اللدنية » (ص١١) : (وإنما كره ذلك فيهما ؛ لأنهما محلُّ تذلُّلٍ ، وكلام الله تعالىٰ يجلُّ قراءته في تلك الحالة) .

وأمَّا الإباحةُ : فهي إذنُ الشارعِ في الفعلِ والتركِ ؛ كالنكاحِ والبيعِ ونحوِهما[1] .

[الأحكامُ الوضعيةُ]

وأمَّا الوضعُ لهما ؛ أي : للطلبِ والإباحةِ : فعبارةٌ عن نصْبِ الشارعِ سبباً أو شرطاً أو مانعاً لما ذُكِرَ مِنَ الأحكامِ الخمسةِ الداخلةِ في كلامِنا تحتَ الطلبِ والإباحةِ[2] .

فالسببُ : ما يلزمُ مِنْ وجودِهِ الوجودُ ، ومِنْ عدمِهِ العدمُ ، بالنظرِ إلىٰ ذاتِهِ ؛ كالزوالِ مثلاً ؛ فإنَّ الشارعَ وضعَهُ سبباً لوجوبِ الظُّهْرِ ، فيلزمُ مِنْ وجودِهِ وجوبُ الظهرِ ، ومِنْ عدمِهِ عدمُ وجوبِها .

وإنَّما قلنا : (بالنظرِ إلىٰ ذاتِهِ) لأنَّهُ قد لا يلزمُ مِنْ وجودِ السببِ وجودُ المسبَّبِ ؛ لعروضِ مانعٍ أو تخلُّفِ شرطٍ ، وذلكَ لا يقدحُ في تسميتِهِ سبباً ؛ لأنَّهُ لو نُظِرَ إلىٰ ذاتِهِ معَ قطعِ النظرِ عن موجبِ التخلُّفِ . . لكانَ وجودُهُ مقتضياً لوجودِ المسبَّبِ .

وأمَّا الشرطُ : فهو ما يلزمُ مِنْ عدمِهِ العدمُ ، ولا يلزمُ مِنْ وجودِهِ

---

(١) يعني : نظراً إلىٰ حقيقتهما الأصلية ، وإلا فقد يعرض لهما ما يخرجهما عن الإباحة المذكورة كما تقرَّر في محله . « ياسين » (ق٤١) .

(٢) قوله : (**الداخلة**) أي : الأحكام الخمسة باعتبار مجموعها (**تحت الطلب والإباحة**) باعتبار مجموعهما أيضاً ، فلا يرد علىٰ كلام الشارح لزومُ أن الإباحة تدخل تحت نفسها ؛ لأنها في الداخل والمدخول تحته ، فتأمَّل ، حفني . « جمل » (ق٩) .

وجودٌ ولا عدمٌ لذاتِهِ ، **ومثالُهُ** : الحولُ بالنسبةِ إلىٰ وجوبِ الزكاةِ في العينِ والماشيةِ ؛ فإنَّهُ يلزمُ مِنْ عدمِ تمامِ الحولِ عدمُ وجوبِ الزكاةِ فيما ذُكِرَ ، ولا يلزمُ مِنْ وجودِ تمامِ الحولِ وجوبُ الزكاةِ ولا عدمُ وجوبِها ؛ لتوقُّفِ وجوبِ الزكاةِ علىٰ ملكِ النصابِ ملكاً كاملاً .

وأمَّا المانعُ : فهو ما يلزمُ مِنْ وجودِهِ العدمُ ، ولا يلزمُ مِنْ عدمِهِ وجودٌ ولا عدمٌ لذاتِهِ ، **مثالُهُ** : الحيضُ ؛ فإنَّهُ يلزمُ مِنْ وجودِهِ عدمُ وجوبِ الصلاةِ مثلاً ، ولا يلزمُ مِنْ عدمِهِ وجوبُ الصلاةِ ولا عدمُ وجوبِها ؛ لتوقُّفِ وجوبِها علىٰ أسبابٍ أُخَرَ قد تحصلُ عندَ عدمِ الحيضِ وقد لا تحصلُ .

فخرجَ مِنْ هـٰذا : أنَّ السببَ يؤثِّرُ بطرفيهِ ؛ أعني : طرفي وجودِهِ وعدمِهِ ، والشرطَ يؤثِّرُ بطرفِ عدمِهِ فقطْ في العدمِ فقطْ ، والمانعَ يؤثِّرُ بطرفِ وجودِهِ فقطْ في العدمِ فقطْ ، ومحلُّ استيفاءِ ما يتعلَّقُ بمباحثِ الحكمِ الشرعيِّ في فنِّ الأصولِ .

[الكلامُ على الحكمِ العاديِّ]

وأمَّا الحكمُ العاديُّ : فحقيقتُهُ : إثباتُ الربطِ بينَ أمرٍ وأمرٍ وجوداً أو عدماً بواسطةِ تكرُّرِ القِرانِ بينَهما على الحسِّ (١) .

مثالُ ذلكَ : الحكمُ على النارِ بأنَّها محرقةٌ ، فهـٰذا حكمٌ عاديٌّ ؛ إذْ

---

(١) في هامش (ب) مصححاً زيادة : (مع صحة التخلُّف وعدم تأثيرِ أحدهما في الآخر ألبتةَ) .

معناهُ : أنَّ الإحراقَ يقترنُ بمسِّ النارِ في كثيرٍ مِنَ الأجسامِ ؛ لمشاهدةِ تكرُّرِ ذلكَ على الحسِّ ، وليسَ معنىٰ هـٰذا الحكمِ أنَّ النارَ هي التي أثَّرَتْ في إحراقِ ما مسَّتْهُ مثلاً أو في تسخينِهِ ؛ **إذْ هـٰذا المعنىٰ لا دلالةَ للعادةِ عليهِ أصلاً** ، وإنَّما غايةُ ما دلَّتْ عليهِ العادةُ الاقترانُ فقطْ بينَ الأمرينِ ، أمَّا تعيينُ فاعلِ ذلكَ فليسَ للعادةِ فيهِ مدخلٌ ، ولا منها يُتلقَّىٰ علمُ ذلكَ ، وقِسْ علىٰ هـٰذا سائرَ الأحكامِ العاديَّةِ ؛ ككونِ الطعامِ مشبعاً ، والماءِ مروياً ، والشمسِ مضيئةً ، والسكينِ قاطعةً ، ونحوِ ذلكَ ممَّا لا ينحصرُ ، **وإنَّما يُتلقَّى العلمُ بفاعلِ هـٰذهِ الآثارِ المقارنةِ لهـٰذهِ الأشياءِ مِنْ دليلَيِ العقلِ والنقلِ** ، وقد أطبقَ العقلُ والشرعُ على انفرادِ المولىٰ جلَّ وعزَّ باختراعِ جميعِ الكائناتِ عموماً(١) ، وأنَّهُ لا أثرَ لكلِّ ما سواهُ تعالىٰ في أثرٍ ما جملةً وتفصيلاً .

وقد غلطَ قومٌ في تلكَ الأحكامِ العاديَّةِ ؛ فجعلوها عقليَّةً ، وأسندوا وجودَ كلِّ أثرٍ منها لما جرَتِ العادةُ أنَّهُ يوجدُ معَهُ ؛ إمَّا بطبعِهِ ، أو بقوَّةٍ أُودعَتْ فيهِ(٢) ، فأصبحوا في هوسٍ ذميمٍ ، وبدعةٍ

---

(١) مع القطع أن العلاقة بين السبب والمسبَّب العلمُ بها ضروري ، واعتبرها الشرع وبنىٰ أحكامه عليها ، قال العلامة الفرهاري في « النبراس » (ص٥٨١) : (قال المحققون : العلم العادي علمٌ يقيني ضروري ، جرت عادة الله بخلقه في العاقل مع حكم العقل بأن نقيضه غير محال) ، فما ينسبُ للأشاعرة من عدم الاكتراث بالربط العادي . . زيفٌ وافتراء .

(٢) **اعتقاد الناس في الأسباب العادية على أربعة أوجهٍ** :
ـ **الطبائعيون** : فالأشياء المؤثِّرةُ تؤثِّر عندهم بطبعها ، فلا يصحُّ التخلُّف ، وقد =

شنيعةٍ في أصولِ العقائدِ وشركٍ عظيمٍ[1] ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

نسألُهُ سبحانَهُ النجاةَ إلى المماتِ مِنْ مضلاتِ الفتنِ ، والمرورَ ظاهراً وباطناً علىٰ أهدىٰ سننٍ[2] ، بجاهِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ آلِهِ .

[الكلامُ على الحكمِ العقليِّ]

وأمَّا الحكمُ العقليُّ : فهو عبارةٌ عمَّا يُدرِكُ العقلُ بمجرَّدِهِ ثبوتَهُ أو نفيَهُ مِنْ غيرِ توقُّفٍ علىٰ تكرُّرٍ ولا وضْعِ واضعٍ[3] .

= حكى ابن دهاق الإجماع علىٰ كفرهم .

ـ **القائلـون بالقوة المودعـة** : فالتخلُّف لا يتصور عندهم ، ولـٰكن رجعوا في خلق أصل التأثير (القدرة الحادثة) إلى الله تعالىٰ ، وهم فسَّاق مبتدعة .

ـ **القائلون بالربط العقلي دون اعتقاد الطبع والقوة المودعة** : وهـٰؤلاء يعتقدون الملازمة أيضاً ، وهـٰذا اعتقاد يؤول بصاحبه للكفر .

ـ **من يعتقد أنها أسباب عادية مع انفراده سبحانه بالخلق** : وهم أهل الحق ، والتلازم عندهم أمارة ودليل فقط ، والمؤثر هو الله تعالىٰ .

وانظر « شرح المقدمات » (ص ١٧٨) .

(١) وهو شرك الأسباب ، وانظر تفصيله في « شرح المقدمات » (ص ١٨٨) .

(٢) **كأنه قال** : نسأله تعالىٰ أن يجعل لساننا وقلبنا مارَّين على الطريق المستقيم ؛ بألا ينطق لسانه إلا بما في النطق به ثواب ، ويعتقد قلبُهُ كلَّ ما هو صواب . « دسوقي » (ص ٤٨) .

(٣) جعل العقل مُدرِكاً من تجوُّز إسناد الشيء إلىٰ آلته ؛ لأن المدرك حقيقة هو النفس ، وهو آلة الإدراك . « ياسين » (ق٥٦) .

وهٰذا الثالثُ هو الذي تعرَّضْنا لهُ في أصلِ العقيدةِ ، فقولُنا : (**الحكمُ العقليُّ**) احترازٌ مِنَ الشرعيِّ والعاديِّ ، وقد عرفْتَ معناهما .

قولُهُ : (**ينحصرُ في ثلاثةِ أقسامٍ**) يعني : أنَّ كلَّ ما يُتصوَّرُ في العقلِ ـ أي : يدركُهُ ـ لا يخلو عن هٰذهِ الثلاثةِ الأقسامِ ؛ أي : لا بدَّ لهُ أنْ يتَّصفَ بواحدٍ منها ؛ إمَّا بالوجوبِ ، أوِ الاستحالةِ ، أوِ الجوازِ .

[حدُّ الواجبِ]

قولُهُ : (**فالواجبُ** : ما لا يُتصوَّرُ في العقلِ عدمُهُ) يعني : أنَّ الواجبَ العقليَّ(١) : هو الأمرُ الذي لا يُدرَكُ في العقلِ عدمُهُ(٢) ؛ إمَّا ابتداءً بلا احتياجٍ إلىٰ سبقِ نظرٍ ، **ويُسمَّى الضروريَّ** ؛ كالتحيُّزِ للجرمِ مثلاً ؛ فإنَّ العقلَ ابتداءً لا يُدرِكُ انفكاكَ الجرمِ عنِ التحيُّزِ ؛ أي : أخْذِ قدْرِ ذاتِهِ مِنَ الفراغِ ، وإمَّا بعدَ سبقِ النظرِ ؛ **ويُسمَّىٰ نظريّاً** ؛ كالقدمِ لمولانا جلَّ وعزَّ ؛ فإنَّ العقلَ إنَّما يُدرِكُ وجوبَهُ لهُ تعالىٰ إذا فكَّرَ وعرفَ

---

(١) **مراده** : الواجب الأعمُّ من المطلق والمقيد ؛ بدليل تمثيله بالتحيز للجرم ؛ فإنه واجب مقيد ؛ أي : ما دام الجرم . « ياسين » (ق٥٨) ، وجعله في « شرح المقدمات » (ص ١٤١) تعريفاً للواجب الذاتي ، وقال : (وإنما لم يحتج إلىٰ تقييد الواجب بالذاتي ؛ لأنه عند الإطلاق لا يُحمل إلا على الذاتي ، ولا يُحمل على العرضي إلا بالتقييد) .

(٢) **يعني** : لا يدرك العقل نفيه ؛ سواء كانت حقيقة ذلك الواجب وجودية ؛ كذات الله تعالىٰ ، أو عدمية ؛ كقدمه وبقائه سبحانه ، فلا يقال : العقل يدرك عدم الأوليّة للقديم تعالىٰ مثلاً ، والأحسن أن تعتبرَ السلوب أموراً ذهنية ؛ وعليه يكون لها وجودٌ في الذهن ، فتكون داخلة في التعريف .

ما يترتَّبُ علىٰ ثبوتِ الحدوثِ لهُ جلَّ وعزَّ مِنَ الدورِ أوِ التسلسلِ الواضحَيِ الاستحالةِ .

فقد عرفْتَ بهـٰذا انقسامَ الواجبِ إلىٰ ضروريٍّ ونظريٍّ .

[حدُّ المستحيلِ]

قولُهُ : (**والمستحيلُ** : ما لا يُتصوَّرُ في العقلِ وجودُهُ) يعني أيضاً : ابتداءً ، أو بعدَ سبْقِ النظرِ .

فمثالُ الأوَّلِ : عروُّ الجرمِ عنِ الحركةِ والسكونِ ؛ أي : تجرُّدُهُ عنهما معاً ؛ بحيثُ لا يوجدُ فيهِ واحدٌ منهما ؛ فإنَّ العقلَ ابتداءً لا يتصوَّرُ ثبوتَ هـٰذا المعنىٰ للجرمِ .

ومثالُ الثاني : كونُ الذاتِ العليَّةِ جِرْماً تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ؛ فإنَّ استحالةَ هـٰذا المعنىٰ عليهِ جلَّ وعزَّ إنَّما يدركُهُ العقلُ بعدَ أنْ يسبقَ لهُ النظرُ فيما يترتَّبُ علىٰ هـٰذا مِنَ المستحيلِ ؛ وهو الجمعُ بينَ النقيضينِ ؛ وذلكَ أنَّهُ قد وجبَ لمولانا جلَّ وعزَّ القدمُ والبقاءُ ؛ لئلا يلزمَ الدورُ أوِ التسلسلُ حينَئذٍ لو كانَ تعالىٰ حادثاً سبحانَهُ ، فلو كانَ تعالىٰ جِرماً لوجبَ لهُ الحدوثُ ، تعالىٰ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ؛ لما تقرَّرَ مِنْ وجوبِ الحدوثِ لكلِّ جِرمٍ ، فيلزمُ إذاً لو كانَ تعالىٰ جِرْماً أنْ يكونَ واجبَ القدمِ ؛ لألوهيَّتِهِ ، وواجبَ الحدوثِ ؛ لجرميَّتِهِ تعالىٰ عن ذلكَ ، وذلكَ جمعٌ بينَ النقيضينِ لا محالةَ .

فقد عرفْتَ أيضاً بهـٰذا : انقسامَ المستحيلِ إلىٰ ضروريٍّ ونظريٍّ .

[حدُّ الجائزِ]

قولُهُ : (**والجائزُ** : ما يصحُّ في العقلِ وجودُهُ وعدمُهُ) يعني أيضاً : إمَّا ضرورةً ، وإمَّا بعدَ سبْقِ النظرِ .

فمثالُ الأوَّلِ : اتصافُ الجرمِ بخصوصِ الحركةِ ؛ فإنَّ العقلَ يدركُ ابتداءً صحَّةَ وجودِها للجرمِ وصحَّةَ عدمِها لهُ .

ومثالُ الثاني : تعذيبُ المطيعِ الذي لم يعصِ اللهَ قطُّ طرفةَ عينٍ ؛ فإنَّ العقلَ إنَّما يحكمُ بجوازِ هـٰذا التعذيبِ في حقِّهِ عقلاً بعدَ أنْ ينظرَ في برهانِ الوحدانيَّةِ ويعرفَ أنَّ الأفعالَ كلَّها مخلوقةٌ لمولانا جلَّ وعزَّ ، لا أثرَ لكلِّ ما سواهُ تعالىٰ في أثرٍ ما ألبتةَ ، فيلزمُ مِنْ ذلكَ استواءُ الإيمانِ والكفرِ والطاعةِ والمعصيةِ عقلاً ، وأنَّ كلَّ واحدٍ مِنْ هـٰذهِ يصحُّ أنْ يُجعَلَ أمارةً علىٰ ما جُعِلَ الآخرُ أمارةً عليهِ[1] .

والظلمُ علىٰ مولانا جلَّ وعزَّ مستحيلٌ كيفَما فعلَ أو حكمَ[2] ؛ إذِ الظلمُ هو التصرُّفُ علىٰ خلافِ الأمرِ ، ومولانا جلَّ وعزَّ هو الآمرُ الناهي المبيحُ المحرِّمُ ، فلا أمْرَ ولا نهْيَ يتوجَّهُ إليهِ مِنْ سواهُ ؛ إذْ كلُّ

---

(١) قوله : (**من هـٰذه**) المذكورات الأربع ، سكت عن المباح والمكروه للعلم بهما بطريق المقايسة ، وقوله : (**يصلح أن يُجعل أمارة**) أي : بجعل الله تعالىٰ . « ياسين » (ق٧٥) .

(٢) هـٰذا علة لمحذوف ؛ أي : وليس في جعل أحدهما علامة علىٰ ما جعل الآخر علامة عليه . . ظلمٌ ؛ لأن الظلم علىٰ مولانا محال ، فلا تتعلق به قدرته ؛ لأنها إنما تتعلق بالممكنات . « دسوقي » (ص٥٥) .

ما سواهُ ملكٌ لهُ جلَّ وعلا[(١)] ، لا يُبْدِئُ شيئاً ولا يعيدُهُ[(٢)] ، ولا أثرَ لهُ في شيءٍ ألبتةَ ، ولا شريكَ لهُ تعالىٰ في مُلْكِهِ ، ولا يُسألُ عمَّا يفعلُ .

فصحَّ إذاً أنْ يُدرِكَ العقلُ لكلٍّ مِنَ المؤمنِ والكافرِ والمطيعِ والعاصي صحَّةَ وجودِ الثوابِ والعقابِ أو عدمِهما[(٣)] ، واختصاصُ كلِّ واحدٍ بما اختصَّ بهِ مِنْ ذلكَ إنَّما هو بمحضِ اختيارِ مولانا جلَّ وعزَّ ، لا بسببٍ عقليٍّ اقتضىٰ ذلكَ ، لكنَّ إدراكَ العقلِ لجوازِ هٰذا المعنىٰ موقوفٌ علىٰ تحقيقِ النظرِ الذي قدَّمنا .

فبانَ لكَ بهٰذا : أنَّ الجائزَ ينقسمُ أيضاً إلىٰ قسمينِ ؛ ضروريٍّ ونظريٍّ ، كما انقسمَ القسمانِ اللذانِ قبلَهُ .

واتضحَ بهٰذا : أنَّ الأقسامَ الثلاثةَ قد تفرَّعَتْ إلىٰ ستةِ أقسامٍ ؛ مِنْ ضربِ ثلاثةٍ في اثنينِ ؛ إذْ كلُّ قسمٍ منها فيهِ قسمانِ .

وإنَّما قيَّدنا الصحَّةَ بالعقلِ في حقِّ الجائزِ[(٤)] ؛ فقلنا فيهِ : (ما يصحُّ في العقلِ) ليدخلَ فيهِ نحوُ جوازِ العذابِ في حقِّ المطيعِ ؛ فإنَّ العقلَ هو الحاكمُ بصحَّةِ وجودِ العذابِ وعدمِهِ في حقِّهِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ لو وقعَ كلٌّ منهما لم يلزمْ مِنْ وقوعِهِ نقصٌ في حقِّ مولانا تعالىٰ ولا محالٌ ألبتةَ ، **أمَّا الشرعُ** : فقد بيَّنَ أنَّ اللهَ تعالىٰ قدِ اختارَ بمحْضِ

---

(١) في (ب) وحدها خلافاً لسائر النسخ : (مَنْ) بدل (ما) .

(٢) قوله : (**لا يبدئ**) أي : لا يُوجِد ابتداءً ، وقوله : (**ولا يعيده**) أي : لا يُوجِد بعد العدم . « دسوقي » (ص٥٦) .

(٣) قوله : (**لكلٍّ**) متعلق بقوله بعدُ : (صحة وجود . . .) .

(٤) ولم نطلقها ، ونقول : ما يصحُّ وجوده وعدمه . « ياسين » (ق٧٦) .

فضلِهِ للمؤمنِ المطيعِ أحدَ الأمرينِ الجائزينِ في حقِّهِ ؛ وهو الثوابُ والنعيمُ المقيمُ ، كما اختارَ تعالىٰ بعدلِهِ للكافرِ الجائزَ الآخرَ ؛ وهو النارُ والعذابُ الأليمُ .

واعلمْ : أنَّ الحركةَ والسكونَ للجِرْمِ يصحُّ أنْ يُمثَّلَ بهما لأقسامِ الحكمِ العقليِّ الثلاثةِ ؛ **فالواجبُ العقليُّ** : ثبوتُ أحدِهما لا بعينِهِ للجِرْمِ ، **والمستحيلُ** : نفيُهما معاً عنِ الجرمِ ، **والجائزُ** : ثبوتُ أحدِهما بالخصوصِ للجرمِ .

واعلمْ : أنَّ معرفةَ هـٰذهِ الأقسامِ الثلاثةِ وتكريرَها تأنيسَ القلبِ بأمثلتِها[١] ؛ حتىٰ لا يحتاجَ الفكرُ في استحضارِ معانيها إلىٰ كلفةٍ أصلاً . . ممَّا هو ضروريٌّ علىٰ كلِّ عاقلٍ يريدُ أنْ يفوزَ بمعرفةِ اللهِ تعالىٰ ومعرفةِ رُسُلِهِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، بل قد قالَ إمامُ الحرمينِ وجماعةٌ : إنَّ معرفةَ هـٰذهِ الأقسامِ الثلاثةِ هي نفسُ العقلِ ، فمَنْ لم يعرفْها فليسَ بعاقلٍ أصلاً[٢] .

* * *

---

(١) قوله : (**تأنيسَ القلب**) بالنصب مفعول لأجله ، وقوله : (تكريرَها) قبلُ : معطوف علىٰ قوله : (معرفةَ) ، وخبر (أنَّ) هو قوله الآتي : (مما هو ضروري) ، وفي (د) وحدها : (للقلب) بدل (القلب) ، وعليه يقع تكلُّف في الإعراب ؛ بجعل (تكريرها) مبتدأ ، و(تأنيسٌ) خبراً له ، ولا داعي إليه ، وعند العلامة الدسوقي في « حاشيته » (ص٥٨) نسخة : (تأنيساً) وهي مؤكدة للمثبت .

(٢) انظر « البرهان » لإمام الحرمين (ص١١١) .

وَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُكَلَّفٍ شَرْعاً : أَنْ يَعْرِفَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ ، وَمَا يَجُوزُ ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي حَقِّ ٱلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ .

يعني : أنَّهُ يجبُ شرعاً علىٰ كلِّ مُكلَّفٍ ـ وهو البالغُ العاقلُ(١) ـ أنْ يعرفَ ما ذكرَ ؛ لأنَّهُ بمعرفةِ ذلكَ يكونُ مؤمناً مُحقِّقاً في إيمانِهِ ، علىٰ بصيرةٍ في دينِهِ .

وإنَّما قالَ : (يعرفَ) ولم يقلْ : (يجزمَ) إشارةً منهُ إلىٰ أنَّ المطلوبَ في عقائدِ الإيمانِ المعرفةُ ؛ **وهي الجزمُ المطابقُ عن دليلٍ**(٢) ،

---

(١) لعله لم يزد شرط بلوغ الدعوة ـ ولا بد منه عند المحققين ـ ؛ لتقييده الوجوب بالشرع ، أو لظهور دعوته صلى الله عليه وسلم وعمومها في الأقطار .

(٢) وقع هنا في (أ) زيادة ليست في سائر النسخ : (واحترز بقوله : « **المطابق** » ـ أي : للحق لما في نفس الأمر ـ من الجزم غير المطابق ؛ كالجزم بالكفريات علىٰ سبيل التقليد لأئمة الكفر ، واحترز بقوله : « **عن دليل** » من الجزم المطابق للحق المستند إلىٰ غير دليل ولا أصل) ، وقوله : (**المطابق**) قال العلامة الدسوقي في « حاشيته » (ص٦٣) : (أي : المطابق مُتعلَّقه ؛ وهو النسبة المعتقدة ؛ إذ المطابقة إنما تعتبر بين النسبة المعتقدة ، وبين النسبة التي في =

ولا يكفي فيها التقليدُ ؛ **وهو الجزمُ المطابقُ في عقائدِ الإيمانِ بلا دليلٍ**[1] .

وإلىٰ وجوبِ المعرفةِ وعدمِ الاكتفاءِ بالتقليدِ ذهبَ جمهورُ أهلِ العلمِ ؛ كالشيخِ الأشعريِّ والقاضي أبي بكرٍ الباقلانيِّ وإمامِ الحرمينِ[2] ، وحكاهُ ابنُ القصَّارِ عن مالكٍ أيضاً[3] .

ثم اختلفَ الجمهورُ القائلونَ بوجوبِ المعرفةِ :

فقالَ بعضُهم : المقلِّدُ مؤمنٌ إلا أنَّهُ عاصٍ بترْكِ المعرفةِ التي ينتجُها النظرُ الصحيحُ .

وقالَ بعضُهم : إنَّهُ مؤمنٌ ولا يعصي إلا إذا كانَتْ فيهِ أهليَّةٌ لفهمِ النظرِ الصحيحِ .

وقالَ بعضُهم : المقلِّدُ ليسَ بمؤمنٍ أصلاً ، وقد أنكرَهُ بعضُهم[4] .

ولإمامِ الحرمينِ في « الشاملِ » تقسيمُ المكلَّفينَ إلىٰ أربعةِ أقسامٍ :

= نفس الأمر ؛ وهو علم الله ، وقيل : اللوح المحفوظ) .

(١) هـٰذا حدٌّ للتقليد الذي التحقيقُ القول بنجاة صاحبه ، أما مطلق التقليد فقد عرَّفه الإمام ابن عرفة في « المختصر الكلامي » (ص١١٠) بأنه اعتقاد جازم بقولِ غير معصوم .

(٢) انظر « شرح العقيدة الكبرىٰ » (ص ١٤١) ، و« شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص١٤٨) .

(٣) انظر « الذخيرة » للعلامة القرافي (١٣/ ٢٣١) .

(٤) هـٰذا خلاف ما صححه في « شرح الكبرىٰ » وادعى الإجماع عليه . « ياسين » (ق٨٦) .

فمَنْ عاشَ بعدَ البلوغِ زماناً يسعُهُ للنظرِ ونظرَ . . لم يُختلَفْ في صحَّةِ إيمانِهِ ، وإنْ لم ينظرْ لم يُختلَفْ في عدمِ صحَّةِ إيمانِهِ ، ومَنْ عاشَ بعدَهُ زماناً لا يسعُهُ للنظرِ ، وشغلَ ذلكَ الزمانَ اليسيرَ بما يقدرُ عليهِ فيهِ مِنْ بعضِ النظرِ . . لم يُختلَفْ في صحَّةِ إيمانِهِ ، وإنْ أعرضَ عنِ استعمالِ فكرِهِ فيما يسعُهُ ذلكَ الزمانُ اليسيرُ بما يقدرُ عليهِ فيهِ مِنَ النظرِ . . ففي صحَّةِ إيمانِهِ قولانِ ؛ **والأصحُّ** : عدمُ الصحَّةِ[1] .

قلتُ : ولعلَّ هـٰذا التقسيمَ إنَّما هو في حقِّ مَنْ لا جزمَ معَهُ بعقائدِ الإيمانِ أصلاً ولو بالتقليدِ .

وذهبَ غيرُ الجمهورِ إلىٰ أنَّ النظرَ ليسَ بشرطٍ في صحَّةِ الإيمانِ ، بل وليسَ بواجبٍ أصلاً ، وإنَّما هو مِنْ شروطِ الكمالِ فقطْ ، وقدِ اختارَ هـٰذا القولَ الشيخُ العارفُ الوليُّ ابنُ أبي جمرةَ والقشيريُّ وابنُ رشدٍ والإمامُ أبو حامدٍ الغزاليُّ وجماعةٌ[2] .

---

(١) انظر « الشامل » لإمام الحرمين (ص١٢٢) ، و« المختصر الكلامي » للإمام ابن عرفة (ص١١٢) .

(٢) وقد نصَّ حجة الإسلام الغزالي علىٰ هـٰذا في مواضع متفرقة من كتبه ، مع ذمِّهِ الشديد لصاحب هـٰذه الرتبة والراضي بها إن أمكنه التزحزح عنها ، وقد قال في « إحياء علوم الدين » (١/٥٦) : (فإذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السنِّ ضحوة نهار مثلاً . . فأول واجب عليه تعلم كلمتي الشهادة وفهم معناهما ؛ وهو قول : لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله ، **وليس يجب عليه أن يحصِّل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة** ، بل يكفيه أن يصدق به ويعتقد جزماً من غير اختلاج ريب واضطراب نفس ، **وذلك يحصل بمجرَّد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان** ؛ إذ اكتفىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجلاف =

والحقُّ الذي يدلُّ عليهِ الكتابُ والسنَّةُ : وجوبُ النظرِ ، معَ التردُّدِ في كونِهِ شرطاً في صحَّةِ الإيمانِ أو لا[1] ، **والراجحُ** : أنَّهُ شرطٌ ، وقد عزا ابنُ العربيِّ القولَ بأنَّهُ تعالىٰ يُعلَمُ بالتقليدِ . . إلى المبتدعةِ ، ونصُّهُ في كتابِهِ « المتوسطِ في الاعتقادِ » :

(**اعلموا علَّمَكمُ اللهُ تعالىٰ** : أنَّ هـٰذا العلمَ المكلَّفَ بهِ لا يحصلُ ضرورةً ولا إلهاماً ، ولا يصحُّ التقليدُ فيهِ ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ الخبرُ طريقاً إليهِ ، وإنَّما الطريقُ إليهِ النظرُ ، **ورسمُهُ**[2] : أنَّهُ الفكرُ المرتَّبُ في النفسِ علىٰ طريقٍ يفضي إلى العلمِ أوِ الظنِّ ، يطلبُ بهِ مَنْ قامَ بهِ علماً في العلميَّاتِ ، أو غلبةَ ظنٍّ في المظنوناتِ .

ولو كانَ هـٰذا العلمُ يحصلُ ضرورةً لأدركَ ذلكَ جميعُ العقلاءِ ، أو إلهاماً لوضعَهُ اللهُ تعالىٰ في قلبِ كلِّ حيٍّ[3] ؛ ليتحقَّقَ بهِ التكليفُ ،

= العرب بالتصديق والإقرار من غير تعلُّم دليل) ، ونحو هـٰذا في « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص١١٤) ، قال الإمام ابن عباد في « رسائله الصغرىٰ » (ص٢٨) : (التقليد في نفسه مذموم ، لا ينبغي الاعتماد عليه إلا عند الضرورة ، ألا ترىٰ أن الأبله البالغ في البله يسعُهُ من التقليد في اعتقاداته ما لا يسعُ غيره إذا وافق الصواب ؟!) .

(١) قوله : (**في كونه شرطاً في صحة الإيمان**) أي : فيكون واجباً وجوب الأصول ، وقوله : (**أو لا**) فيكون واجباً وجوب الفروع ، وهـٰذا الحق الذي ذكره هنا هو عين ما ذهب إليه جمهور أهل العلم سابقاً . « دسوقي » (ص٦٦) .

(٢) أي : النظرِ ، أي : تعريفه بالرسم . « دسوقي » (ص٦٨) ، وهو رسمٌ بالفائدة ؛ لأن فائدة الفكر التوصل إلىٰ علم أو ظن . « ياسين » (ق٨٨) .

(٣) لأنه كلف بالنظر ، والإلهام لا يكتسب . « ياسين » (ق٨٩) .

وأيضاً : فإنَّ الإلهامَ نوعُ ضرورةٍ[(١)] ، وقد أبطلنا الضرورةَ ، فلا يصحُّ أنْ يُقالَ : إنَّهُ يُعلَمُ بالتقليدِ[(٢)] كما قالَتْهُ جماعةٌ مِنَ المبتدعةِ ؛ لأنَّهُ لو عُرِفَ بالتقليدِ لَمَا كانَ قولُ واحدٍ مِنَ المقلِّدينَ أولىٰ بالاتباعِ والانقيادِ إليهِ مِنَ الآخرِ ، وأقوالُهم متضادَّةٌ ومختلفةٌ .

ولا يجوزُ أيضاً أنْ يُقالَ : إنَّهُ يُعلَمُ بالخبرِ ؛ لأنَّ مَنْ لم يعلمْهُ فكيفَ يعلمُ أنَّ الخبرَ خبرُهُ ؟!

فثبتَ أنَّ طريقَهُ النظرُ ؛ وهو أوَّلُ واجبٍ على المكلَّفِ[(٣)] ؛ إذِ المعرفةُ أوَّلُ الواجباتِ ، ولا تحصلُ إلا بهِ[(٤)] ، فبضرورةِ تقديمِهِ عليها تثبتُ لهُ صفةُ الوجوبِ قبلَها ، وإيجابُ المعرفةِ باللهِ معلومٌ مِنْ دينِ الأمَّةِ ضرورةً .

فصلٌ[(٥)]

معَ أنَّا نقولُ : إنَّ المعرفةَ واجبةٌ ، وإنَّ النظرَ الموصلَ إليها

---

(١) أي : نوع من أنواع العلم الحاصل بالضرورة . « دسوقي » (ص٦٩) .

(٢) علىٰ معنىٰ : أن التقليد هو المخاطب والمكلَّف به ، وتحرم المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح ، وبهـٰذا يلتئم مع قوله بعدُ : (فإن بعض أصحابنا . . .) إلىٰ آخره ؛ لأنهم يقولون : المعرفة واجبة ، وإيمان المقلد صحيح ، وهـٰذا هو المستدل به من كلام ابن العربي . « ياسين » (ق٨٩) .

(٣) أي : أول واجب وسيلةً ، فلا يعارضه قوله بعدُ : (إذ المعرفة أول الواجبات) لأن المراد بها أول الواجبات قصداً . « ياسين » (ق٩١) .

(٤) لعل الحصر إضافي ؛ فقد تحصل المعرفة بدونه خرقاً للعادة كما يقع لبعض العارفين . « ياسين » (ق٩٢) .

(٥) ما يزال الكلام للإمام ابن العربي المالكي .

واجبٌ . . فإنَّ بعضَ أصحابِنا يقولُ : إنَّ مَنِ اعتقدَ في ربِّهِ تعالى الحقَّ وتعلَّقَ بهِ اعتقادُهُ على الوجْهِ الصحيحِ في صفاتِهِ . . فإنَّهُ مؤمنٌ مُوحِّدٌ ، ولـٰكنَّ هـٰذا لا يصحُّ في الأغلبِ إلا لناظرٍ ، ولو حصلَ لغيرِ ناظرٍ لم يأمنْ أنْ يتخلخلَ اعتقادُهُ ، فلا بدَّ عندَنا مِنْ أنْ يعلمَ كلَّ مسألةٍ مِنْ مسائلِ الاعتقادِ بدليلٍ واحدٍ ، ولا ينفعُهُ اعتقادُهُ إلا أنْ يصدرَ عن دليلٍ علَّمَهُ بذلكَ[١] .

فلوِ اختُرِمَ وقد تعلَّقَ اعتقادُهُ بالباريءِ تعالىٰ كما ينبغي ، وعجزَ عنِ النظرِ . . قالَ جماعةٌ منهم[٢] : إنَّهُ يكونُ مؤمناً ، وإنْ تمكَّنَ مِنَ النظرِ ولم ينظرْ . . قالَ الأستاذُ أبو إسحاقَ : يكونُ مؤمناً عاصياً بتركِ النظرِ ، وبناهُ علىٰ أصلِ الشيخِ أبي الحسنِ ؛ فأمَّا كونُهُ مؤمناً معَ العجزِ والاخترامِ فظاهرٌ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وأمَّا كونُهُ مؤمناً معَ القدرةِ على النظرِ وَتركَهُ اختياراً . . فقولُهُ فيهِ نظرٌ عندي ، لا أعلمُ صحَّتَهُ الآنَ .

فإنْ قيلَ : فقد أوجبتُمُ النظرَ قبلَ الإيمانِ علىٰ ما استقرَّ مِنْ كلامِكم ، فإذا دُعِيَ المكلَّفُ إلى المعرفةِ ، فقالَ : حتىٰ أنظرَ ؛ لأنِّي الآنَ في مُهلةِ النظرِ وتحتَ تَردادِهِ . . ماذا تقولونَ ؟ أتُلزِمونَهُ الإقرارَ بالإيمانِ فتنقضونَ أصلَكم في أنَّ النظرَ يجبُ قبلَها ، أم تمهلونَهُ في

---

(١) يعني : عن دليلٍ أوصله إلىٰ تحقيق هـٰذا المعتقد ؛ ففاعل (علَّمَهُ) هو ضمير يعود على الدليل ، أو يُقرأ : (عن دليلِ علمِهِ بذلك) على الإضافة ، أو بالرفع علىٰ أنه فاعل (يصدر) .

(٢) أي : من أصحابنا . « دسوقي » (ص٧٢) ، وهـٰذا شروع في تقييد ما تقدَّم بالقدرة على النظر . « جمل » (ق١٥) .

نظرِهِ إلىٰ حدٍّ يتطاولُ بهِ المدىٰ فيهِ ، أم تُقدِّرونَهُ بمقدارٍ فتحكمونَ فيهِ بغيرِ نصٍّ ؟[١] .

فالجوابُ : أنَّا نقولُ : أمَّا القولُ بوجوبِ الإيمانِ قبلَ المعرفةِ فضعيفٌ ؛ لأنَّ إلزامَ التصديقِ بما لا تُعلَمُ صحَّتُهُ يؤدِّي إلى التسويةِ بينَ النبيِّ والمتنبِّي ، وأنَّهُ يؤمنُ أولاً فينظرُ ؛ فإنْ تبيَّنَ لهُ الحقُّ فيتمادىٰ ، وإنْ تبيَّنَ لهُ الباطلُ فيرجعُ وقدِ اعتقدَ الكفرَ .

وأمَّا إذا دعا المطلوبُ بالإيمانِ إلى النظرِ[٢] . . فيُقالُ لهُ[٣] : إنْ كنتَ تعلمُ النظرَ فاسرُدْهُ[٤] ، وإنْ كنتَ لا تعلمُهُ فاسمعْهُ ، ويُسرَدُ في ساعةٍ عليهِ ؛ فإنْ آمنَ تُحقِّقَ استرشادُهُ ، وإنْ أبىٰ تبيَّنَ عنادُهُ ، فوجبَ استخراجُهُ منهُ بالسيفِ أو يموتَ[٥] .

---

(١) كذا في النسخ برفع (فتنقضون ، فتحكمون) علىٰ أن الجملة خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره : فأنتم تنقضون .

(٢) هـٰذا شروع في الجواب ، و(**دعا**) : مبني للفاعل ، وفاعله : (**المطلوب**) ، و(**بالإيمان**) : متعلق بـ (المطلوب) ، وقوله : (**إلى النظر**) متعلق بمحذوف معمول لـ (دعا) أي : وإذا دعا ؛ أي : طلب مَنْ طلبْنا منه الإيمانَ الإمهالَ للنظر . « دسوقي » (ص٧٤) .

(٣) **حاصله** : أنه لا يمهل زمناً معيناً ، ولا يُهمل ؛ وحينئذ فليس فيه نقض لأصلنا ؛ من وجوب النظر قبل الإيمان . « ياسين » (ق٩٨) .

(٤) أي : في نفسك ؛ أي : أجره علىٰ قلبك ؛ بأن تقول في نفسك : العالم حادث ، وكل حادث له صانع ، فينتج لك : أن العالم له صانع . « دسوقي » (ص٧٤) .

(٥) في (أ) : (أو يضرب حتىٰ يموت) بدل (أو يموت) ، و(أو) بمعنىٰ (إلىٰ) .

فإنْ كانَ ممَّنْ ثافنَ أهلَ الإسلامِ[١] ، وعرفَ طريقَ الإيمانِ . . لم يُمهَلْ ساعةً ، ألا ترىٰ أنَّ المرتدَّ استحبَّ العلماءُ فيهِ الإمهالَ[٢] ؛ لعلَّهُ إنَّما ارتدَّ لريبٍ ، فيُتربَّصُ بهِ لعلَّهُ أنْ يراجعَ الشكَّ باليقينِ والجهلَ بالعلمِ ، ولا يجبُ ذلكَ لحصولِ العلمِ بالنظرِ الصحيحِ أوَّلاً[٣] .

وكيفَ يصحُّ لناظرٍ أنْ يقولَ : إنَّ الإيمانَ يجبُ أوَّلاً قبلَ النظرِ ، ولا يصحُّ في المعقولِ إيمانٌ بغيرِ معلومٍ ؟!

وذلكَ الذي يجدُهُ المرءُ في نفسِهِ حسْنُ ظنٍّ بمخبرِهِ ، وإلا[٤] فإنْ تطرَّقَ إليهِ التجويزُ والتكذيبُ . . تطرَّقَ[٥] .

وأيضاً : فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ دعا الخلْقَ إلى النظرِ أوَّلاً ، فلمَّا قامَتِ الحجَّةُ بهِ وبلغَ غايةَ الإعذارِ فيهِ . . حملَهم على الإيمانِ بالسيفِ ، ألا ترىٰ أنَّ كلَّ مَنْ دعاهُ إلى الإيمانِ قالَ لهُ : اعرضْ

---

(١) **ثافن** : لازم وجالس وخالط ، قال العلامة الجمل في « حاشيته » (ق١٦) : (بأن كان ذميّاً خالط المسلمين ثم حارب ، وإن أعطى الجزية) .

(٢) هـٰذا قول ضعيف في المذهب ، والمعتمد : أنه يجب إمهاله ثلاثة أيام ، ويستتاب فيها كل يوم مرة ؛ فإن رجع إلى الإسلام فظاهر ، وإلا قتل . « دسوقي » (ص٧٥) .

(٣) أي : قبل الردة . « دسوقي » (ص٧٦) .

(٤) بأن كان إيماناً حقيقةً ؛ بكونه جزماً مطابقاً للواقع .

(٥) **يعني** : تطرق التجويز والتكذيب ، ويلزم من ذلك ألا يكون مؤمناً ، ويستفاد هـٰذا التقدير من الشرط .

عليَّ آيتَكَ ، فيَعْرِضُها عليهِ ، فتظهرُ لهُ ، فيؤمنُ فيأمَنُ ، أو يعاندُ فيهلِكُ) انتهىٰ[١] .

قلتُ : هـٰذا كلامُ ابنِ العربيِّ ، وهو حسنٌ .

وقدِ استُشكِلَ القولُ بأنَّ المقلِّدَ ليسَ بمؤمنٍ ؛ لأنَّهُ يلزمُ عليهِ تكفيرُ أكثرِ عوامِّ المسلمينَ ؛ وهم معظمُ هـٰذهِ الأمَّةِ ، وذلكَ ممَّا يقدحُ فيما عُلِمَ أنَّ سيِّدَنا ومولانا محمداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أكثرُ الأنبياءِ أتباعاً ، وورد أنَّ أمَّتَهُ المشرَّفةَ ثلثا أهلِ الجنَّةِ[٢] !

وأُجيبَ : بأنَّ المرادَ بالدليلِ الذي تجبُ معرفتُهُ علىٰ جميعِ المكلَّفينَ **هو الدليلُ الجُمْليُّ الذي يحصِّلُ في الجُمْلةِ للمكلَّفِ العلمَ والطمأنينةَ بعقائدِ الإيمانِ** ؛ بحيثُ لا يقولُ قلبُهُ فيها : لا أدري ، سمعتُ الناسَ يقولونَ شيئاً فقلتُهُ ، **ولا يُشترَطُ معرفةُ النظرِ علىٰ طريقِ المتكلِّمينَ** ؛ مِنْ تحريرِ الأدلَّةِ وترتيبِها ، ودفْعِ الشُّبهةِ الواردةِ عليها ، ولا القدرةُ على التعبيرِ عمَّا حصلَ في القلبِ مِنَ الدليلِ الجُمْليِّ الذي حصلَتْ بهِ الطمأنينةُ ، ولا شكَّ أنَّ النظرَ علىٰ هـٰذا الوجْهِ غيرُ بعيدٍ حصولُهُ لمعظمِ الأمَّةِ أو لجميعِها فيما قبلَ آخرِ الزمانِ الذي يرتفعُ فيهِ العلمُ النافعُ ، ويثبتُ فيهِ الجهلُ المضرُّ ، ولا يبقىٰ فيهِ التقليدُ المطابقُ فضلاً

---

(١) انظر « المتوسط في الاعتقاد » (ص ١١١) ، وقد استفيد منه عدم صحة إيمان المقلد . « دسوقي » (ص٧٧) .

(٢) روى الترمذي (٢٥٤٦) من حديث سيدنا بريدة رضي الله عنه مرفوعاً : « أهلُ الجنةِ عشرونَ ومئةُ صفٍّ ، ثمانونَ منها مِنْ هـٰذهِ الأمةِ ، وأربعونَ مِنْ سائرِ الأممِ » .

عنِ المعرفةِ عندَ كثيرٍ ممَّنْ يُظَنُّ بهِ العلمُ ، فضلاً عن كثيرٍ مِنَ العامَّةِ !

ولعلَّنا أدركنا هـٰذا الزمانَ الصعبَ بلا ريبٍ ، واللهُ المستعانُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ، وفي الحديثِ عن أبي أمامة رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَكُونُ فِتْنَةٌ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ يُصْبِحُ ٱلرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِناً وَيُمْسِي كَافِراً ، إِلا مَنْ أَجَارَهُ ٱللهُ تَعَالَىٰ بِٱلْعِلْمِ »[1] .

وبالجملةِ : فالاحتياطُ في الأمورِ هو أحسنُ ما يسلكُهُ العاقلُ في أمورِهِ ، لا سيَّما في هـٰذا الأمرِ الذي هو رأسُ المالِ ، وعليهِ مبنىٰ كلِّ خيرٍ ، فكيفَ يرضىٰ ذو همَّةٍ أنْ يرتكبَ منهُ ما يكدِّرُ مشربَهُ مِنَ التقليدِ المختلفِ فيهِ ، ويتركَ المعرفةَ والتعلُّمَ للنظرِ الصحيحِ ، الذي يأمنُ معَهُ مِنْ كلِّ مَخُوفٍ ، ثم يلتحقُ معَهُ بدرجةِ العلماءِ الداخلينَ في سلكِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ . . . ﴾ [آل عمران : ١٨] الآيةَ ؟! فلا يتقاصرُ عن هـٰذهِ الرتبةِ المأمونةِ الزكيَّةِ إلا ذو نفسٍ ساقطةٍ وهمَّةٍ خسيسةٍ .

---

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٧٩١٠) ، و« مسند الشاميين » (١٢٣٦) ، قال العلامة الإمام المحقق ابن عباد الرندي في « رسائله الصغرىٰ » (ص٢٧) وهو يتحدث عن بدعة التقليد : (واعلم : أن هـٰذه الصفة الذميمة قد استطار في هـٰذا الزمان شررها ، وعمَّ ضررُها ، فترى المتفقِّهَ الغبيَّ إذا قرع سمعه شيء من علوم التحقيق ، أو علم من أعلام أهل التصديـق . . يلوي خدَّه ويقطِّبُ وجهه ، ويقول لفرط غباوته : لو كان هـٰذا حقّاً لنصَّ عليه فلان ، ولتداولته القرون والأزمان) .

لكنْ على العاقلِ أنْ ينظرَ أوّلاً فيمَنْ يحقِّقُ لهُ هذا العلمَ ويختارُهُ للصحبةِ ؛ مِنَ الأئمَّةِ المؤيَّدينَ مِنَ اللهِ تعالىٰ بنورِ البصيرةِ ، الزاهدينَ بقلوبِهم في هذا العَرَضِ الحاضرِ ، المشفقينَ على المساكينِ ، الرؤفاءِ علىٰ ضعفاءِ المؤمنينَ(١) ، فمَنْ وجدَ أحداً علىٰ هذهِ الصفةِ في هذا الزمانِ القليلِ الخيرِ جدّاً . . فليشدَّ يدَهُ عليهِ ، وليعلمْ أنَّهُ لا يجدُ لهُ ـ واللهُ تعالىٰ أعلمُ ـ ثانياً في عصرِهِ ؛ إذْ مَنْ يكونُ علىٰ هذهِ الصفةِ أو قريباً منها لا يكونُ منهم في أواخرِ الزمانِ إلا الواحدُ ومَنْ يقربُ منهُ علىٰ ما نصَّ عليهِ العلماءُ ، ثم الغالبُ عليهِ في هذا الزمانِ الخفاءُ ؛ بحيثُ لا يُرشَدُ إليهِ إلا القليلُ مِنَ الناسِ ، وليشكرِ اللهَ تعالىٰ مَنْ أطلعَهُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ علىٰ هذهِ الغنيمةِ العظمىٰ آناءَ الليلِ وأطرافَ النهارِ ؛ إذْ أظفرَهُ مولاهُ الكريمُ جلَّ وعزَّ بمحْضِ فضلِهِ بكنزٍ عظيمٍ مِنْ كنوزِ الجنَّةِ ينفقُ منهُ مهما شاءَ وكيفَ شاءَ .

وقلَّ أنْ يتَّفقَ اليومَ وجودُ مثلِ هذا إلا لنادرٍ مِنَ السعداءِ ، وأمَّا أنْ يقرأَ هذا العلمَ علىٰ كلِّ مَنْ يتعاطى التعرُّضَ لهُ وليسَ علىٰ هذهِ الصفةِ التي ذكرنا . . فمفاسدُ صحبةِ هذا دنيا وأخرىٰ أكثرُ مِنْ مصالحِها ، وما أكثرَ وجودَ أمثالِ هؤلاءِ في زمانِنا في كلِّ موضعٍ !

نسألُ اللهَ تعالى السلامَةَ مِنْ شرِّ أنفسِنا ، ومِنْ شرِّ كلِّ ذي شرٍّ ، بجاهِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

---

(١) قيل : المراد بالمساكين : الذين لا علم عندهم ، وبالضعفاء : البُلْه الذين لا يفهمون بسهولة . « ياسين » (ق١٠٧) .

[التحذيرُ مِنِ استفتاحِ قراءةِ علمِ العقائدِ مِنَ الكتبِ التي تُكثرُ مِنْ إيرادِ الشُّبهِ والمذاهبِ]

وليحذرِ المبتدئُ جهدَهُ أنْ يأخذَ أصولَ دينِهِ مِنَ الكتبِ التي حُشِيَتْ بكلامِ الفلاسفةِ ، وأُولعَ مُؤلِّفوها بنقْلِ هوسِهم وما هو كفرٌ صُراحٌ مِنْ عقائدِهمُ التي ستروا نجاستَها بما يَنْبَهِمُ علىٰ كثيرٍ[1] ؛ مِنِ اصطلاحاتِهم وعباراتِهمُ التي أكثرُها أسماءٌ بلا مُسمَّياتٍ ؛ وذلكَ ككتبِ الإمامِ الفخرِ في علمِ الكلامِ و« طوالعِ » البيضاويِّ ومَنْ حذا حذوَهما في ذلكَ ، وقلَّ أنْ يُفلحَ مَنْ أُولعَ بنقلِ كلامِ الفلاسفةِ أو يكونَ لهُ نورُ إيمانٍ في قلبِهِ أو لسانِهِ[2] .

وكيفَ يفلحُ مَنْ والىٰ مَنْ حادَّ اللهَ ورُسُلَهُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، وخرقَ حجابَ الهيبةِ ، ونبذَ الشريعةَ وراءَ ظهرِهِ ، وقالَ في حقِّ مولانا جلَّ وعزَّ وفي حقِّ رُسُلِهِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ما سوَّلَتْ لهُ نفسُهُ الحمقاءُ ودعاهُ إليهِ وَهْمُهُ المختلُّ ؟!

ولقد خُذِلَ بعضُ الناسِ ؛ فتجدُهُ يُشرِّفُ كلامَ الفلاسفةِ الملعونينَ ، ويُشرِّفُ الكتبَ التي تعرَّضَتْ لنقْلِ كثيرٍ مِنْ حماقاتِهم ؛ لِمَا تمكَّنَ في نفسِهِ الأمَّارةِ بالسوءِ مِنْ حبِّ الرئاسةِ وحبِّ الإغرابِ على

---

(١) أي : بما يخفىٰ علىٰ كثيرٍ . « دسوقي » (ص٨٢) .

(٢) لم يقصد بذلك الفخر ومن معه ، بل العقباني من معاصريه ؛ لأن هـٰؤلاء لا اعتراض عليهم ؛ لأنهم إنما فعلوا ذلك ليتمكنوا من الرد عليهم ، فقد فعلوا المناسب في ذلك الزمان ، قاله شيخنا المَلَّوي . « دسوقي » (ص٨٣) .

الناسِ بما يَنْبَهِمُ علىٰ كثيرٍ منهم مِنْ عباراتٍ واصطلاحاتٍ ، يوهِمُهم أنَّ تحتَها علوماً دقيقةً نفيسةً ، وهي ليسَ تحتَها إلا التخليطُ والهوسُ والكفرُ الذي لا يرضىٰ أنْ يقولَهُ عاقلٌ[1] .

وربَّما يؤثِرُ بعضُ الحمقىٰ هوسَهم على الاشتغالِ بما يعنيهِ مِنَ الفقهِ في أصولِ الدينِ وفروعِهِ علىٰ طريقِ السلفِ الصالحِ والعملِ بذلكَ ، ويرىٰ هـٰذا الخبيثُ ـ لانطماسِ بصيرتِهِ وطردِهِ عن بابِ فضْلِ اللهِ تعالىٰ إلىٰ بابِ غضبِهِ ـ أنَّ المشتغلينَ بالتفقُّهِ في دينِ اللهِ تعالى العظيمِ الفوائدِ دنيا وأخرىٰ بُلداءُ الطبعِ ناقصو الذكاءِ ، فما أجهلَ هـٰذا الخبيثَ وأقبحَ سريرتَهُ وأعمىٰ قلبَهُ ! حتىٰ رأى الظلمةَ نوراً والنورَ ظلمةً ، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤١ـ٤٢] .

نسألُ اللهَ تعالىٰ أنْ يعاملَنا ويعاملَ جميعَ أحبَّتِنا إلى المماتِ بمحْضِ فضلِهِ ، وأنْ يلطفَ بجميعِ المؤمنينَ ويقيَهم في هـٰذا الزمانِ الصعبِ مواردَ الفتنِ بجودِهِ وكرمِهِ ، بجاهِ أشرفِ الخلْقِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* * *

---

(١) قال حجة الإسلام الغزالي في « المنقذ من الضلال » (ص ١٧٤) : (ولعمري ؛ لمَّا غلب علىٰ أكثر الخلق ظنُّهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة ، وكمال العقل وتمام الآلة في تمييز الحق عن الباطل ، والهدىٰ عن الضلال . . وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضلال ما أمكن) .

الكلامُ على الإلهيّات

الصّفاتُ الواجبةُ للهِ تعالىٰ

فَمِمَّا يَجِبُ لِمَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ : عِشْرُونَ صِفَةً .

أشارَ بـ (مِنْ) التبعيضيَّةِ إلىٰ أنَّ صفاتِ مولانا جلَّ وعزَّ الواجبةَ لهُ لا تنحصرُ في هـٰذهِ العشرينَ ؛ إذْ كمالاتُهُ تعالىٰ لا نهايةَ لها ، لـٰكنَّ العجزَ عن معرفةِ ما لم يُنصَبْ عليهِ دليلٌ عقليٌّ ولا نقليٌّ لا نُؤاخَذُ بهِ بفضْلِ اللهِ تعالىٰ(١) .

* * *

---

(١) **عبارة بعضهم** : وهي ـ أي : العشرون صفة ـ ما انتهىٰ إليه إدراك القوى البشرية ، وإلا فصفات كمالاته ونعوت جلاله مما يفوت العدَّ ، ولا يحيط به الحدُّ ، لـٰكنَّا لسنا مكلفين بما لم يَنصب عليه دليلاً يوصلنا إليه . « ياسين » (ق١٠٧) ، وكذا سيذكر المصنف (ص ١٦٨) مثل هـٰذا عند حديثه عن صفة الكلام ، وانظر تقسيم هـٰذه الصفات في « شرح المقدمات » (ص٢٣٥) .

وَهِيَ ٱلْوُجُودُ .

معناهُ ظاهرٌ[١] ، وفي عدِّ الوجودِ صفةً علىٰ مذهبِ الشيخِ الأشعريِّ تسامحٌ[٢] ؛ لأنَّهُ عندَهُ عينُ الذاتِ ، ليسَ بزائدٍ عليها ، والذاتُ ليسَتْ

---

(١) لأنه بديهي التصور ، ومعناه : التحقق والثبوت في الخارج ، وهو صفة نفسية ، ومعنى الصفة النفسية كما قال إمام الحرمين في « الإرشاد » (ص٣٠) : (كل صفةِ إثباتٍ لنفس ، لازمةٍ ما بقيت النفس ، غير معللة بعلل قائمة بالموصوف) ، ولمَّا عجزت العقول عن تصوُّر ذاته تعالىٰ عجزاً لا مطمعَ لرفعه . . بقي لها من إدراك صفات النفس له سبحانه صفةُ الوجود ، مع إقرارها أن وجوده تعالىٰ ليس كوجودنا ، وفي كلام إمام الحرمين في « أجوبته لأسئلة الإمام الصقلي » (ص٥١) ما يوحي بأن عدم التحيز لذاته تعالىٰ من صفاته النفسية ، ولـٰكن قال بعدها (ص٥٥) : (الجهل بالصفة النفسية إن صح رجوع صفة النفس إلىٰ غير الوجود . . .) ، فالتحقيق أن عدم التحيز راجع للصفات السلبية عند التفصيل ، ولـٰكن نبَّهَ العلامة السكتاني في « حاشيته علىٰ شرح العقيدة الصغرىٰ » (ق٤٣) علىٰ أنه قيل : إن السلوب تسمَّىٰ حالاً نفسية أو صفة نفسية .

(٢) وهو مذهب إمام الحرمين أيضاً ، قال في « الإرشاد » (ص٣١) : (والوجه المرضي : ألا يعدَّ الوجود من الصفات ؛ فإن الوجود نفس الذات) ، ثم قال : (والأئمة رضي الله عنهم متوسعون في عدِّ الوجود من الصفات ، والعلم به علم بالذات) .

بصفةٍ ، لـٰكنْ لمَّا كانَ الوجودُ تُوصَفُ بهِ الذاتُ في اللفظِ ، فيُقالُ : ذاتُ مولانا جلَّ وعزَّ موجودةٌ . . صحَّ أنْ يُعَدَّ صفةً على الجملةِ[١] .

وأمَّا على مذهبِ مَنْ يجعلُ الوجودَ زائداً على الذاتِ ؛ كالإمامِ الرازيِّ . . **فعدُّهُ مِنَ الصفاتِ صحيحٌ لا تسامحَ فيهِ**[٢] ، ومنهم مَنْ يجعلُهُ زائداً على الذاتِ في الحادثِ دونَ القديمِ ؛ وهو مذهبُ الفلاسفةِ[٣] .

* * *

(١) بيانٌ لوجه التسامح ، وتوطئة لذكر خلاف الإمام الرازي .

(٢) حيث قال في « معالم أصول الدين » (ص٣٢) وهو من أواخر كتبه : (الوجود زائد على الماهيات) ، وهي مسألة اضطرب فيها الإمام الرازي ، فقوله في « المحصل » (ص٤٣) مخالف لهـٰذا ، وقال في « الإشارة » (ص٧٥) وهو من أوائل كتبه : (لا يجوز أن يكون وجود البارئ تعالىٰ غير حقيقته) .

(٣) انظر الردَّ عليهم في هـٰذه المسألة « محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين » (ص٤٣) .

وقد تحصَّل في الوجود ثلاثة أقوال :

الأول : أنه عين الموجود في القديم والحادث .

الثاني : أنه أمر اعتباري زائد على الموجود في القديم والحادث .

الثالث : أنه عين الموجود في القديم ، زائد في الحادث .

صفات السّلوب

صفة القِدم

وَٱلْقِدَمُ .

الأصحُّ : أنَّ القدمَ صفةٌ سلبيَّةٌ[1] ؛ أي : ليسَتْ بمعنىً موجودٍ في نفسِها كالعلمِ مثلاً[2] ، وإنَّما هو عبارةٌ عن سلبِ العدمِ السابقِ على الوجودِ ، **وإنْ شئتَ قلتَ** : هو عدمُ الأوَّليَّةِ للوجودِ ، **وإنْ شئتَ قلتَ** : هو عبارةٌ عن عدمِ افتتاحِ الوجودِ ، **والعباراتُ الثلاثُ بمعنىً واحدٍ** .

هـٰذا معنى القدمِ في حقِّهِ تعالىٰ باعتبارِ ذاتِهِ العليَّةِ ، وصفاتِهِ الجليلةِ السنيَّةِ ، **وأمَّا معناهُ إذا أُطلِقَ في حقِّ الحادثِ** ؛ كما إذا قلتَ مثلاً : هـٰذا بناءٌ قديمٌ ، وعرجونٌ قديمٌ : فهو عبارةٌ عن طولِ مدَّةِ وجودِهِ وإنْ كانَ حادثاً مسبوقاً بعدمٍ ؛ كما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴾ [يوسف : ٩٥] ، وقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ كَٱلْعُرْجُونِ

---

(١) **مقابل الأصح قولان : الأول** : أنه صفة نفسية ، **والثاني** : أنه من صفات المعاني . « ياسين » (ق١١٨) .

(٢) قوله : (**موجود في نفسها**) أي : في خارج الأعيان ، وهو ما يمكن رؤيته لو أزيل الحجاب عنَّا . « دسوقي » (ص٨٨) .

ٱلْقَدِيمِ﴾ [يسٓ : ٣٩] ، فالقدمُ على اللهِ تعالىٰ بهـٰذا المعنىٰ محالٌ ؛ لأنَّ وجودَهُ جلَّ وعزَّ لا يتقيَّدُ بزمانٍ ولا مكانٍ ؛ لحدوثِ كلِّ واحدٍ منهما[١] ، فلا يتقيَّدُ بواحدٍ منهما إلا ما هو حادثٌ .

[الخلافُ في جوازِ إطلاقِ لفظِ (القديمِ) عليهِ سبحانَهُ]

وهل يجوزُ أنْ يُتلفَّظَ بلفظِ (القديمِ) في حقِّهِ تعالىٰ ؛ فيُقالَ : هو جلَّ وعزَّ قديمٌ ؛ لأنَّ معناهُ واجبٌ لهُ جلَّ وعزَّ عقلاً ونقلاً ، أو لا يُتلفَّظَ بذلكَ ، وإنَّما يُقالُ : يجبُ لهُ تعالى القدمُ ، أو نحوُ هـٰذا مِنَ العباراتِ ، ولا يُطلَقُ عليهِ في اللفظِ اسمُ (القديمِ) لأنَّ أسماءَهُ جلَّ وعزَّ توقيفيةٌ ؟

هـٰذا ممَّا تردَّدَ فيهِ بعضُ المشايخِ ، لـٰكنْ قالَ العراقيُّ في « شرحِ أصولِ السبكيِّ » : (عدَّهُ الحَليميُّ في الأسماءِ ، وقالَ : لم يردْ في الكتابِ نصّاً[٢] ، ولـٰكنْ وردَ في السنَّةِ ، قالَ العراقيُّ : وأشارَ بذلكَ إلىٰ ما رواهُ ابنُ ماجهْ في « سننِهِ » مِنْ حديثِ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ[٣] ، وفيهِ عَدُّ « القديمِ » مِنَ التسعةِ والتسعينَ)[٤] .

* * *

(١) هـٰذا التعليل لا يناسب مذهب المتكلمين في الزمان والمكان ؛ فإنهما لا تحقق لهما عندهم ، فلا يتصفان بالحدوث . « ياسين » (ق١٢٠) .

(٢) إنما قال : (نصّاً) إشارة إلىٰ ورود معناه فيه . « سكتاني » (ق٢٩) .

(٣) سنن ابن ماجه (٣٨٦١) ، وانظر « الاعتقاد » للبيهقي (١٧) .

(٤) انظر « الغيث الهامع » (ص٧٢٩) ، واستدل العلامة السعد في « شرح العقائد » (ص ١٥٤) بالإجماع .

وَٱلْبَقَاءُ .

هو عبارةٌ عن سلبِ العدمِ اللاحقِ للوجودِ[1] .

وبعضُ الأئمَّةِ يقولُ : معنى (البقاءِ) في حقِّهِ تعالى : استمرارُ الوجودِ في المستقبلِ إلىٰ غيرِ نهايةٍ ، كما أنَّ القدمَ في حقِّهِ تعالى : استمرارُ الوجودِ في الماضي إلىٰ غيرِ غايةٍ[2] ، وكأنَّ هـٰذهِ العبارةَ يجنحُ قائلُها إلىٰ أنَّ القدمَ والبقاءَ صفتانِ نفسيتانِ ؛ لأنَّهما عندَهُ الوجودُ المستمرُّ في الماضي والمستقبلِ ، والوجودُ نفسيٌّ ؛ لعدمِ تحقُّقِ الذاتِ بدونِهِ ، **وهـٰذا المذهبُ ضعيفٌ** ؛ لأنَّهما لو كانا نفسيَّينِ لزمَ ألا تُعقَلَ الذاتُ بدونِهما ، وذلكَ باطلٌ ؛ بدليلِ أنَّ الذاتَ يُعقَلُ وجودُها ، ثم

---

(١) في هامش (ب) زيادة مصححة : (**وإن شئت قلت** : هو عبارة عن عدم الآخرية للوجود ، **وإن شئت قلت** : هو عدم اختتام الوجود ، **والعبارات الثلاث بمعنىً**) .

وفي (د) زيادة مصححة : (**وإن شئت قلت** : هو عبارة عن عدم آخرية الوجود ، **والعبارتان بمعنىً واحد**) ، وعليها مشى العلامة الدسوقي في « حاشيته » (ص٩٢) ، ولم يلتفت كلٌّ من العلامتين السكتاني وياسين العليمي لهـٰذه الزيادة ، وانظر « حاشية الجمل » (ق٢١) .

(٢) **الغاية** : هي النهاية ، ففي كلامه تفنُّن . « دسوقي » (ص٩٢) .

يُطلَبُ البرهانُ علىٰ وجوبِ قدمِها وبقائِها .

وشذَّ قومٌ فقالوا[1] : إنَّ القدمَ والبقاءَ صفتانِ موجودتانِ يقومانِ بالذاتِ كالعلمِ والقدرةِ ، ولا يخفىٰ ضعفُهُ ؛ لما يلزمُ عليهِ أنْ يكونَ القدمُ والبقاءُ قديمينِ أيضاً بقدمٍ آخرَ موجودٍ ، وباقيينِ ببقاءٍ آخرَ موجودٍ ، ثم ننقلُ الكلامَ إلىٰ هـٰذا القدمِ الآخرِ وهـٰذا البقاءِ الآخرِ ، فيلزمُ فيهما ما لزمَ في الأوَّلَينِ ، ويلزمُ التسلسلُ .

وأضعفُ مِنْ هـٰذا : مَنْ فَرَقَ وقالَ : القدمُ سلبيٌّ ، والبقاءُ وجوديٌّ[2] .

والحقُّ الذي عليهِ المحقِّقونَ : أنَّهما صفتانِ سلبيتانِ ؛ أي : كلُّ واحدٍ منهما عبارةٌ عن نفْيِ معنىً لا يليقُ بهِ تعالىٰ ، وليسَ لهما معنىً موجودٌ في الخارجِ عنِ الذهنِ .

* * *

---

(١) منهم الإمام عبد الله بن سعيد ابن كُلاب . مفادُ « سكتاني » (ق٣١) .

(٢) وهو قول الشيخ الأشعري . انظر « أبكار الأفكار » (١/ ٤٤١) .

وَمُخَالَفَتُهُ تَعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ .

يعني : لا يماثلُهُ تعالىٰ شيءٌ منها مطلقاً ؛ لا في الذاتِ ، ولا في الصفاتِ ، ولا في الأفعالِ ؛ فاللهُ تعالىٰ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، فأوَّلُ هـٰذهِ الآيةِ تنزيهٌ ، وآخرُها إثباتٌ ؛ فصدرُها يردُّ على المجسِّمةِ وأضرابِهم ، وعجزُها يردُّ على المعطلةِ النافينَ لجميعِ الصفاتِ .

وحكمةُ تقديمِ التنزيهِ في الآيةِ ـ وإنْ كانَ مِنْ بابِ تقديمِ السلبِ على الإثباتِ ، وإنْ كانَ الأَولىٰ في كثيرٍ مِنَ المواطنِ العكسَ ـ : أنَّهُ لو بدأَ بالسمعِ والبصرِ لأوهمَ التشبيهَ ؛ إذِ الذي يُؤلَفُ في السمعِ أنَّهُ بأُذُنٍ ، وفي البصرِ أنَّهُ بحدقةٍ ، وأنَّ كلاً منهما إنَّما يتعلَّقُ في الشاهدِ ببعضِ الموجوداتِ دونَ بعضٍ ، وعلىٰ صفةٍ مخصوصةٍ ؛ مِنْ عدمِ البعدِ جدّاً ونحوِ ذلكَ ، فبدأَ في الآيةِ بالتنزيهِ ليُستفادَ منهُ نفْيُ التشبيهِ لهُ تعالىٰ مطلقاً ، حتىٰ في السمعِ والبصرِ اللذينِ ذُكرا بعدُ ؛ فإنَّ سمعَهُ تعالىٰ وبصرَهُ ليسا كسمعِ الخلائقِ وبصرِهم ؛ لأنَّ سمعَهُ تعالىٰ وبصرَهُ صفتانِ قائمتانِ بذاتِهِ العليَّةِ التي يستحيلُ عليها الجرميَّةُ والجارحةُ ولوازمُهما ،

واجبتا القدمِ والبقاءِ ، متعلِّقتانِ بكلِّ موجودٍ[1] ؛ قديماً كانَ أو حادثاً ، ذاتاً كانَ أو صفةً ، ظاهراً كانَ أو باطناً .

* * *

(١) كما سيأتي تحقيقه (ص ١٦٦) .

صفةُ القيامِ بالنفس

وَقِيَامُهُ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ ؛ أَيْ : لا يَفْتَقِرُ إِلَىٰ مَحَلٍّ ، وَلا مُخَصِّصٍ .

يعني : أنَّهُ ممَّا يجبُ لهُ تعالىٰ : أنْ يقومَ بنفسِهِ[1] ؛ أي : بذاتِهِ .

ومعنىٰ قيامِهِ تعالىٰ بنفسِهِ : سلْبُ افتقارِهِ لشيءٍ مِنَ الأشياءِ .

فلا يفتقرُ تعالىٰ إلىٰ محلٍّ ؛ أي : ذاتٍ سوىٰ ذاتِهِ يوجدُ فيها كما توجدُ الصفةُ في الموصوفِ ؛ لأنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا للصفاتِ ، وهو تعالىٰ ذاتٌ موصوفٌ بالصفاتِ ، وليسَ جلَّ وعزَّ بصفةٍ كما تدَّعيهِ النصارىٰ ومَنْ في معناهم مِنَ الباطنيَّةِ ، أهلكَ اللهُ تعالىٰ جميعَهم ، وسيأتي برهانُ ذلكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ عندَ تعرُّضِنا للبراهينِ[2] .

وكذلكَ **لا يفتقرُ تعالىٰ إلىٰ مخصِّصٍ** ؛ أي : فاعلٍ يخصِّصُهُ بالوجودِ ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفةٍ مِنْ صفاتِهِ ؛ لوجوبِ القدمِ

---

(١) الظاهر أن الباء للآلة ؛ لأن معنىٰ (قام بنفسه) استغنىٰ بنفسه ؛ أي : غَنَاؤه بنفسه ، لا بالغير ولا بالاكتساب ، فهو إذاً أمر حصل له من قِبل نفسه . « سكتاني » (ق٣٤) ، ويجوز أن تكون الباء سببية ، وظرفية مجازية .

(٢) سيأتي (ص ٢١٥) ، **والمراد بالنصارىٰ** : بعضهم .

والبقاءِ لذاتِهِ تعالىٰ ولجميعِ صفاتِهِ ، وإنَّما يحتاجُ إلى المخصِّصِ - أيِ : الفاعلِ - مَنْ يقبلُ العدمَ ، ومولانا جلَّ وعزَّ لا يقبلُهُ ، **فإذاً** يستحيلُ علىٰ مولانا جلَّ وعزَّ الافتقارُ عموماً .

وبهـٰذا تعرفُ : أنَّ مرادَنا بالمحلِّ في العقيدةِ الذاتُ ، ومرادَنا بالمخصِّصِ الفاعلُ ؛ فبعدمِ افتقارِهِ تعالىٰ إلىٰ محلٍّ - أي : ذاتٍ أخرىٰ - لزمَ أنَّهُ جلَّ وعزَّ ذاتٌ لا صفةٌ ، وبعدمِ افتقارِهِ تعالىٰ إلىٰ مخصِّصٍ - أي : فاعلٍ - لزمَ أنَّ ذاتَهُ العليَّةَ جلَّ وعزَّ ليسَتْ كسائرِ الذواتِ التي لا تفتقرُ هي أيضاً إلىٰ محلٍّ ؛ كالأجرامِ مثلاً ؛ لأنَّ هـٰذهِ وإنْ كانَتْ مستغنيةً عنِ المحلِّ - أي : عن ذاتٍ تقومُ بها - فهي مفتقرةٌ ابتداءً ودواماً افتقاراً ضروريّاً لازماً إلى المخصِّصِ ؛ أيِ : الفاعلِ ؛ وهو مولانا جلَّ وعزَّ .

فإذاً ؛ القيامُ بالنفسِ : هو عبارةٌ عنِ الغنى المطلقِ ، وذلكَ لا يمكنُ أنْ يكونَ إلا لمولانا تباركَ وتعالىٰ ، قالَ جلَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر : ١٥] .

وقالَ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ٢-٤] ، فأثبتَ تعالىٰ بقولِهِ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ افتقارَ كلِّ ما سواهُ إليهِ جلَّ وعزَّ ؛ إذِ الصمدُ هو الذي يُصمَدُ إليهِ في الحوائجِ ؛ أي : يُقصَدُ فيها ، ومنهُ تُسألُ ، ولا شكَّ أنَّ كلَّ ما سواهُ تعالىٰ صامدٌ إليهِ ؛ أي : مفتقرٌ إليهِ ابتداءً ودواماً ؛ بلسانِ حالِهِ ، أو بلسانِ مقالِهِ ، أو بهما معاً .

وأثبتَ تعالىٰ بقولِهِ : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ وجوبَ الغَناءِ لهُ جلَّ وعزَّ عنِ المؤثِّرِ والأثرِ ؛ فلا حاجةَ للهِ تعالىٰ إلى المؤثِّرِ ، ولا علَّةَ لوجودِهِ جلَّ وعزَّ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أي : لم يتولَّدْ وجودُهُ تعالىٰ عن شيءٍ ؛ أي : لا سببَ لوجودِهِ تعالىٰ ؛ لوجوبِ قدمِهِ وبقائِهِ .

وكذلكَ لا حاجةَ لهُ تعالىٰ إلى الأثرِ ؛ وهو ما أوجدَ تعالىٰ مِنَ الحوادثِ ، ولا غرضَ لهُ جلَّ وعزَّ في شيءٍ منها ، تعالىٰ ربُّنا عنِ الأعراضِ والأغراضِ ، ولا معينَ لهُ تعالىٰ في شيءٍ منها ، بل هو جلَّ وعزَّ فاعلٌ بمحضِ الاختيارِ بلا واسطةٍ ولا معالجةٍ ولا علَّةٍ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أي : لم يتولَّدْ وجودُ شيءٍ عن ذاتِهِ العليَّةِ ؛ بأنْ يكونَ بعضاً منها ، أو ناشئاً عنها مِنْ غيرِ قصدٍ ، أو ناشئاً عنهُ تعالىٰ باستعانةٍ ممَّنْ يزاوجُهُ علىٰ ذلكَ[1] ، أو ثَمَّ غرضٌ يحملُهُ علىٰ ذلكَ كما هو شأنُ الزوجينِ ونحوِهما بالنسبةِ إلى الولدِ ونحوِهِ في جميعِ ما ذُكِرَ ؛ إذْ لو كانَ تعالىٰ كذلكَ لزمَ أنْ يماثلَ الحوادثَ ، كيفَ وهو تباركَ وتعالىٰ ليسَ لهُ كفواً أحدٌ ؟!

فلا والدَ إذاً ولا صاحبةَ ولا ولدَ ، ولا مماثلةَ بينَهُ وبينَ الحوادثِ بوجْهٍ مِنَ الوجوهِ ، فتباركَ اللهُ ربُّ العالمينَ .

* * *

---

(١) قوله : (ممن يزاوجه) أي : يعاونه . « جمل » (ق٢٢) .

صفة الوحدانية

وَالْوَحْدَانِيَّةُ ؛ أَيْ : لا ثَانِيَ لَهُ فِي ذَاتِهِ ، وَلا فِي صِفَاتِهِ ، وَلا فِي أَفْعَالِهِ .

يعني : أنَّ الوحدانيَّةَ في حقِّهِ تعالىٰ تشتملُ علىٰ ثلاثةِ أوجهٍ :

أحدُها : نفْيُ الكثرةِ في ذاتِهِ تعالىٰ ، ويُسمَّى : الكمَّ المتصلَ .

الثاني : نفْيُ النظيرِ لهُ جلَّ وعزَّ في ذاتِهِ تعالىٰ أو في صفةٍ مِنْ صفاتِهِ ، ويُسمَّى : الكمَّ المنفصلَ .

الثالثُ : انفرادُهُ تعالىٰ بالإيجادِ والتدبيرِ العامِّ بلا واسطةٍ ولا معالجةٍ ، فلا مؤثِّرَ سواهُ تعالىٰ في أثرٍ ما عموماً ، قالَ جلَّ مِنْ قائلٍ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام : ١٠٢] ، وقالَ جلَّ وعزَّ : ﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الحديد : ٢] ، وقالَ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] .

*   *   *

[حقيقةُ الصفةِ النفسيةِ والصفاتِ السلبيةِ]

فَهَـٰذِهِ سِتُّ صِفَاتٍ ، ٱلْأُولَىٰ نَفْسِيَّةٌ ؛ وَهِيَ ٱلْوُجُودُ ، وَٱلْخَمْسَةُ بَعْدَهَا سَلْبِيَّةٌ .

حقيقةُ الصفةِ النفسيَّةِ : هي الحالُ الواجبةُ للذاتِ ما دامَتِ الذاتُ غيرَ معلَّلةٍ بعلَّةٍ[1] ؛ كالتحيُّزِ للجرمِ مثلاً[2] ؛ فإنَّهُ واجبٌ للجرمِ ما دامَ الجرمُ ، وليسَ ثبوتُهُ لهُ معلَّلاً بعلَّةٍ .

واحترزَ بقولِهِ : (غيرَ معلَّلةٍ بعلَّةٍ) مِنَ الأحوالِ المعنويَّةِ ؛ ككونِ الذاتِ عالمةً وقادرةً ومريدةً مثلاً ؛ فإنَّها معلَّلةٌ بقيامِ العلمِ والقدرةِ والإرادةِ بالذاتِ[3] ، أمَّا العلمُ والقدرةُ فليسا مِنَ الصفاتِ النفسيَّةِ ولا مِنَ المعنويَّةِ ؛ لأنَّ هاتينِ أحوالٌ ، والحالُ ليسَتْ بموجودةٍ في

---

(١) قوله : (**غيرَ معللة**) منصوب على الحالية ، لا علىٰ أنه خبر (دام) لأنها هنا تامة .

(٢) انظر « الإرشاد » لإمام الحرمين (ص٣٠) ، قوله : (**ما دامت الذات**) ما : مصدرية ظرفية معمولة لقوله : (الواجبة للذات) ، **ودام** : تامة لا خبر لها ؛ أي : الواجبة للذات مدة دوام الذات ، وفيه تنبيه علىٰ أن الأمر النفسي لا يتخلف عن الذات التي ذلك الأمر النفسي لها ، ولذلك يقولون : إن ما بالذات لا يختلف ولا يتخلف . « دسوقي » (ص١٠٩) .

(٣) في (هـ) زيادة : (واحترز أيضاً من صفات المعاني) .

نفسِها ولا معدومةٍ[١] ، والعلمُ والقدرةُ صفتانِ موجودتانِ في أنفسِهما ، قائمتانِ بموجودٍ .

فإذا عرفتَ هـٰذا فاعلمْ : أنَّ (الوجودَ) إنَّما يصحُّ أنْ يكونَ صفةً نفسيَّةً عندَ مَنْ يجعلُهُ زائداً على الذاتِ ، وأمَّا مَنْ يجعلُهُ نفسَ الذاتِ فليسَ بصفةٍ أصلاً ، وقد سبقَ الاعتذارُ عن عدِّهِ مِنَ الصفاتِ[٢] ، وبمثلِ ذلكَ يُعتذَرُ هنا عن عدِّهِ مِنَ الصفاتِ النفسيَّةِ ؛ أي : معنى الوجودِ راجعٌ للذاتِ ، سواءٌ قلنا : إنَّهُ عينُ الذاتِ ، أو زائدٌ علىٰ حقيقتِها ؛ لأنَّ الذاتَ لا تثبتُ في الخارجِ عنِ الذهنِ إلا أنْ تكونَ موجودةً .

قولُهُ : (**والخمسةُ بعدَها سلبيَّةٌ**) يعني : أنَّ مدلولَ كلِّ واحدٍ منها عدمُ أمرٍ لا يليقُ بمولانا جلَّ وعزَّ ، وليسَ مدلولُها صفةً موجودةً في نفسِها كما في العلمِ والقدرةِ ونحوِهما مِنْ سائرِ صفاتِ المعاني الآتيةِ[٣] .

---

(١) بل متحققة بطريق التبع لغيرها . « ياسين » (ق١٣٩) .

(٢) تقدم (ص ١٤٢) .

(٣) **قد يقال** : وصفات المعاني أيضاً سلبية ؛ لأنها تسلب أضدادها ؛ فالقدرة مثلاً تسلب عن الله تعالى العجز ، وهـٰكذا .
والجواب : لا خلاف في كون صفات المعاني سالبة أضدادَها عنه سبحانه ، ولـٰكن هـٰذا السلب حاصل بقيامها بذاته سبحانه ، ولذا نقل العلامة الدسوقي في « حاشيته » (ص١١١) عن المحقق عبد الفتاح الملوي قولَه : (**والتحقيق** : أن الصفة السلبية مباينة للسالبة ؛ **لأن السلبية** : ما دلَّ لفظها علىٰ نفي نقصٍ مطابقةً ؛ كالخمسة المذكورة ، **والسالبة** : ما دلَّ لفظها علىٰ نفي =

فالقدمُ معناهُ سلبٌ ؛ وهو نفْيُ سبقِ العدمِ على الوجودِ ، وإنْ شئتَ قلتَ : هو نفْيُ الأوَّليَّةِ للوجودِ ، والمعنىٰ واحدٌ .

والبقاءُ : هو نفْيُ لحوقِ العدمِ للوجودِ .

والمخالفةُ للحوادثِ : هي نفْيُ المماثلةِ لها في الذاتِ والصفاتِ والأفعالِ .

والقيامُ بالنفسِ : هو نفْيُ افتقارِ الذاتِ العليَّةِ إلىٰ محلٍّ ؛ أي : ذاتٍ أخرىٰ تقومُ بها قيامَ الصفةِ بالموصوفِ ، ونفْيُ افتقارِهِ تعالىٰ إلىٰ مخصِّصٍ ؛ أي : فاعلٍ .

والوحدانيةُ : عدمُ الاثنينيَّةِ في الذاتِ العليَّةِ والصفاتِ والأفعالِ ، وإنْ شئتَ قلتَ : هي نفْيُ الكمِّيَّةِ المتصلةِ والمنفصلةِ ، ونفْيُ الشريكِ في الأفعالِ عموماً ، والمعنىٰ واحدٌ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

= نقص التزاماً ، وذلك كالقدرة وما معها من صفات المعاني ، فلفظ « القدرة » يدلُّ مطابقة علىٰ صفة يتأتىٰ بها إيجاد الممكن ، ويدل التزاماً علىٰ سلب العجز ، وهٰكذا) .

صفاتُ المعاني

ثُمَّ يَجِبُ لَهُ تَعَالَىٰ سَبْعُ صِفَاتٍ تُسَمَّىٰ : صِفَاتِ ٱلْمَعَانِي .

مرادُهم بصفاتِ المعاني : الصفاتُ التي هي موجودةٌ في نفسِها ، سواءٌ كانَتْ حادثةً ؛ كبياضِ الجرمِ مثلاً وسوادِهِ ، أو قديمةً ؛ كعلمِهِ تعالىٰ وقدرتِهِ .

فكلُّ صفةٍ موجودةٍ في نفسِها فإنَّها تُسمَّىٰ في الاصطلاحِ : **صفة معنىً** .

وإنْ كانَتِ الصفةُ غيرَ موجودةٍ في نفسِها ؛ فإنْ كانَتْ واجبةً للذاتِ ما دامَتِ الذاتُ غيرَ معلَّلةٍ بعلَّةٍ . . سُمِّيَتْ **صفةً نفسيَّةً أو حالاً نفسيَّةً** ، ومثالُها : التحيُّزُ للجرمِ ، وكونُهُ قابلاً للأعراضِ مثلاً[1] .

وإنْ كانَتِ الصفةُ غيرَ موجودةٍ في نفسِها إلا أنَّها معلَّلةٌ إنَّما تجبُ للذاتِ ما دامَتْ علَّتُها قائمةً بالذاتِ . . سُمِّيَتْ **صفةً معنويةً أو حالاً معنويَّةً** ، مثالُها : كونُ الذاتِ عالمةً أو قادرةً مثلاً .

* * *

(١) ولذا يعبِّرون عن هـٰذا المعنىٰ فيقولون : ما بالذات ـ أو : ما بالنفس ـ لا يتخلَّف ولا يختلف ، فقبول الجرم للأعراض لا يمكن تخلُّفُه ، لا يقال : يمكننا تصور الجرم ابتداء مع الغفلة عن الأعراض ؛ لأن هـٰذا التصور لا يمكن ثبوته إلا بتصور بعض الأعراض .

وَهِيَ ٱلْقُدْرَةُ وَٱلْإِرَادَةُ ٱلْمُتَعَلِّقَتَانِ بِجَمِيعِ ٱلْمُمْكِنَاتِ .

يعني : أنَّ القدرةَ والإرادةَ متعلَّقُهما واحدٌ ؛ وهو الممكناتُ[1] ، دونَ الواجباتِ والمستحيلاتِ ، إلا أنَّ جهةَ تعلُّقِهما بالممكناتِ مختلفةٌ ؛ **فالقدرةُ** : صفةٌ تؤثِّرُ في وجودِ الممكنِ وإعدامِهِ علىٰ وَفْقِ الإرادةِ ، **والإرادةُ** : صفةٌ تؤثِّرُ في اختصاصِ أحدِ طرفيِ الممكنِ ؛ مِنْ وجودٍ أو عدمٍ أو طولٍ أو قصرٍ ونحوِها . . بالوقوعِ بدلاً عن مقابلِهِ .

فصارَ تأثيرُ القدرةِ فرعَ تأثيرِ الإرادةِ[2] ؛ إذْ لا يُوجِدُ مولانا جلَّ وعزَّ مِنَ الممكناتِ أو يعدمُ بقدرتِهِ إلا ما أرادَ اللهُ تعالىٰ وجودَهُ أو إعدامَهُ ،

---

(١) **القاعدة** : أن الخبر المعرف بـ (أل) الجنسية يكون محصوراً في المبتدأ ؛ أي : الممكنات محصورة في التعلق ، هـٰذا بحسب القاعدة ، **والمراد هنا** : أنه من حصر المبتدأ ؛ أي : أن التعلق محصور في الممكنات لا يتجاوزها إلى الواجبات والمستحيلات ، فما هنا مخالف للقاعدة . « عدوي » (ق ١١) ، **والتعلُّق** : اقتضاءُ الصفةِ أمراً زائداً على القيام بمحلِّها .

(٢) التفرُّع أمر عقلي ، وترتب ذاتي لا زماني ، وظاهر أن الكلام في تعلق القدرة والإرادة الحادث ؛ وهو التنجيزي ، ولا يخفىٰ ما في كلامه من المسامحة ، والتحقيق أن يقال : إن تأثير الذات بالقدرة فرع تأثير الذات أو تخصيصها بالإرادة . « ياسين » (ق ١٥٠) .

وتأثيرُ الإرادةِ عندَ أهلِ الحقِّ على وَفْقِ العلمِ[1] ، فكلُّ ما علمَ اللهُ تباركَ وتعالىٰ أنَّهُ يكونُ مِنَ الممكناتِ أو لا يكونُ . . فذلكَ مرادُهُ جلَّ وعزَّ .

والمعتزلةُ قبَّحَهُمُ اللهُ تعالىٰ جعلوا تعلُّقَ الإرادةِ تابعاً للأمرِ ، فلا يريدُ عندَهم مولانا جلَّ وعزَّ إلا ما أمرَ بهِ مِنَ الإيمانِ والطاعةِ ، سواءٌ وقعَ ذلكَ أم لا .

فعندَنا : إيمانُ أبي جهلٍ مأمورٌ بهِ غيرُ مرادٍ لهُ تعالىٰ ؛ لأنَّهُ جلَّ وعزَّ علمَ عدمَ وقوعِهِ ، وكفرُ أبي جهلٍ منهيٌّ عنهُ وهو واقعٌ بإرادةِ اللهِ تعالىٰ وقدرتِهِ .

وعندَ المعتزلةِ قبَّحَ اللهُ تعالىٰ رأيَهم[2] : إيمانُهُ هو المرادُ للهِ تعالىٰ لا كفرُه ، فلزمَهم أنَّهُ وقعَ نقصٌ في ملكِ مولانا جلَّ وعزَّ ؛ إذْ وقعَ فيهِ علىٰ قولِهم ما لا يريدُهُ ، تعالىٰ مَنْ لهُ ملكُ السماواتِ والأرضِ وما بينَهما عن ذلكَ علوّاً كبيراً[3] .

---

(١) أي : علىٰ وفق تعلُّق العلم بالممكنات فقط ، وليس مراده أن الإرادة تساوي العلم تعلُّقاً ؛ لأن العلم يتعلَّق بالواجبات والجائزات والمستحيلات ، والإرادة إنما تتعلق بالممكنات ، والمراد : علىٰ وفق العلم الملاحظ تعلقه بالمفردات المُشْبه لعلم الحوادث التصوري ، وأما العلم الملاحظ تعلقه بالنسب المُشْبه لعلم الحوادث التصديقي . . فهو فرعٌ عن تعلق القدرة . « دسوقي » (ص١١٧ـ ١١٨) ثم نبَّهَ أن هـٰذا مبني علىٰ إثبات تعلق تنجيزي للعلم ، وفيه خلاف .

(٢) أي : أظهر قبح رأيهم . « جمل » (ق٢٥) .

(٣) **وحاول بعضهم الجمع بين القولين** : فقالوا بانقسام الإرادة القديمة إلىٰ كونية وشرعية ، أو قل : قسرية واختيارية ، قال المحقق العلامة ياسين العليمي في=

وبالجملةِ : فالمتعلّقاتُ عندَ أهلِ الحقِّ ثلاثةٌ مُرتَّبةٌ : تعلُّقُ القدرةِ ، وتعلُّقُ الإرادةِ ، وتعلُّقُ العلمِ بالممكناتِ ، فالأوَّلُ مرتَّبٌ على الثاني ، والثاني مرتَّبٌ على الثالثِ .

وإنَّما لم تتعلَّقِ القدرةُ والإرادةُ بالواجبِ والمستحيلِ ؛ لأنَّ القدرةَ والإرادةَ لمَّا كانتا صفتينِ مؤثِّرتينِ ، ومِنْ لازمِ الأثرِ أنْ يكونَ موجوداً بعدَ عدمٍ . . لزمَ أنَّ ما لا يقبلُ العدمَ أصلاً كالواجبِ لا يقبلُ أنْ يكونَ أثراً لهما ، وإلا لزمَ تحصيلُ الحاصلِ ، وما لا يقبلُ الوجودَ أصلاً كالمستحيلِ لا يقبلُ أيضاً أنْ يكونَ أثراً لهما ، وإلا لزمَ قلبُ الحقيقةِ ؛ برجوعِ المستحيلِ عينَ الجائزِ ، **فلا قصورَ أصلاً في عدمِ تعلُّقِ القدرةِ والإرادةِ القديمتينِ بالواجبِ والمستحيلِ** ، بل لو تعلَّقَتا بهما لزمَ حينَئذٍ القصورُ ؛ لأنَّهُ يلزمُ علىٰ هـٰذا التقديرِ الفاسدِ أنْ يجوزَ تعلُّقُهما بإعدامِ أنفسِهما ، بل وبإعدامِ الذاتِ العليَّةِ ، وبإثباتِ الألوهيَّةِ لمَنْ لا يقبلُها

= « حاشيته » (ق١٥٣) : (وذكر بعضهم ما يرفع الإشكال والخلاف ؛ فقال : **الإرادة نوعان** : إرادة اختيار ؛ بمعنىٰ : أنه تعالىٰ أراد من العباد الإيمان والطاعة برغبتهم واختيارهم ، وإرادة قسر وإلجاء ؛ بمعنىٰ : أنه ألجأهم إلى الفعل وقسرهم عليه ، ويستحيل تخلف المراد عن الثانية ؛ لما يلزم من تخلفه العجز ، لا عن الأولىٰ ؛ لعدم استلزامه لذلك ؛ لأنه لو شاء لألجأهم وقسرهم علىٰ مراده ، **ورُدَّ** : بأنه يكفي في لزوم العجز تخلف مراد الله تعالىٰ في ذلك .

وأما قول بعضهم : **الإرادة قسمان** : إرادة أمر وتشريع ، وإرادة قضاء وتقدير ؛ **فالأولىٰ تُسمَّى الإرادة الشرعية** ؛ تتعلق بالطاعة لا بالمعصية ، **والثانية الإرادة التقديرية** ؛ شاملة لجميع الكائنات . . فلا يرفع الخلاف .

نعم ؛ يرفع التعارض بين الآيات والأحاديث بحسب الظاهر) .

مِنَ الحوادثِ ، وبسلبِها عمَّنْ تجبُ لهُ ؛ وهو مولانا جلَّ وعزَّ ! وأيُّ نقصٍ وفسادٍ أعظمُ مِنْ هـٰذا ؟!

وبالجملةِ : فذلكَ التقديرُ الفاسدُ يؤدِّي إلىٰ تخليطٍ عظيمٍ لا يبقىٰ معَهُ شيءٌ مِنَ الإيمانِ ، ولا شيءٌ مِنَ المعقولاتِ أصلاً .

ولخفاءِ هـٰذا المعنىٰ علىٰ بعضِ الأغبياءِ مِنَ المبتدعةِ صرَّحَ بنقيضِ ذلكَ ، فنَقَلَ عنِ ابنِ حزمٍ أنَّهُ قالَ في « المللِ والنحلِ » : (إنَّهُ تعالىٰ قادرٌ أنْ يتخذَ ولداً ؛ إذْ لو لم يَقدِرْ لكانَ عاجزاً)[1] ، فانظرِ اختلالَ عقلِ هـٰذا المبتدعِ كيفَ غفلَ عمَّا يلزمُهُ علىٰ هـٰذهِ المقالةِ الشنيعةِ مِنَ اللوازمِ التي لا تدخلُ تحتَ وَهْمٍ ، وكيفَ فاتَهُ أنَّ العجزَ إنَّما يكونُ لو كانَ القصورُ جاءَ مِنْ ناحيةِ القدرةِ ، أمَّا لو كانَ لعدمِ تعلُّقِ القدرةِ فلا يَتوهَّمُ عاقلٌ أنَّ هـٰذا عجزٌ .

وذكرَ الأستاذُ أبو إسحاقَ الإسفرايينيُّ : أنَّ أوَّلَ مَنْ أخذَ منهُ هـٰذا المبتدعُ وأشياعُهُ ذلكَ بحسَبِ فهمِهِمُ الركيكِ . . قصَّةُ إدريسَ عليهِ السلامُ[2] ؛ حيثُ جاءَهُ إبليسُ لعنَهُ اللهُ تعالىٰ في صورةِ إنسانٍ وهو

---

(١) انظر « الفصل في الملل والأهواء والنحل » (٢/ ١٣٨) وعبارته : (من سأل : هل الله تعالىٰ قادر علىٰ أن يتخذ ولداً ؟ فالجواب : أنه تعالىٰ قادر علىٰ ذلك) ، وقال أيضاً : (من قال : لا يوصف تعالىٰ بالقدرة على المحال . . فقد جعل قدرته سبحانه وتعالىٰ متناهية ، وجعل قوته عز وجل منقطعة محدودة) ، إلىٰ غير ذلك مما يعجب منه امرؤٌ أن يفوهَ به مثلُ هـٰذا العالم الكبير القدر .

(٢) قوله : (مَنْ) مستعملة هنا فيما لا يعقل ، والتقدير : أول كلام أخذ منه هـٰذا=

يخيطُ ويقولُ في كلِّ دخلةِ الإبرةِ وخرجتِها : سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ، فجاءَهُ بقشرةِ بيضةٍ وقالَ لهُ : آللهُ تعالىٰ يقدرُ أنْ يجعلَ الدنيا في هـٰذهِ القشرةِ ؟ فقالَ لهُ في جوابِهِ : اللهُ تعالىٰ قادرٌ أنْ يجعلَ الدنيا في سَمِّ هـٰذهِ الإبرةِ ، ونخسَ إحدىٰ عينيهِ ، فصارَ أعورَ ، قالَ : وهـٰذا وإنْ لم يُرْوَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقد ظهرَ وانتشرَ ظهوراً لا يُرَدُّ .

قالَ[1] : وقد أخذَ الأشعريُّ مِنْ جوابِ إدريسَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أجوبةً في مسائلَ كثيرةٍ مِنْ هـٰذا الجنسِ ، وأوضحَ هـٰذا الجوابَ فقالَ : إنْ أرادَ السائلُ أنَّ الدنيا علىٰ ما هي عليهِ والقشرةَ علىٰ ما هي عليهِ . . فلم يقلْ ما يُعقَلُ ؛ فإنَّ الأجسامَ الكثيرةَ يستحيلُ أنْ تتداخلَ وتكونَ في حيِّزٍ واحدٍ ، وإنْ أرادَ أنَّهُ يصغِّرُ الدنيا قدْرَ القشرةِ ويجعلُها فيها ، أو يكبِّرُ القشرةَ قدْرَ الدنيا ويجعلُ الدنيا فيها . . فلعمري ؛ اللهُ تعالىٰ قادرٌ علىٰ ذلكَ وعلىٰ أكثرَ منهُ[2] .

= المبتدع وأشياعه ذلك هو جواب قصة إدريس عليه السلام .

والأستاذ الإسفراييني من طبقة شيوخ ابن حزم من حيث الزمان ، **وعليه** : فالمبتدع هنا غير ابن حزم ، وبه تعلم سبق بعض المبتدعة لابن حزم في هـٰذه الشناعة ، وقد قال بتعلُّق القدرة بالمحالات العقلية بعض العارفين ، إلا أن حدَّهُ للمستحيل العقلي مباين لما عليه المتكلمون .

(١) ما يزال الكلام للأستاذ الإسفراييني .

(٢) أورد هـٰذه الحكاية الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني في كتابه « الترتيب في أصول الفقه » ، ونقله عنه العلامة الزركشي في « تشنيف المسامع » (٤/ ٦٦٢) .

قالَ بعضُ المشايخِ[1] : (وإنَّما لم يفصِّلْ إدريسُ عليهِ الصلاةُ السلامُ الجوابَ هـٰكذا ؛ لأنَّ السائلَ معاندٌ متعنِّتٌ ، ولهـٰذا عاقبَهُ على السؤالِ بنخْسِ العينِ ؛ وذلكَ عقوبةُ كلِّ سائلٍ مثلِهِ)[2] .

* * *

(١) هو العلامة الزركشي ، بعد إيراده للنقل المذكور .
(٢) انظر « تشنيف المسامع » (٤/ ٦٦٣) .

صفةُ العلم

وَٱلْعِلْمُ ٱلْمُتَعَلِّقُ بِجَمِيعِ ٱلْوَاجِبَاتِ وَٱلْجَائِزَاتِ وَٱلْمُسْتَحِيلاتِ .

العلمُ : هو صفةٌ ينكشفُ بها ما تتعلَّقُ بهِ انكشافاً لا يحتملُ النقيضَ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ .

فمعنىٰ قولِنا : (**المتعلِّقُ بجميعِ الواجباتِ . . .**) إلىٰ آخرِهِ : أنَّ جميعَ هٰذهِ الأمورِ منكشفةٌ لعلمِهِ تعالىٰ ، متَّضحةٌ لهُ أزلاً وأبداً بلا تأمُّلٍ ولا استدلالٍ اتضاحاً لا يمكنُ أنْ يكونَ في نفسِ الأمرِ علىٰ خلافِ ما علمَهُ جلَّ وعزَّ[1] .

* * *

(١) قوله : (يكون) أي : العلم أو الاتضاح ، وإن كان بالتاء الفوقية (تكون) فالمراد : الأمور المنكشفة . مفادُ « ياسين » (ق١٦٦) .

صفةُ الحياة

وَٱلْحَيَاةُ ، وَهِيَ لا تَتَعَلَّقُ بِشَيْءٍ .

الحياةُ : هي صفةٌ تصحِّحُ لمَنْ قامَتْ بهِ أنْ يتَّصفَ بالإدراكِ .

ومعنىٰ **كونِها لا تتعلَّقُ بشيءٍ** : أنَّها لا تقتضي أمراً زائداً على القيامِ بمحلِّها[(١)] ، **والصفةُ المتعلِّقةُ** : هي التي تقتضي أمراً زائداً علىٰ ذلكَ ، ألا ترىٰ أنَّ العلمَ بعدَ قيامِهِ بمحلِّهِ يطلبُ أمراً يُعلَمُ بهِ ، وكذلكَ القدرةُ والإرادةُ ونحوُهما ؟!

وبالجملةِ : فجميعُ صفاتِ المعاني متعلِّقةٌ[(٢)] ـ أي : طالبةٌ ـ لزائدٍ على القيامِ بمحلِّها سوى الحياةِ ، وهـٰذا التعلُّقُ نفسيٌّ لتلكَ الصفاتِ[(٣)] ، كما أنَّ قيامَها بالذاتِ نفسيٌّ لها أيضاً .

* * *

---

(١) معنىٰ (**لا تقتضي**) أي : لا تستلزم ، وكذا قوله بعدُ : (**أي : طالبةٌ**) يحمل علىٰ معنى الاستلزام . مفادٌ « ياسين » (ق١٦٧) .

(٢) **أراد** : صفاتِ المعاني الواجبةَ القديمة ؛ إذ من المعاني ما ليس له تعلق ؛ كالألوان والأكوان في الحادثات . مفاد « سكتاني » (ق١٦٨) .

(٣) **أراد** : التعلقاتِ الصُّلُوحية القديمة ، ومثلها التنجيزية القديمة ، أما التعلقات التنجيزية الحادثة فلا تدخل في كلام المصنف ، قال العلامة السكتاني في =

وَٱلسَّمْعُ وَٱلْبَصَرُ ٱلْمُتَعَلِّقَانِ بِجَمِيعِ ٱلْمَوْجُودَاتِ .

السمعُ والبصرُ : صفتانِ ينكشفُ بهما الشيءُ ويتَّضحُ كالعلمِ ، إلا أنَّ الانكشافَ بهما يزيدُ على الانكشافِ بالعلمِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ ليسَ عينَهُ ، وذلكَ معلومٌ في الشاهدِ ضرورةً ، ومتعلَّقُهما أخصُّ مِنْ متعلَّقِ العلمِ ، فكلُّ ما تعلَّقَ بهِ السمعُ والبصرُ تعلَّقَ بهِ العلمُ ، ولا ينعكسُ إلا جزئيّاً .

ونبَّهَ بقولِهِ : (**بجميعِ الموجوداتِ**) علىٰ أنَّ سمعَهُ تعالىٰ وبصرَهُ مخالفانِ لسمعِنا وبصرِنا في التعلُّقِ ؛ **لأنَّ سمعَنا** إنَّما يتعلَّقُ عادةً ببعضِ الموجوداتِ ؛ وهي الأصواتُ ، وعلىٰ وجهٍ مخصوصٍ ؛ مِنْ عدمِ البعدِ والقربِ جدّاً ، **وبصرَنا** إنَّما يتعلَّقُ عادةً ببعضِ الموجوداتِ ؛ وهي الأجسامُ وألوانُها وأكوانُها ، في جهةٍ مخصوصةٍ وعلىٰ صفةٍ مخصوصةٍ ، **وأمَّا سمعُ مولانا جلَّ وعزَّ وبصرُهُ** : فيتعلَّقانِ بكلِّ

= « حاشيته » (ق٤٩) : (وهـٰذه الإضافة المتجددة قد يسميها بعض العلماء تعلقاً ، وبعضهم توجُّهاً ، وبعضهم تحققاً ، ولا مشاحَّة في الألفاظ) ثم قال : (وما ذكره من أن التعلق ـ يعني : الصلاحي ـ نفسيٌّ . . هو قول الشيخ الأشعري) .

موجودٍ ، قديماً كانَ أو حادثاً ، فيسمعُ جلَّ وعزَّ ويرىٰ في أزلِهِ ذاتَهُ العليَّةَ وجميعَ صفاتِهِ الوجوديَّةِ[1] ، ويسمعُ ويرىٰ تباركَ وتعالىٰ معَ ذلكَ فيما لا يزالُ ذواتِ الكائناتِ كلِّها وجميعَ صفاتِها الوجوديَّةِ[2] ، سواءٌ كانَتْ مِنْ قبيلِ الأصواتِ أو مِنْ غيرِها ، أجساماً كانَتْ أو ألواناً أو أكواناً أو غيرَها[3] .

* * *

---

(١) أي : حتىٰ سمعه وبصره . « جمل » (ق٢٧) .

(٢) قوله : (**فيما لا يزال**) هو ما قابل الأزل ، ومبدؤه خفي ، تقف عنده العقول ، فلا يعلمه إلا الله . « دسوقي » (ص١٣٠) ، والظرفية مجازية . « عدوي » (ق١٦) .

(٣) في هامش (أ) لحق مصحح ؛ وهو : (**والأكوانُ** : يعنونَ بها الأعراضَ المخصوصةَ ؛ وهي الحركةُ والسكونُ أو غيرُها) كالاجتماع والافتراق ، وبهما تتمُّ الأكوان الأربعة .

صفة الكلام

وَٱلْكَلامُ ٱلَّذِي لَيْسَ بِحَرْفٍ وَلا صَوْتٍ ، وَيَتَعَلَّقُ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ ٱلْعِلْمُ مِنَ ٱلْمُتَعَلَّقَاتِ .

كلامُ اللهِ تعالى القائمُ بذاتِهِ : هو صفةٌ أزليَّةٌ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ[1] ، ولا يقبلُ العدمَ ولا ما في معناهُ مِنَ السكوتِ ، ولا التبعيضَ ، ولا التقديمَ ولا التأخيرَ .

ثم هو معَ وَحدتِهِ متعلِّقٌ ؛ أي : دالٌّ أزلاً وأبداً علىٰ جميعِ معلوماتِهِ التي لا نهايةَ لها ، وهو الذي عُبِّرَ عنهُ بالنظمِ المعجزِ المسمَّىٰ أيضاً بكلامِ اللهِ تعالىٰ حقيقةً لغويَّةً ؛ لوجودِ كلامِهِ عزَّ وجلَّ فيهِ بحسَبِ الدلالةِ ، لا بالحلولِ ، ويسمَّيانِ بالقرآنِ أيضاً[2] .

وكُنْهُ هـٰذهِ الصفةِ وسائرِ صفاتِهِ تعالىٰ محجوبٌ عنِ العقلِ كذاتِهِ جلَّ وعزَّ[3] ، فليسَ لأحدٍ أنْ يخوضَ في الكُنْهِ بعدَ معرفةِ

(١) الحرف أخصُّ من الصوت ؛ إذ ليس كل صوت حرفاً ، ولما كان لا يلزم من نفي الأخصِّ نفيُ الأعمِّ ذكر العامَّ بعده . مفادٌ « دسوقي » (ص١٣٠) .

(٢) أي : الكلام القديم القائم بذاته ، واللفظ المعجز الدال عليه وعلىٰ تعلقاته . « ياسين » (ق١٨١) .

(٣) أي : عن كل عقل ، حتىٰ عن عقول الرسل . « دسوقي » (ص١٣٣) .

ما يجبُ لذاتِهِ تعالىٰ ولصفاتِهِ .

وما يوجدُ في كتبِ علماءِ الكلامِ مِنَ التمثيلِ بالكلامِ النفسيِّ في الشاهدِ عندَ ردِّهم على المعتزلةِ القائلينَ بانحصارِ الكلامِ في الحروفِ والأصواتِ . . لا يُفهَمُ منهُ تشبيهُ كلامِهِ جلَّ وعزَّ بكلامِنا النفسيِّ في الكُنْهِ ، تعالىٰ وجلَّ عن أنْ يكونَ لهُ شريكٌ في ذاتِهِ أو صفاتِهِ أو أفعالِهِ .

وكيف يُتوهَّمُ أنَّ كلامَهُ تعالىٰ مماثلٌ لكلامِنا النفسيِّ وكلامُنا النفسيُّ أعراضٌ حادثةٌ يوجدُ فيها التقديمُ والتأخيرُ ، وطروءُ البعضِ بعدَ عدمِ البعضِ الذي يتقدَّمُهُ(١) ، ويترتبَ(٢) وينعدمَ بحسبِ وجودِ ذلكَ في كلامِنا اللفظيِّ ؟!

فمَنْ توهَّمَ هـٰذا في كلامِهِ جلَّ وعزَّ فليسَ بينَهُ وبينَ الحشويَّةِ ونحوِهم مِنَ المبتدعةِ القائلينَ بأنَّ كلامَهُ تعالىٰ حروفٌ وأصواتٌ . . فرقٌ .

وإنَّما مقصدُ العلماءِ بذكرِ الكلامِ النفسيِّ في الشاهدِ : النقضُ على المعتزلةِ في حصرِهمُ الكلامَ في الحروفِ والأصواتِ ، فقيلَ لهم : ينتقضُ حصرُكم ذلكَ بكلامِنا النفسيِّ ؛ فإنَّهُ كلامٌ حقيقةً وليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وإذا صحَّ هـٰذا فكلامُ مولانا جلَّ وعزَّ أيضاً كلامٌ ليسَ

---

(١) قوله : (**وطروء البعض**) أي : الحرف الثاني لا يوجد حتىٰ ينقضي الذي قبله ، وهو بديهي . « جمل » (ق٢٨) .

(٢) معطوف علىٰ قوله : (أعراضٌ) . « جمل » (ق٢٩) .

بحرفٍ ولا صوتٍ ، فلم يقعِ الاشتراكُ بينَهما إلا في هـٰذهِ الصفةِ السلبيَّةِ[1] ؛ وهي أنَّ كلامَ مولانا جلَّ وعزَّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ كما أنَّ كلامَنا النفسيَّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، أمَّا الحقيقةُ فمباينةٌ للحقيقةِ كلَّ المباينةِ[2] .

فاعرفْ هـٰذا ؛ فقد زلَّتْ هنا أقدامٌ لم تُؤيَّدْ بنورٍ مِنَ الملكِ العلامِ .

* * *

---

(١) والاشتراك في الصفات السلبية لا يوجب المماثلة في الحقيقة . « ياسين » (ق١٨٧) .

(٢) أي : مباينة تامة ؛ وذلك لأن لوازمهما متباينة ؛ فإن مِنْ لازمِ كلامِ الله أن يكون قديماً ، ومِنْ لازمِ كلامِنا الحدوث ، فتباينا ، والتباين في اللوازم دليل على التباين في الملزومات ، وأشار بهـٰذا إلىٰ أن المباينة مقولة بالتشكيك ، فمباينة الحمرة للبياض أضعف من مباينة السواد للبياض . « دسوقي » (ص١٣٤) .

أقسام صفات المعاني من حيث التعلقات

وهنا انتهىٰ ما عدَّ في العقيدةِ مِنْ صفاتِ المعاني ، **وحاصلُها** : **أنَّها تنقسمُ أربعةَ أقسامٍ** :

قسمٌ لا يتعلَّقُ بشيءٍ : وهي الحياةُ .

وقسمٌ يتعلَّقُ بالممكناتِ فقطْ : وهي اثنتانِ ؛ القدرةُ والإرادةُ .

وقسمٌ يتعلَّقُ بجميعِ الموجوداتِ : وهي اثنتانِ ؛ السمعُ والبصرُ .

وقسمٌ يتعلَّقُ بجميعِ أقسامِ الحكمِ العقليِّ : وهو العلمُ والكلامُ[1] .

وأعمُّ الصفاتِ المتعلِّقةِ في التعلُّقِ العلمُ والكلامُ .

وبينَ متعلَّقِ القدرةِ والإرادةِ وبينَ متعلَّقِ السمعِ والبصرِ عمومٌ وخصوصٌ مِنْ وجهٍ ؛ فتزيدُ القدرةُ والإرادةُ بتعلُّقِهما بالمعدومِ الممكنِ ، ويزيدُ السمعُ والبصرُ بتعلُّقِهما بالموجودِ الواجبِ ؛ كذاتِ مولانا جلَّ وعزَّ وصفاتِهِ ، ويشتركُ القسمانِ في تعلُّقِهما بالموجودِ الممكنِ .

---

(١) هـٰذه العبارة توهم عدم تعلقهما بتصوُّر أطراف الحكم ؛ كتصور الموضوع والمحمول والنسبة ، وليس كذلك ، بل علمه تعالىٰ كما ينكشف به الأحكام ينكشف به أطرافها ، وكما أن كلامه يدل على الحكم يدل علىٰ أطرافه ، ولو قال : بجميع أقسام الحكم العقلي وبمتعلقاته . . لكان أحسن . « دسوقي » (ص١٣٥) .

[الخلافُ في صفةِ الإدراكِ]

وإنَّما اقتصرَ في العقيدةِ علىٰ هـٰذهِ السبعِ ، ولم يعدَّ معَها الصفةَ الثامنةَ ؛ وهي إدراكُهُ تعالىٰ للطعومِ والروائحِ ونحوِهما مِنَ الكيفيَّاتِ التي تستدعي في حقِّنا بحسَبِ العادةِ اتصالاتٍ . . لأجلِ الخلافِ الذي في هـٰذهِ الصفةِ : هل هي في حقِّهِ تعالىٰ ترجعُ إلى العلمِ ، أو هي زائدةٌ على العلمِ ، ويكونُ إدراكُهُ تعالىٰ لتلكَ الأمورِ بإدراكٍ زائدٍ على العلمِ مِنْ غيرِ اتصالٍ بها ، ولا تكييفٍ للذاتِ العليَّةِ بما جرَتِ العادةُ أنْ تتكيَّفَ بهِ ذواتُنا عندَ هـٰذا الإدراكِ مِنَ اللذاتِ والآلامِ ونحوِهما ؟

ويتعلَّقُ هـٰذا الإدراكُ علىٰ هـٰذا القولِ في حقِّهِ تعالىٰ بكلِّ موجودٍ ؛ كسمعِهِ جلَّ وعزَّ وبصرِهِ .

والذي اختارَهُ بعضُ المحقِّقينَ في هـٰذا الإدراكِ الوقفُ[1] ؛ لعدمِ ورودِ السمعِ بهِ ، فلأجلِ ما وقعَ فيهِ مِنْ هـٰذا الخلافِ تركنا عدَّهُ في صفاتِ المعاني ، واقتصرنا على المجمعِ عليهِ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

---

(١) هو العلامة المقترح في « شرح الإرشاد » (ص٣١٢) ، وتبعه عليه تلميذه العلامة ابن التلمساني في « شرح معالم أصول الدين » (ص٣٧٦) .

ثُمَّ سَبْعُ صِفَاتٍ تُسَمَّىٰ : صِفَاتٍ مَعْنَوِيَّةً ، وَهِيَ مُلازِمَةٌ لِلسَّبْعِ ٱلأُولَىٰ .

إنَّما سُمِّيَتْ هـٰذهِ الصفاتُ معنويَّةً ؛ لأنَّ الاتصافَ بها فرعُ الاتصافِ بالسبعِ الأولىٰ ، فإنَّ اتصافَ محلٍّ مِنَ المحالِّ[1] بكونِهِ عالماً أو قادراً مثلاً . . لا يصحُّ إلا إذا قامَ بهِ العلمُ أوِ القدرةُ ، وقِسْ علىٰ هـٰذا ، فصارَتِ السبعُ الأولىٰ ـ وهي صفاتُ المعاني ـ عِلَلاً لهـٰذهِ ؛ أي : ملزومةً لها[2] ، فلهـٰذا نُسِبَتْ هـٰذهِ إلىٰ تلكَ ، فقيلَ فيها : صفاتٌ معنويَّةٌ ، ولهـٰذا كانَتْ هـٰذهِ سبعاً مثلَ الأولىٰ ، فالياءُ في لفظِ (المعنويَّةِ) ياءُ النَّسَبِ[3] ، نُسِبَتْ إلى (المعنىٰ) ، والواوُ فيها بدلٌ مِنَ الألفِ التي في (المعنىٰ) .

وَهِيَ كَوْنُهُ تَعَالَىٰ قَادِراً ، وَمُرِيداً ، وَعَالِماً ، وَحَيّاً ، وَسَمِيعاً ، وَبَصِيراً ، وَمُتَكَلِّماً .

---

(١) أي : ذات من الذوات . « دسوقي » (ص١٣٨) .

(٢) **لا يخفىٰ** : أن الملزومة هي المعاني ، واللازمة هي المعنوية .

(٣) فهي نسبةٌ إلى المعاني ، **والقاعدة** : أنه إذا نُسب إلى الجمع رُدَّ إلىٰ مفرده ، ولذا سيذكر بعدُ الأصل في النسبة الذي هو المفرد .

لمَّا كانَتْ هـٰذهِ الصفاتُ المعنويَّةُ لازمةً لصفاتِ المعاني . . رتَّبَها علىٰ حسَبِ ترتيبِ تلكَ ؛ فكونُهُ تعالىٰ قادراً لازمٌ للصفةِ الأولىٰ مِنْ صفاتِ المعاني ؛ وهي القدرةُ القائمةُ بذاتِهِ تعالىٰ[1] ، وكونُهُ جلَّ وعزَّ مريداً لازمٌ للإرادةِ القائمةِ بذاتِهِ تباركَ وتعالىٰ ، وكونُهُ تعالىٰ عالماً لازمٌ للعلْمِ القائمِ بذاتِهِ تعالىٰ ، وكونُهُ تعالىٰ حيّاً لازمٌ للحياةِ القائمةِ بذاتِهِ تعالىٰ ، وكونُهُ تعالىٰ سميعاً لازمٌ للسمعِ القائمِ بذاتِهِ تعالىٰ ، وكونُهُ تعالىٰ بصيراً لازمٌ للبصرِ القائمِ بذاتِهِ تعالىٰ ، وكونُهُ تعالىٰ متكلِّماً لازمٌ للكلامِ القائمِ بذاتِهِ تعالىٰ .

واعلمْ : أنَّ عدَّهم لهـٰذهِ السبعِ في الصفاتِ هو علىٰ سبيلِ الحقيقةِ **إنْ قلنا بثبوتِ الأحوالِ** ؛ وهي صفاتٌ ثبوتيَّةٌ ليسَتْ بموجودةٍ ولا معدومةٍ ، تقومُ بموجودٍ ، فتكونُ هـٰذهِ الصفاتُ المعنويَّةُ علىٰ هـٰذا صفاتٍ ثابتةً قائمةً بذاتِهِ تعالىٰ .

وأمَّا إنْ قلنا بنفْيِ الأحوالِ ، وأنَّهُ لا واسطةَ بينَ الوجودِ والعدمِ كما هو مذهبُ الشيخِ الأشعريِّ . . فالثابتُ مِنَ الصفاتِ التي تقومُ بالذاتِ إنَّما هو السبعُ الأولى التي هي صفاتُ المعاني ، وأمَّا هـٰذهِ

---

(١) **فالكونية المذكورة** : صفة ثابتة في نفسها ، قائمة بالذات ، لازمة للقدرة ، **فعندنا صفتان** : إحداهما وجودية ؛ وهي القدرة ، والثانية ثبوتية لا يمكن رؤيتها ؛ وهي الكون قادراً ، وهـٰكذا يقال في الباقي . « دسوقي » (ص١٣٨) .

فعبارةٌ عن قيامِ تلكَ بالذاتِ[1] ، لا أنَّ لهٰذهِ ثبوتاً في الخارجِ عنِ الذهنِ[2] .

* * *

(١) أي : ليست بزائدة عليها في الخارج ، وإنما هي أمر اعتباري ، والأشعري لا ينفيها من أصلها ، وإلا لكفر من ينفي ثبوتها في الخارج ، فالخلاف لفظي ؛ فعلىٰ مذهبه : لم يقم بالذات في صورة القدرة مثلاً إلا صفة واحدة ؛ وهي القدرة ، وقيامها بالذات أمر اعتباري لها ، وعلىٰ مذهب غيره : يقوم بالذات شيئان ثابتان في الخارج : القدرة والقادرية . انتهىٰ شيخنا عطية . « جمل » (ق٣٠) .

(٢) **فائدة** : المعنوية على القول بثبوتها لا تعلق لها ؛ اكتفاءً بتعلق المعاني ، **وأيضاً** : التعلق حال ، والحال لا يثبت للحال . « دسوقي » (ص١٣٩) .

وَمِمَّا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ : عِشْرُونَ صِفَةً ؛ وَهِيَ أَضْدَادُ ٱلْعِشْرِينَ ٱلْأُولَىٰ .

مرادُهم بالضدِّ هنا : الضدُّ اللغويُّ ؛ **وهو كلُّ منافٍ ، سواءٌ كانَ وجوديّاً أو عدميّاً** ، فكأنَّهُ يقولُ : يستحيلُ في حقِّهِ تعالىٰ كلُّ ما ينافي صفةً مِنَ الصفاتِ الأولىٰ ؛ لأنَّ الصفاتِ الأولىٰ لمَّا تقرَّرَ وجوبُها لهُ تعالىٰ عقلاً وشرعاً ، وقد عرفْتَ أنَّ حقيقةَ الواجبِ : ما لا يُتصوَّرُ في العقلِ عدمُهُ . لزمَ ألا يقبلَ جلَّ وعزَّ الاتصافَ بما ينافي شيئاً منها .

[أنواعُ المنافاةِ أربعةٌ]

وأنواعُ المنافاةِ علىٰ ما تقرَّرَ في المنطقِ أربعةٌ : تنافي النقيضينِ ، وتنافي العدمِ والملكةِ ، وتنافي الضدَّينِ ، وتنافي المتضايفينِ ، فكلُّ نوعٍ مِنْ هـٰذهِ الأنواعِ الأربعةِ لا يمكنُ الاجتماعُ فيهِ بينَ الطرفينِ(١) .

فأمَّا تنافي النقيضينِ : فهما ثبوتُ أمرٍ ونفيُهُ ؛ كثبوتِ الحركةِ ونفيِها .

---

(١) ولا يمكن أيضاً ارتفاع الطرفين بالنسبة للنقيضين ، وأما بالنسبة لغيرهما فيمكن ارتفاعهما . « دسوقي » (ص١٤١) .

وأمَّا العدمُ والملكةُ[1] : فهما ثبوتُ أمرٍ ونفيُهُ عمَّا مِنْ شأنِهِ أنْ يتَّصفَ بهِ[2] ؛ كالبصر والعمىٰ مثلاً[3] ، فالبصرُ وجوديٌّ وهو الملكةُ ، والعمىٰ نفيُهُ عمَّا مِنْ شأنِهِ أنْ يتَّصفَ بهِ ، ولهـٰذا لا يُقالُ في الحائطِ : أعمىٰ ؛ لأنَّهُ ليسَ مِنْ شأنِهِ أنْ يتَّصفَ بالنظرِ عادةً[4] ، وبهـٰذا فارقَ هـٰذا النوعُ النقيضينِ ؛ فإنَّ كلاً مِنَ النوعينِ وإنْ كانَ هو ثبوتَ أمرٍ ونفيَهُ ، لـٰكنَّ النفيَ في تقابلِ العدمِ والملكةِ مقيَّدٌ بنفيِ الملكةِ عمَّا مِنْ شأنِهِ أنْ يتَّصفَ بها ، وفي النقيضينِ لا يتقيَّدُ بذلكَ .

وأمَّا الضدانِ : فهما المعنيانِ الوجوديَّانِ اللذانِ بينَهما غايةُ الخلافِ[5] ،

---

(١) **الملكة** : عبارة عن الأمر الوجودي القائم بالشيء ؛ كالبصر ؛ فإنه أمر وجودي قائم بالعين ، **والعدم** : عبارة عن انتفاء تلك الملكة عن المحل الذي شأنه أن يتصف بتلك الملكة وقت انتفائها . « دسوقي » (ص١٤٢) .

(٢) ولا بد من اعتبار قبول المحل بشخصه ، لا بنوعه أو جنسه القريب أو البعيد ، وكذا لا بد من اعتبار وقت الانتفاء ؛ فنفي اللحية عن الكوسج ـ وهو البالغ الذي لا لحية له ـ من قبيل عدم الملكة ، أما عن الأمرد فلا ، هـٰذا باعتبار الوقت ، أما باعتبار الشخص فكنفي اللحية عن المرأة ، فهـٰذا ليس من عدم الملكة ؛ لأن الشخص لا يقبله ، وإن قبله من حيث النوع أو الجنس .

(٣) هـٰذا بناء علىٰ مذهب الحكماء ، وعند المتكلمين : العمىٰ وصف وجودي قائم بالعين كالبصر ، وحينئذ فالتقابل بينهما من تقابل الضدين . « دسوقي » (ص١٤٢) .

(٤) أي : في العادة المستمرة ، وإلا فيجوز أن يتصف به خرقاً للعادة . « ياسين » (ق١٩٩) .

(٥) قوله : (**الوجوديان**) أي : اللذان يمكن رؤيتهما ، وهـٰذا وصف كاشف ؛ إذ صفة المعنىٰ لا تكون إلا وجودية . « دسوقي » (ص١٤٣) ، وكذا يقال فيما سيأتي ، أما بشأن النقيضين ، والعدم والملكة . . فالتقابل فيهما بين أمر =

ولا تتوقَّفُ عقليَّةُ أحدِهما على عقليَّةِ الآخرِ[1] ، مثالُهما : البياضُ والسوادُ ، **ومرادُنا بغايةِ الخلافِ** : التنافي بينَهما ؛ بحيثُ لا يصحُّ اجتماعُهما ، واحترزَ بذلكَ مِنَ البياضِ معَ الحركةِ مثلاً ؛ فإنَّهما أمرانِ وجوديَّانِ مختلفانِ في الحقيقةِ ، لكنْ ليسَ بينَهما غايةُ الخلافِ التي هي التنافي ؛ لصحَّةِ اجتماعِهما ؛ إذْ يمكنُ أنْ يكونَ المحلُّ الواحدُ متحركاً أبيضَ .

وأمَّا المتضايفانِ : فهما الأمرانِ الوجوديَّانِ اللذانِ بينَهما غايةُ الخلافِ ، وتتوقَّفُ عقليَّةُ أحدِهما على عقليَّةِ الآخرِ ؛ كالأبوَّةِ والبنوَّةِ مثلاً ، **والمرادُ بالوجودِ في المتضايفينِ** : أنَّ كلاً منهما ليسَ معناهُ عدمَ كذا ، لا أنَّهما موجودانِ في الخارجِ عنِ الذهنِ ؛ **إذْ مِنَ المعلومِ عندَ المحقِّقينَ**[2] : أنَّ الأبوَّةَ والبنوَّةَ أمرانِ اعتباريانِ لا وجودَ لهما في الخارجِ عنِ الذهنِ .

[أقسامُ المنافاةِ عندَ الأصوليينَ]

وأهلُ الأصولِ يجعلونَ أقسامَ المنافاةِ اثنينِ فقطْ : تنافي النقيضينِ ، وتنافي الضدَّينِ ، ويجعلونَ العدمَ والملكةَ داخلينِ في

= وجودي وآخر عدمي ، وبقي مما لم يتعرض له الإمام المصنف : تنافي الأمرين العدميين ؛ كالامتناع وأن لا امتناعَ ، فيزاد على هٰذه الأقسام .

(١) قوله : (**عقلية**) أي : تعقُّل . « جمل » (ق٣١) ، وفي (أ) وحدها : (معقولية) بدل (عقلية) في المواضع كلها .

(٢) إنما ذكر المحققين ؛ إخراجاً للفلاسفة القائلين بأن الأمور النسبية كالإضافيات وغيرها أعراضٌ موجودة . مفادٌ « دسوقي » (ص١٤٤) .

النقيضينِ[1] ، والمتضايفينِ داخلينِ في الضدينِ .

ولهـٰذا يقولونَ : المعلوماتُ منحصرةٌ في أربعةِ أقسامٍ : المثلينِ ، والضدَّينِ ، والخلافينِ ، والنقيضينِ ؛ لأنَّ المعلومينِ إنْ أمكنَ اجتماعُهما فهما **الخلافانِ** ، وإنْ لم يمكنْ معَ ذلكَ ارتفاعُهما فهما **النقيضانِ** ، وإنْ أمكنَ معَ ذلكَ ارتفاعُهما ؛ فإمَّا أنْ يختلفا في الحقيقةِ أم لا ، فالأوَّلُ **الضدانِ** ، والثاني **المثلانِ** .

فخرجَ مِنْ هـٰذا : أنَّ القسمَ الأوَّلَ مِنْ هـٰذهِ الأقسامِ **الخلافانِ** ، وهما يجتمعانِ ويرتفعانِ ؛ كالكلامِ والقعودِ ، والثاني **النقيضانِ** ، لا يجتمعانِ ولا يرتفعانِ ؛ كوجودِ زيدٍ وعدمِهِ ، والثالثُ **الضدانِ** ، لا يجتمعانِ وقد يرتفعانِ ؛ كالحركةِ والسكونِ ؛ فإنَّهما لا يجتمعانِ ، وقد يرتفعانِ بعدمِ محلِّهما الذي هو الجرمُ[2] ، والرابعُ **المثلانِ** ، لا يجتمعانِ وقد يرتفعانِ ؛ كالبياضِ والبياضِ[3] .

---

(١) لأن العدم أخصُّ من نقيض الملكة ؛ إذ العمىٰ مثلاً فرد من أفراد اللابصر ، ولـٰكن العدم والملكة قد يرتفعان ، خلافاً للنقيضين ، فليس مراد الأصوليين جعل العدم والملكة من أفراد النقيضين ، أو أنهم يعرِّفون النقيضين تعريفاً شاملاً لهما ؛ فيدخلان في أفرادهما كما يظهر من كلامه الآتي .

(٢) إنما قيد ارتفاعهما بعدم محلهما ؛ لأنه لا واسطة بين الحركة والسكون ؛ إذ لا يخلو الجرم عنهما ما دام موجوداً ، والضدان إذا كان لا واسطة بينهما فإن ارتفاعهما إنما يكون بعدم محلهما ، وأما إذا كان هناك واسطة بين الضدين ؛ كالبياض والسواد . . فإنهما يرتفعان مع بقاء المحل متصفاً بالوسائط ؛ كالحمرة والصفرة . « دسوقي » (ص١٤٦) .

(٣) قال العلامة القرافي في « شرح تنقيح الفصول » (ص٨٣) بعد ذكره لهـٰذه =

واحتجَّ أصحابُنا علىٰ أنَّ المثلينِ لا يجتمعانِ ؛ بأنَّ المحلَّ لو قَبِلَ المثلينِ للزمَ أنْ يقبلَ الضدَّينِ ؛ فإنَّ القابلَ للشيءِ : لا يخلو عنهُ ، أو عن مثلِهِ ، أو عن ضدِّهِ ، فلو قَبِلَ المثلينِ لجازَ وجودُ أحدِهما في المحلِّ معَ انتفاءِ الآخرِ ، فيخلفُهُ ضدُّهُ ، فيجتمعُ الضدانِ ، وهو محالٌ .

* * *

= المتنافيات : (**فائدة** : حصر المعلومات كلها في هٰذه الأربعة الأقسام حقٌّ ، لا يخرج منها شيء إلا ما توحَّد الله تعالىٰ به وتفرد به ؛ فإنه ليس ضد الشيء ولا نقيضاً ولا مثلاً ولا خلافاً ؛ لتعذر الرفع ، وهٰذا حكم عام في ذاته تعالىٰ وصفاته العُلا ؛ **لتعذُّر رفعها بسبب وجوب وجودها**) .

[استحالةُ العدمِ ، والحدوثِ ، وطروءِ العدمِ في حقه تعالىٰ]

وَهِيَ : ٱلْعَدَمُ ، وَٱلْحُدُوثُ ، وَطُرُوءُ ٱلْعَدَمِ .

اعلمْ : أنَّهُ رتَّبَ هـٰذهِ العشرينَ المستحيلةَ علىٰ حسَبِ ترتيبِ العشرينَ الواجبةِ ، فيذكرُ ما ينافي الصفةَ الأولىٰ ثم ما ينافي الثانيةَ ، وهـٰكذا علىٰ هـٰذا الترتيبِ إلىٰ آخرِها .

فالعدمُ نقيضُ الصفةِ الأولىٰ[1] ؛ وهي الوجودُ ، **والحدوثُ** نقيضُ الصفةِ الثانيةِ ؛ وهي القدمُ ، **وطروءُ العدمِ** ـ ويُسمَّى : الفناءَ ـ نقيضُ الصفةِ الثالثةِ ؛ وهي البقاءُ .

واستحالةُ العدمِ عليهِ تعالىٰ تستلزمُ استحالةَ الصفتينِ الأخيرتينِ عليهِ جلَّ وعزَّ ؛ وهما الحدوثُ وطروءُ العدمِ ؛ لأنَّ العدمَ إذا كانَ مستحيلاً في حقِّهِ تعالىٰ لم يُتصوَّرْ لا سابقاً ولا لاحقاً ، وبهـٰذا تعرفُ أنَّ وجوبَ الوجودِ لهُ جلَّ وعزَّ يستلزمُ وجوبَ القدمِ والبقاءِ لهُ تباركَ

(١) فيه تسامح ؛ إذ نقيضها اللاوجود ، وقال بعض أشياخي ممَّن تكلم علىٰ هـٰذا المحل : **التحقيق** : أنه مساوٍ للنقيض ، قلتُ : بل التحقيق أنه أخصُّ من النقيض علىٰ ما ذهب إليه المصنف من ثبوت الأحوال . « سكتاني » (ق٥٩) .

وتعالىٰ ، فعطفُ القدمِ والبقاءِ هنالكَ على الوجودِ مِنْ عطفِ الخاصِّ على العامِّ ، أوِ اللازمِ على الملزومِ[1] ؛ كعطفِ الحدوثِ وطروءِ العدمِ على العدمِ هنا .

وإنَّما لم يكتفِ بالأولِ في الموضعينِ ؛ لأنَّ المقصودَ ذكرُ الصفاتِ الواجبةِ والمستحيلةِ على التفصيلِ[2] ؛ لأنَّهُ لوِ استغنىٰ فيها بالعامِّ عنِ الخاصِّ أو باللازمِ عنِ الملزومِ . . **لكانَ ذلكَ ذريعةً إلىٰ جهلٍ كثيرٍ منها** ؛ لخفاءِ اللوازمِ وعسْرِ إدخالِ الجزئيَّاتِ تحتَ كليَّاتِها ، **وخطرُ الجهلِ في هـٰذا العلمِ عظيمٌ** ، فينبغي الاعتناءُ فيهِ بمزيدِ الإيضاحِ علىٰ قدْرِ الإمكانِ ، والاحتياطُ البليغُ لتحليةِ القلوبِ بيواقيتِ الإيمانِ[3] ، وباللهِ سبحانَهُ وتعالى التوفيقُ ، وهو الهادي مَنْ شاءَ بمحْضِ فضلِهِ إلىٰ سواءِ الطريقِ .

* * *

(١) وليس من عطف المباين على المباين .

(٢) انظر هـٰذا مع قول بعضهم : إن الاقتصار علىٰ هـٰذه الخمسة السلبية ؛ لأنها أمهات الصفات السلبية ، وإلا فقد عدَّ بعضهم صفات سلبية كثيرة ؛ للمبالغة في التنزيه ؛ كقوله : ليس بجوهر ولا عرض وهـٰكذا . « ياسين » (ق٢٠٦) ، وممَّن سلك هـٰذا المسلك الإمام الغزالي في كتابه « الاقتصاد في الاعتقاد » .

(٣) قوله : (**والاحتياط**) بالرفع عطف على (الاعتناء) ، وبالجر عطف علىٰ (مزيد) أو على (الإيضاح) . « دسوقي » (ص١٤٩) .

[استحالةُ المماثلةِ للحوادثِ]

وَٱلْمُمَاثَلَةُ لِلْحَوَادِثِ ؛ بِأَنْ يَكُونَ جِرْماً ؛ أَيْ : تَأْخُذُ ذَاتُهُ ٱلْعَلِيَّةُ قَدْراً مِنَ ٱلْفَرَاغِ ، أَوْ يَكُونَ عَرَضاً يَقُومُ بِٱلْجِرْمِ ، أَوْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ لِلْجِرْمِ ، أَوْ لَهُ هُوَ جِهَةٌ ، أَوْ يَتَقَيَّدَ بِمَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ ، أَوْ تَتَّصِفَ ذَاتُهُ ٱلْعَلِيَّةُ بِٱلْحَوَادِثِ ، أَوْ يَتَّصِفَ بِٱلصِّغَرِ أَوِ ٱلْكِبَرِ ، أَوْ يَتَّصِفَ بِٱلأَغْرَاضِ فِي ٱلأَفْعَالِ وَٱلأَحْكَامِ .

حقيقةُ المثلينِ : هما الأمرانِ المتساويانِ في جميعِ صفاتِ النفسِ ؛ وهي التي لا تتقرَّرُ حقيقةُ الذاتِ بدونِها ، فالمتساويانِ في بعضِ صفاتِ النفسِ أو في العرضيَّاتِ ؛ وهي الصفاتُ الخارجةُ عن حقيقةِ الذاتِ . . ليسا بمثلينِ .

فزيدٌ مثلاً إنَّما يماثِلُهُ مَنْ ساواهُ في جميعِ صفاتِهِ النفسيَّةِ ؛ وهي كونُهُ حيواناً ذا نفسٍ ناطقةٍ ؛ أي : مفكِّرةٍ بالقوَّةِ ، أمَّا ما ساواهُ في بعضِها ؛ كالفرسِ الذي ساواهُ في مجرَّدِ الحيوانيَّةِ فقطْ . . فليسَ مِثْلاً لهُ ، وكذا ما ساواهُ في الصفاتِ العرضيَّاتِ ؛ كالبياضِ الذي ساواهُ في الحدوثِ وصحَّةِ الرؤيةِ ونحوِ ذلكَ . . فليسَ أيضاً مِثْلاً لهُ .

فإذا عرفتَ حقيقةَ المثلينِ فاعلمْ : أنَّ العالمَ كلَّهُ منحصرٌ في الأجرامِ والأعراضِ[1] ؛ وهي المعاني التي تقومُ بالأجرامِ .

ولا شكَّ أنَّ مِنْ صفاتِ نفسِ الجرمِ التحيُّزَ[2] ؛ أي : أخذَهُ قدرَ ذاتِهِ مِنَ الفراغِ ؛ بحيثُ يجوزُ أنْ يسكنَ في ذلكَ القدرِ أو يتحرَّكَ عنهُ ، ومِنْ صفاتِ نفسِهِ **قبولَهُ للأعراضِ** ؛ أي : للصفاتِ الحادثةِ ؛ مِنْ حركةٍ وسكونٍ ، واجتماعٍ وافتراقٍ ، وألوانٍ وأغراضٍ ونحوِ ذلكَ[3] ، ومِنْ صفاتِ نفسِهِ **التخصيصَ ببعضِ الجهاتِ وببعضِ الأمكنةِ** ، وهـٰذهِ الصفاتُ كلُّها مستحيلةٌ علىٰ مولانا جلَّ وعزَّ ، فيلزمُ ألا يكونَ تعالىٰ جرماً .

وأمَّا العَرَضُ : فمِنْ صفةِ نفسِهِ **قيامُهُ بالجرمِ** ، ومِنْ صفةِ نفسِهِ **وجوبُ العدمِ لهُ في الزمانِ الثاني لوجودِهِ**[4] ؛ بحيثُ لا يبقىٰ

---

(١) على الصحيح المعوَّل عليه ، وذهب بعض المتكلمين وعموم الحكماء إلىٰ إثبات الجوهر المجرَّد ، قال العلامة سليمان بن عمر الجمل في « حاشيته » (ق٣٣) : (إنما تعرض لهـٰذا ؛ ليتوصل إلىٰ بيان الصفات النفسية لكل من الجرم والعرض ، ثم يقول : وهـٰذه الصفات مستحيلة على الله ، فيستحيل كونه جرماً أو عرضاً ؛ لأن نفي اللازم يستلزم نفي الملزوم ، فيتوصل إلىٰ نفي المماثلة ، وهو المقصود) .

(٢) سبق التنبيه للخلاف في ذلك (ص ١٥٤ ، ١٥٧) .

(٣) كالصغر والكبر ، والروائح والطعوم ، وفي النسخ المعتمدة : (أعراض) بدل (أغراض) والمثبت من بعض نسخ الاستئناس ، وذكر المصنف لـ (الأغراض) في المتن يؤكد إيراده هنا كذلك .

(٤) أي : في الزمن الثاني بالنسبة لوجوده . « دسوقي » (ص١٥٣) .

أصلاً[1] ، وهـٰذا كلُّهُ مستحيلٌ علىٰ مولانا جلَّ وعزَّ ، فليسَ إذاً بعرضٍ ؛ لأنَّهُ تعالىٰ يجبُ قيامُهُ بنفسِهِ علىٰ ما عرفتَ تفسيرَهُ فيما سبقَ ، ويجبُ لهُ جلَّ وعزَّ القدمُ والبقاءُ ، فلا يقبلُ العدمَ أصلاً .

وبالجملةِ : فكلُّ ما سوىٰ مولانا جلَّ وعزَّ يلزمُهُ الحدوثُ والافتقارُ إلى المخصِّصِ ، ومولانا جلَّ وعزَّ يجبُ لهُ الوجودُ والغنى المطلقُ ، فيلزمُ إذاً أنْ يكونَ تباركَ وتعالىٰ مبايناً لكلِّ ما سواهُ ، أيّاً كانَ ذلكَ الغيرُ ، جرماً كانَ أو عرضاً أو غيرَهما إنْ قُدِّرَ أنَّ في العالمِ ما ليسَ بجرمٍ ولا عرضٍ[2] ؛ إذْ علىٰ تقديرِ وجودِ هـٰذا القسمِ في العالمِ فهو حادثٌ ؛ بدليلِ الإجماعِ[3] ، كما أنَّ القسمينِ الأوَّلينِ حادثانِ بدليلِ

---

(١) أي : بجميع أقسامه ، **وقيل** : يبقىٰ بجميع أقسامه ، **وقيل** : تبقى الألوان والطعوم والروائح ، **وقيل** : بالوقف ، حجة الأول : أنها لو بقيت لبقيت ببقاء ؛ إذ لا بقاء إلا به ، فيلزم قيام العرض بالعرض ، وتفصيل المقال لا يليق بالمقام . « ياسين » (ق٢١٠) .

وفي (ب) زيادة : (وعبارة : « لا يبقىٰ أصلاً » أحسن من عبارة : « لا يبقىٰ زمانين » ؛ لأن هـٰذه تستلزم ثلاثة أزمنة ، وهـٰذا كله مستحيل) .

(٢) **أراد** : المجرَّدات على القول بها ، وسياقه الآتي لبيان حدوثها بعد تسليم وجودها ، وانظر « شرح العقيدة الكبرىٰ » (ص ٢١٥) ، وقد توقف في وجودها وقال : (وهو الظاهر عندي) .

(٣) وعبارة المصنف في « شرح العقيدة الكبرىٰ » (ص٢١٦) : (مختارنا فيه : اللجأ إلى السمع ؛ « كانَ اللهُ ولا شيءَ معَهُ » ، وأجمع المسلمون علىٰ حدوث ما سوى الله تعالىٰ ، وحدوث هـٰذا الزائد لا يتوقف عليه السمع حتىٰ يمتنع الاستدلال به عليه) ، والحديث المذكور رواه البخاري (٣١٩١) من حديث سيدنا عمران بن الحصين رضي الله عنهما ، وقوله : (وحدوث هـٰذا =

العقلِ ، وبهما يُتوصَّلُ إلىٰ معرفةِ اللهِ تعالىٰ ومعرفةِ رُسُلِهِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، حتىٰ صحَّ لنا أنْ نستدلَّ بالنقلِ عنهم علىٰ حدوثِ ذلكَ القسمِ المقدَّرِ ؛ إذْ لا يصلحُ للألوهيَّةِ قطعاً بدليلِ برهانِ الوحدانيَّةِ والإجماعِ علىٰ حدوثِ كلِّ ما سوى اللهِ تباركَ وتعالىٰ .

فقدِ استبانَ لكَ : أنَّهُ لا مثلَ لهُ جلَّ وعزَّ أصلاً ؛ لأنَّ التباينَ في اللوازمِ دليلٌ على التباينِ في الملزوماتِ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

= الزائد. . .) دفع به ما يتوهم من إيراد الدور في المقام .

[استحالةُ القيامِ بالغيرِ]

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ أَلا يَكُونَ قَائِماً بِنَفْسِهِ ؛ بِأَنْ يَكُونَ صِفَةً يَقُومُ بِمَحَلٍّ ، أَوْ يَحْتَاجَ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ .

قد عرفتَ فيما سبقَ معنىٰ قيامِهِ تعالىٰ بنفسِهِ ، وأنَّهُ عبارةٌ عنِ استغنائِهِ تعالىٰ عنِ المحلِّ والمخصِّصِ ؛ أي : ليسَ تعالىٰ معنىً مِنَ المعاني ؛ أيِ : الأشياءِ التي ليسَتْ بذواتٍ ، فيحتاجَ إلىٰ محلٍّ ؛ أي : ذاتٍ يقومُ بها ، وليسَ أيضاً جلَّ وعزَّ بجائزِ العدمِ فيحتاجَ إلى المخصِّصِ ؛ أيِ : الفاعلِ الذي يخصِّصُ كلَّ جائزٍ ببعضِ ما جازَ عليهِ ، بل هو جلَّ وعزَّ واجبُ القدمِ والبقاءِ ، لا تقبلُ ذاتُهُ العليَّةُ ولا صفاتُهُ المرفَّعةُ العدمَ أصلاً ، فهو المنفردُ بالغنى المطلقِ وحدَهُ تباركَ وتعالىٰ .

* * *

[استحالةُ ألا يكونَ واحداً]

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ أَلا يَكُونَ وَاحِداً ؛ بِأَنْ يَكُونَ مُرَكَّباً فِي ذَاتِهِ ، أَوْ يَكُونَ لَهُ مُمَاثِلٌ فِي ذَاتِهِ أَوْ صِفَاتِهِ ، أَوْ يَكُونَ مَعَهُ فِي ٱلْوُجُودِ مُؤَثِّرٌ فِي فِعْلٍ مِنَ ٱلأَفْعَالِ .

قد عرفْتَ أنَّ أوجهَ الوحدانيَّةِ ثلاثةٌ : وحدانيَّةُ الذاتِ ، ووحدانيَّةُ الصفاتِ ، ووحدانيَّةُ الأفعالِ ، وكلُّها واجبةٌ لمولانا جلَّ وعزَّ وحدَهُ .

فوحدانيَّةُ الذاتِ : تنفي التركيبَ في ذاتِهِ تعالىٰ ، ووجودَ ذاتٍ أخرىٰ تماثلُ الذاتَ العليَّةَ ، **وبالجملةِ** : فوحدانيَّةُ الذاتِ تنفي التعدُّدَ في حقيقتِها ، متصلاً كانَ أو منفصلاً .

ووحدانيَّةُ الصفاتِ : تنفي التعدُّدَ في حقيقةِ كلِّ واحدةٍ منها ، متصلاً كانَ أيضاً أو منفصلاً ؛ فعلْمُ مولانا جلَّ وعزَّ ليسَ لهُ ثانٍ يماثلُهُ ، لا متصلاً ؛ أي : قائماً بالذاتِ العليَّةِ ، ولا منفصلاً ؛ أي : قائماً بذاتٍ أخرىٰ ، بل هو تعالىٰ يعلمُ المعلوماتِ التي لا نهايةَ لها بعلْمٍ واحدٍ لا عددَ لهُ ولا ثانيَ لهُ أصلاً ، وقِسْ علىٰ هٰذا سائرَ صفاتِ مولانا جلَّ وعزَّ .

ووحدانيَّةُ الأفعالِ : تنفي أنْ يكونَ ثَمَّ اختراعٌ لكلِّ ما سواهُ جلَّ وعزَّ

في فعلٍ مِنَ الأفعالِ[1] ، بل جميعُ الكائناتِ الحادثةِ قد عمَّها العجزُ الضروريُّ الدائمُ عن إيجادِ أثرٍ ما ، ومولانا جلَّ وعزَّ هو المنفردُ باختراعِها وحدَهُ بلا واسطةٍ ، وما يُنسَبُ منها إلىٰ غيرِهِ جلَّ وعزَّ علىٰ وجهٍ يظهرُ منهُ التأثيرُ[2] . . فهو مؤوَّلٌ[3] ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

---

(١) قال العارف بالله النابلسي في « الأنوار الإلـٰهية » (ص٩٣) : مبيناً للأفعال : (الملكية أو الجنية أو الإنسانية ، الباطنية كحركات النفس ، أو الظاهرية كحركات البدن ، أو الحيوانية كذلك ، أو النباتية ، أو الجمادية) .

(٢) قوله : (وما ينسب منها) أي : من الآثار لغيره تعالىٰ ؛ كنسبة التأثير للسبب في قولهم : السبب يؤثر بطرفيه ، وكما في قوله تعالىٰ : ﴿ فَتُثِيرُ سَحَابًا ﴾ [الروم : ٤٨] ، فقد أسند إثارة السحاب للرياح ، وقوله تعالىٰ : ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة : ١٢٤] ، فأسند زيادة الإيمان للآيات . « دسوقي » (ص١٥٧) ، وانظر « شرح المقدمات » (ص٢١٣) .

(٣) أي : بأنه من قبيل المجاز العقلي ؛ حيث أسند الفعل إلىٰ سببه ، وهـٰذا لا ينافي أن المؤثر حقيقة هو الله تعالىٰ . « دسوقي » (ص١٥٧) .

[استحالةُ العجزِ عن ممكنٍ ما]

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ تَعَالَى ٱلْعَجْزُ عَنْ مُمْكِنٍ مَا .

قد عرفْتَ أنَّ قدرةَ اللهِ تعالىٰ واحدةٌ ، عامَّةُ التعلُّقِ بجميعِ الممكناتِ ؛ إذْ لوِ اختصَّتْ ببعضِها دونَ بعضٍ لافتقرَتْ إلىٰ مخصِّصٍ ، فتكونُ حادثةً ، وهو محالٌ ، فلوِ اتَّصفَ تعالىٰ بالعجزِ عن ممكنٍ ما لانتفى العمومُ الواجبُ للقدرةِ ، بل ويلزمُ عليهِ نفْيُ القدرةِ أصلاً ؛ لاستحالةِ اجتماعِ الضدَّينِ .

* * *

[استحالةُ عدمِ الإرادةِ]

وَإِيجَادُ شَيْءٍ مِنَ ٱلْعَالَمِ مَعَ كَرَاهَتِهِ لِوُجُودِهِ ؛ أَيْ : عَدَمِ إِرَادَتِهِ لَهُ تَعَالَىٰ[1] ، أَوْ مَعَ ٱلذُّهُولِ ، أَوِ ٱلْغَفْلَةِ ، أَوْ بِٱلتَّعْلِيلِ ، أَوْ بِٱلطَّبْعِ .

قد علمْتَ أنَّ حقيقةَ الإرادةِ هي القصدُ إلىٰ تخصيصِ الجائزِ ببعضِ ما يجوزُ عليه[2] ، وقد تقرَّرَ أنَّ إرادتَهُ تعالىٰ عامَّةُ التعلُّقِ بجميعِ الممكناتِ ، فيلزمُ أنْ يستحيلَ وقوعُ شيءٍ منها بغيرِ إرادةٍ منهُ تعالىٰ لوقوعِ ذلكَ الشيءِ ، وذلكَ ينفي إرادتَهُ تعالىٰ لضدِّ ذلكَ الواقعِ ، وإلا لاجتمعَ الضدَّانِ ، وينفي أيضاً اتصافَهُ تعالىٰ **بالذهولِ والغفلةِ**[3] ؛ لأنَّهُما منافيانِ للقصدِ الذي هو معنى الإرادةِ ، وينفي أيضاً أنْ تكونَ الذاتُ العليَّةُ **علَّةً** لوجودِ شيءٍ مِنَ الممكناتِ ، أو مؤثِّرةً فيهِ **بالطبعِ** ؛

---

(١) إنما فسَّرَ الكراهة بما ذكر مع أن التفسير من وظائف الشراح لا المتون ؛ لأجل أن يحترز من الكراهة الشرعية التي هي من أقسام الحكم الشرعي . « دسوقي » (ص١٥٨) .

(٢) انظر (ص ١٥٨) .

(٣) قال بعضهم : **الذهول** : عدم العلم بالشيء مع تقدمه ، **والغفلة** : أعمُّ من تقدم العلم وعدم تقدمه . انتهىٰ ، ومضمون كلام التاج السبكي والجلال المحلي أن الذهول والغفلة مترادفان . « ياسين » (ق٢١٣) .

لأنَّهُ يلزمُ عليهِ قدمُ ذلكَ الممكنِ ؛ لوجوبِ اقترانِ العلَّةِ بمعلولِها ، والطبيعةِ بمطبوعِها ، وذلكَ ينافي إرادةَ ذلكَ الممكنِ القديمِ ؛ لأنَّ القصدَ إلىٰ إيجادِ الموجودِ محالٌ ؛ إذْ هو مِنْ بابِ تحصيلِ الحاصلِ .

ولهٰذا لمَّا اعتقدَتِ الملحدةُ مِنَ الفلاسفةِ أهلكَهمُ اللهُ تعالىٰ : أنَّ استنادَ العالمِ إليهِ تعالىٰ إنَّما هو علىٰ طريقِ استنادِ المعلولِ إلى العلَّةِ . . قالوا بقدمِ العالمِ ، ونفَوا لعنَهمُ اللهُ تعالىٰ جميعَ الصفاتِ الواجبةِ لمولانا جلَّ وعزَّ ؛ مِنَ القدرةِ والإرادةِ وغيرِهما ، وذلكَ كفرٌ صُراحٌ[1] .

[الفرقُ بينَ الإيجادِ بالعلَّةِ والإيجادِ بالطبعِ]

والفرقُ بينَ الإيجادِ علىٰ طريقِ العلَّةِ والإيجادِ علىٰ طريقِ الطبعِ ـ وإنْ كانا مشتركينِ في عدمِ الاختيارِ ـ : أنَّ الإيجادَ بطريقِ العلَّةِ لا يتوقَّفُ علىٰ وجودِ شرطٍ ولا انتفاءِ مانعٍ ، والإيجادَ بطريقِ الطبعِ يتوقَّفُ علىٰ ذلكَ ، ولهٰذا يلزمُ اقترانُ العلَّةِ بمعلولِها ؛ كتحرُّكِ الإصبعِ معَ الخاتمِ التي هي فيهِ مثلاً[2] ، ولا يلزمُ اقترانُ الطبيعةِ

(١) **إن قلت** : المعتزلة ينفون المعاني ، والراجح عدم كفرهم ، فما الفرق بينهما ؟
قلت : المعتزلة إنما ينفون زيادة المعاني على الذات ، مع اعترافهم بثبوت أحكامها ؛ وهي المعنوية ، بخلاف الفلاسفة ؛ فإنهم ينفون المعاني وأحكامها ، فيلزمهم ثبوت أضدادها ، فالمعتزلة يقولون : إنه عالم بذاته ، والفلاسفة يقولون : إنه لا علم له أصلاً ، لا بالذات ولا زائداً عليها . « دسوقي » (ص١٦٢) .

(٢) قوله : (**التي هي فيه**) التي : نعت للخاتم ، وضمير (هي) للإصبع ؛ لأنها=

بمطبوعِها ؛ كإحراقِ النارِ معَ الحطبِ ؛ لأنَّهُ قد لا يحترقُ بالنارِ لوجودِ مانعٍ ؛ وهو البللُ فيهِ مثلاً ، أو تخلُّفِ شرطٍ ؛ كعدمِ مماسَّةِ النارِ لهُ ، وهٰذا في حقِّ الحادثِ(١) .

أمَّا البارئُ جلَّ وعزَّ فلو كانَ فعلُهُ بالتعليلِ أو بالطبعِ لزمَ قدمُ الفعلِ فيهما معاً ، واقترانُ الفعلِ حينَئذٍ بوجودِهِ تعالىٰ ؛ أمَّا على التعليلِ فظاهرٌ ، وأمَّا علىٰ طريقِ الطبعِ فلا يصحُّ أنْ يكونَ ثَمَّ مانعٌ ؛ وإلا لزمَ ألا يوجدَ الفعلُ أبداً ؛ لأنَّ ذلكَ المانعَ لا يكونُ إلا قديماً ، والقديمُ لا ينعدمُ أبداً ، ولا يصحُّ تأخُّرُ الشرطِ ؛ لما يلزمُ عليهِ مِنَ التسلسلِ ، فلهٰذا قلنا فيما سبقَ : إنَّهُ يلزمُ علىٰ طريقِ التعليلِ أوِ الطبعِ في حقِّهِ تعالىٰ قدمُ المعلولِ أوِ المطبوعِ(٢) .

وقد قامَ البرهانُ علىٰ وجوبِ الحدوثِ لكلِّ ما سواهُ تعالىٰ ، فتعيَّنَ أنَّهُ سبحانَهُ فاعلٌ بمحضِ الاختيارِ ، وبطلَ مذهبُ الفلاسفةِ والطبائعيينَ أذلَّ اللهُ تعالىٰ جميعَهم ، وأخلىٰ منهمُ الأرضَ(٣) .

والحاصلُ : أنَّ أقسامَ الفاعلِ بحسَبِ التقديرِ العقليِّ ثلاثةٌ :

= مؤنثة . « ياسين » (ق٢٧٩) .

(١) إن قدرنا جواز كونه علة أو طبيعة ، وإلا فالفاعل الحقيقي هو الله تعالىٰ . « دسوقي » (ص١٦٢) .

(٢) انظر للتوسع في بطلان العلة والطبع « شرح العقيدة الكبرىٰ » (ص ٢٦٨) .

(٣) ودخل في الطبائعيين : القائلون بالقوة المودعة إن اعتبرنا صاحب القوة ، وإن اعتبرنا معطي القوة فهو من الفاعل المختار لا الطبيعة . مفادُ « دسوقي » (ص١٦٣) .

فاعلٌ بالاختيارِ : وهو الفاعلُ الذي يتأتَّىٰ منهُ الفعلُ والتركُ .

وفاعلٌ بالتعليلِ : وهو الفاعلُ الذي يتأتَّىٰ منهُ الفعلُ دونَ التركِ ، ولا يتوقَّفُ فعلُهُ علىٰ وجودِ شرطٍ ولا انتفاءِ مانعٍ .

وفاعلٌ بالطبعِ : وهو الفاعلُ الذي يتأتَّىٰ منهُ الفعلُ دونَ التركِ ، ويتوقَّفُ فعلُهُ علىٰ وجودِ الشرطِ وانتفاءِ المانعِ .

وهـٰذهِ الأقسامُ الثلاثةُ كلُّها موجودةٌ عندَ الفلاسفةِ والطبائعيينَ أهلكَ اللهُ تعالىٰ جميعَهم[١] ، ولم يوجدْ منها عندَ المؤمنينَ إلا واحدٌ[٢] ، وهو الموجِدُ بالاختيارِ ، ثم هو خاصٌّ بواحدٍ ؛ وهو مولانا جلَّ وعزَّ ، لا موجدَ سواهُ تباركَ وتعالىٰ ، ومهما جرىٰ لفظُ التعليلِ في عبارةِ أهلِ السنَّةِ فليسَ مرادُهم بهِ إلا ثبوتَ التلازمِ بينَ أمرٍ وأمرٍ ؛ إمَّا عقلاً أو شرعاً[٣] ، مِنْ غيرِ تأثيرِ العلَّةِ في معلولِها ألبتةَ ، فاعرفْ ذلكَ

(١) وهـٰذه الأقسام الثلاثة بالنسبة للخلق ، لا بالنسبة للحق ؛ فالفاعل من الخلق : إما فاعل بالاختيار كالكاتب ، وإما فاعل بالعلة كحركة [الخاتم عند حركة] اليد ، وإما فاعل بالطبع كالنار ، وأما الحق فهو فاعل بالتعليل فقط عندهم قبحهم الله . « دسوقي » (ص١٦٤) .

(٢) أي : سنيهم ومعتزلهم وغيرهما . « سكتاني » (ق٧١) .

(٣) فعند حركة الخاتم عند تحريك الإصبع توجد حركتان ؛ واحدة للخاتم والثانية للإصبع ، وكلاهما بخلق الله تعالىٰ ، وعدم الانفكاك بينهما مع سلامتهما لوجود التلازم العقلي ، لا لكون حركة الإصبع علة في تحريك الخاتم ، وقد بيَّن هـٰذا حجة الإسلام في « الاقتصاد في الاعتقاد » (ص٢٢٣) وقال : (ووجود المشروط دون الشرط غير معقول) .

ويقال مثل هـٰذا في تعليل أفعاله سبحانه علىٰ ألسنتهم ؛ كقولهم : الإيمان =

ولا تغترَّ بظواهرِ العباراتِ فتهلِكَ معَ الهالكينَ[1] .

وإنَّما فسَّرنا الكراهةَ بعدمِ الإرادةِ ؛ لنحترزَ بذلكَ مِنَ الكراهةِ التي هي مِنْ أقسامِ الحكمِ الشرعيِّ ؛ وهي طلبُ الكفِّ عنِ الفعلِ طلباً غيرَ جازمٍ ، فتلكَ يصحُّ أنْ تجتمعَ معَ الإيجادِ ، فيوجدَ اللهُ تعالى الفعلَ معَ كراهتِهِ لهُ ؛ أي : نهيِهِ عنهُ ؛ كما أضلَّ اللهُ تعالىٰ كثيراً مِنَ الخلقِ معَ نهيِهِ لهم عن ذلكَ الضلالِ .

أمَّا الكراهةُ بمعنىٰ عدمِ إرادةِ اللهِ تعالىٰ للفعلِ فيستحيلُ اجتماعُها معَ الإيجادِ ؛ إذْ يستحيلُ أنْ يقعَ في ملكِ مولانا جلَّ وعزَّ ما لا يريدُ وقوعَهُ ، فتنبَّهْ لهـٰذهِ النكتةِ العجيبةِ في هـٰذا التقييدِ الذي قيَّدنا بهِ الكراهةَ في أصلِ العقيدةِ[2] ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

= علة لدخول الجنة ، وفي تعليل أحكامه ؛ كقولهم : الإسكار علة لتحريم الخمر ، وإنما هي أسباب أو شروط أو أمارات شرعية ، لو شاء الله جعل غيرها علامةً لفعل أو حكم ، وهو أحكم الحاكمين .

(١) كقولهم : العلة في تعلق القدرة بالممكنات الإمكانُ ، ليس معناه أن الإمكان أثَّرَ في تعلق القدرة بالممكنات ، بل المراد : أنهما متلازمان عقلاً ؛ متىٰ وجد الإمكان في شيء . . تعلقت به القدرة ، وإن انتفى الإمكان عن شيء . . انتفىٰ تعلق القدرة به ، وكذا قولهم : العلة في وجوب النية في الوضوء كونُهُ عبادة ، ليس المراد أن الكون عبادةً أثَّرَ في وجوب النية ، بل المراد : أنهما متلازمان شرعاً . « دسوقي » (ص١٦٤) ، وهو لزيادة التمثيل والتوضيح لما سبق .

(٢) أي : النكتة العجيبة الحاصلة بهـٰذا التقييد ، وكان الأولىٰ أن يعبر بالتفسير بدل التقييد ، وقوله : (**في أصل العقيدة**) الإضافة بيانية . « دسوقي » (ص١٦٥) .

[استحالةُ الجهلِ والموتِ والصَّمَمِ والعَمَىٰ والبَكَمِ]

وَكَذَا يَسْتَحِيلُ أَيْضاً عَلَيْهِ تَعَالَى ٱلْجَهْلُ وَمَا فِي مَعْنَاهُ بِمَعْلُومٍ مَا ، وَٱلْمَوْتُ ، وَٱلصَّمَمُ ، وَٱلْعَمَىٰ ، وَٱلْبَكَمُ .

مرادُهُ بما في معنى الجهلِ : الظنُّ والشكُّ والوَهْمُ والنسيانُ والنومُ وكونُ العلمِ نظريّاً ونحوُ ذلكَ[1] ، **وبالجملةِ** : فالمرادُ بهِ كلُّ ما يشاركُ الجهلَ في مضادَّتِهِ للعلمِ ، وإنَّما كانَتْ هـٰذهِ الأشياءُ في معنى الجهلِ ؛ لمنافاتِها للعلمِ حسَبَ منافاةِ الجهلِ لهُ .

والمرادُ بالصَّمَمِ والعَمَىٰ في هـٰذا الموضعِ[2] : عدمُ السمعِ والبصرِ أصلاً ؛ بوجودِ ما ينافيهما ، أو غَيبةِ موجودٍ ما مِنَ الموجوداتِ عن

---

(١) أي : من السهو والغفلة وكون العلم ضرورياً ؛ بمعنىٰ : ما يقارنه ضرر أو حاجة ؛ كعلمنا بألمنا وجزعنا ؛ لأن هـٰذا المعنىٰ يستحيل عليه تعالىٰ ، وأما الضروري ؛ بمعنىٰ : ما يحصل بغير نظر . فاتصاف علمه تعالىٰ به صحيح ، لـٰكنه لا يجوز شرعاً ؛ لما يوهمه اللفظ من الضرر والإلجاء ؛ فإطلاق الأول ممتنع لفظاً ومعنىً ، والثاني لفظاً لا معنىً . « ياسين » (ق٢١٨) ، وانظر « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ٣٠٤) .

(٢) أي : موضع الاستحالة على الله تعالىٰ ، بخلاف ذلك في حق الخلق ؛ فإن معنىٰ عدمهما : وجود المنافي لتعلقهما بالسمع والبصر ، لا بكل الموجودات . « ياسين » (ق٢١٨) .

صفتي السمعِ والبصرِ ؛ لما سبقَ مِنْ وجوبِ تعلُّقِهما بكلِّ موجودٍ .

والمرادُ بالبَكَمِ : عدمُ الكلامِ أصلاً[(١)] ؛ بوجودِ آفةٍ تمنعُ مِنْ وجودِهِ ، وفي معناهُ السكوتُ[(٢)] ، وفي معناهُ كونُهُ بالحرفِ والصوتِ ؛ إذِ الكلامُ الذي يكونُ بالحروفِ والأصواتِ ولو بلغَ غايةَ البلاغةِ والفصاحةِ ، وكانَ كمالاً بالنسبةِ إلى الحوادثِ الناقصةِ . . فهو بالنسبةِ إلىٰ مقامِ الألوهيَّةِ الأعلىٰ نقيصةٌ عظيمةٌ ؛ **إذْ فيهِ رذيلتانِ** :

إحداهُما : رذيلةُ العدمِ الذي يجبُ للحروفِ والأصواتِ سابقاً ولاحقاً ، ويستلزمُ حدوثَ مَنِ اتَّصفَ بهِ ، وأيُّ نقيصةٍ أعظمُ مِنْ نقيصةِ الحدوثِ الملازمةِ ربقةَ الافتقارِ على الدوامِ ؟!

الثانيةُ : رذيلةُ البَكَمِ الذي هو لازمٌ للحروفِ والأصواتِ ؛ لأنَّهُ لمَّا استحالَ اجتماعُ حرفينِ في آنٍ واحدٍ ، فضلاً عنِ الكلمتينِ ، فضلاً عنِ الكلامينِ . . تبكَّمَ المتكلِّمُ بالحرفِ والصوتِ واحتبسَ عن أنْ يدلَّ علىٰ معلوماتٍ لهُ في آنٍ واحدٍ بصفةِ الكلامِ المركَّبِ مِنَ الحروفِ والأصواتِ[(٣)] ، فلو كانَ كلامُ مولانا جلَّ وعزَّ بالحرفِ والصوتِ لزمَ

---

(١) **أشار بهٰذا** : إلىٰ نفي البكم النفساني ، **وهو في الشاهد** : العجزُ عن إجراء الكلام على القلب ، إذ البكم اللساني منفي بالمخالفة للحوادث ؛ وهو قيام آفة باللسان تمنع من إظهار الكلام النفسي .

(٢) أي : ترك الكلام مع القدرة عليه ، **وفي معناه** : كونه بجارحة من فم ولسان . انتهىٰ مقري . « جمل » (ق٣٦) ، والضمير في (**معناه**) راجع على البكم النفساني .

(٣) أي : فالإنسان وإن تكلم بكلام كثير فصيح فهو أبكم ؛ من حيث إنه لا يقدر=

زيادةُ رذيلةٍ علىٰ زيادةِ الحدوثِ ؛ وهي اتصافُهُ تعالىٰ عن ذلكَ بالحُبْسةِ التي هي أصلُ البَكَمِ عنِ الدلالةِ علىٰ معلوماتِهِ التي لا نهايةَ لها بصفةِ الكلامِ[1] ، بل يلزمُ الحُبْسةُ عنِ الدلالةِ بهِ في آنٍ واحدٍ علىٰ معلومينِ لهُ فأكثرَ .

فقد ظهرَ لكَ بهٰذا[2] : أنَّ الكلامَ الذي يكونُ بالحروفِ والأصواتِ وما في معناهُ مِنْ كلامِنا النفسيِّ . .[3] ملازمٌ لمعنى البكمِ ، فيستحيلُ اتصافُ مولانا جلَّ وعزَّ بمثلِهما ، وأنَّ الواصفَ لمولانا جلَّ وعزَّ بذلكَ[4] ، مستنداً إلىٰ أنَّ مثلَ ذلكَ في حقِّنا كمالٌ ينفي عنَّا رذيلةَ البكمِ . . قد وصفَهُ تعالىٰ بنقيصةٍ عظيمةٍ تعالىٰ عنها علوّاً كبيراً .

ونظيرُهُ في ذلكَ : نظيرُ مَنْ عرفَ أنَّ نهيقَ الحميرِ وأصواتَها كمالٌ

= على الدلالة بكلامه علىٰ معلومين فأكثر في آن واحد . انتهىٰ شيخنا . « جمل » (ق٣٧) .

(١) **الحبسة** : تعذُّر الكلام مع إرادته . « ياسين » (ق٢١٨) ، ولإيضاح عود الضمائر يمكن القول : (وهي اتصافه بالحبسة عن الدلالة علىٰ معلوماته بصفة الكلام) فكلُّ جارٍّ متعلق بما قبله .

(٢) أي : بالرذيلة الثانية . « جمل » (ق٣٧) .

(٣) قوله : (**وما في معناه**) أي : من حيث إنه يلزمه ما يلزم اللفظي ؛ من التبعيض والتقديم والتأخير ، وهٰذا صريح في أن البكم يقابل اللفظي والنفسي . « جمل » (ق٣٧) ، والضمير في قوله : (**معناه**) راجع للكلام الذي يكون بالحروف والأصوات .

(٤) **يعني** : كالكرامية والحشوية ومشبهة الحنابلة ، ومن غلب عليه قياس الغائب على الشاهد ، فأثبت حروفاً وأصواتاً قديمة مع استحالة ذلك .

في حقِّها[1] ، وكذا نُباحُ الكلابِ كمالٌ في حقِّها ، فسُئِلَ عن صفةِ كلامِ ملكٍ مِنَ الملوكِ لم يسمعْ قطُّ كلامَهُ ، فقالَ : هو مثلُ نهيقِ الحميرِ ونُباحِ الكلابِ ؛ معتقداً أنَّ ذلكَ الصوتَ منهما لمَّا كانَ كمالاً يمنعُ مِنِ اتصافِهما برذيلةِ البَكَمِ . . لزمَ أنَّ اتصافَ الملكِ بمثلِ ذلكَ كمالٌ في حقِّهِ ينفي عنهُ رذيلةَ البَكَمِ ! ومِنَ المعلومِ ضرورةً : أنَّ الواصفَ للملكِ بمثلِ هـٰذا قدِ استنقصَهُ غايةَ الاستنقاصِ ، ووصفَهُ بأقبحِ أنواعِ البَكَمِ بالنسبةِ إلىٰ نوعِهِ الإنسانيِّ ، وإنْ لم يكنْ بَكَماً بالنسبةِ إلىٰ نهيقِ الحميرِ ونُباحِ الكلابِ .

ولا شكَّ أنَّ كلامَنا وإنْ بلغَ الغايةَ في البلاغةِ والفصاحةِ والحُسْنِ بالنسبةِ إلىٰ كلامِ اللهِ تعالىٰ . . أدنىٰ بما لا حصرَ لهُ مِنْ نهيقِ الحميرِ ونُباحِ الكلابِ بالنسبةِ إلىٰ أفصحِ كلامٍ وأعذبِهِ[2] ؛ إذِ الحوادثُ كلُّها

---

(١) قوله : (**نظير**) الأَوْلىٰ إسقاط هـٰذه ، ويقول : ونظيره في ذلك من عرف . . . إلىٰ آخره ، وبعد ذلك : فالظاهر أن العبارة مقلوبة ، وحقُّها : وهو في ذلك نظير من عرف . . . إلىٰ آخره . « جمل » (ق٣٧) .

(٢) قال إمامنا الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٢٩٢) وأصل كلامه في « قوت القلوب » : (دعا بعضُ الحكماء بعضَ الملوك إلىٰ شريعة الأنبياء عليهم السلام ، فسأله الملك عن أمور ، فأجاب بما يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ما يأتي به الأنبياء إذا ادعيتَ أنه ليس بكلام الناس ، وأنه كلام الله عز وجل ؛ فكيف يطيق الناس حمله ؟

فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يُفهِموا بعضَ الدواب والطيرِ ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ، ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه . . فنزلوا إلىٰ درجة تمييز البهائم ، وأوصلوا مقاصدهم إلىٰ بواطن البهائم=

لا تفاضلَ بينَها لذواتِها ، بل ما يقومُ ببعضِها مِنْ صفةِ نقصٍ أو كمالٍ يصحُّ أنْ يقومَ بغيرِهِ مِنْ سائرِ ذواتِ الحوادثِ ، وإنَّما مولانا جلَّ وعزَّ الفاعلُ بمحضِ اختيارِهِ هو الذي فاوتَ فيما بينَها ، وخصَّ ما شاءَ منها بما شاءَ مِنْ صفةِ نقصٍ أو كمالٍ ، فإذا كانَ كمالُ بعضِها نقصاً عظيماً بالنسبةِ إلىٰ غيرِهِ ممَّا يقبلُ صفتَهُ ويشاركُهُ في الحدوثِ . . فكيفَ يكونُ الحالُ فيمَنْ يصفُ المولى العظيمَ ـ الذي لا مثلَ لهُ ولا يشاركُهُ شيءٌ سواهُ في جنسٍ ولا نوعٍ ـ بمثلِ أوصافِ الحوادثِ الناقصةِ التي هي كمالٌ لائقٌ بنقصانِها وهي أنقصُ شيءٍ وأرذلُهُ بالنسبةِ إلىٰ جلالِ المولى الكبيرِ المتعالِ ؟!

وقد وردَ عن موسىٰ عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ كانَ يسدُّ أذنيهِ بعدَ رجوعِهِ مِنَ المناجاةِ وسماعِ كلامِ اللهِ تعالىٰ مدَّةً ؛ لئلا يسمعَ كلامَ الناسِ فيموتَ مِنْ شدَّةِ قبحِهِ ووَحشةِ حقيقتِهِ بالنسبةِ إلىٰ كلامِ اللهِ تعالى العديمِ المثالِ ، ولا يستطيعُ أنْ يسمعَ كلامَ الخلْقِ حتىٰ تطولَ بهِ المدَّةُ ، وينسيَهُ اللهُ تعالىٰ ما ذاقَ مِنْ لذَّةِ ذلكَ الاستماعِ لكلامِهِ[1] .

وقد نقلَ أحمدُ بنُ عطاءِ اللهِ عنِ ابنِ الأسمرِ ـ وكانَ مِنَ الأبدالِ ـ :

= بأصوات يضعونها لائقة بها ؛ من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها التي تطيق حملها) إلىٰ أن قال : (فكان الصوت للحكمة جسداً ومسكناً ، والحكمة للصوت نفساً وروحاً) .

(1) أورده السيوطي في « معترك الأقران » (1/11) ونعته بالصحة ، وروىٰ أبو نعيم في « الحلية » (10/19) عن عبد العزيز بن عمير : (لمَّا سمع موسىٰ كلام الله عز وجل مقتَ كلام الآدميين) .

أَنَّهُ رأىٰ مرَّةً في نومِهِ حوراءَ ، فكلَّمَتْهُ[1] ، فبقيَ نحوَ شهرينِ أو ثلاثةِ أشهرٍ لا يستطيعُ أنْ يسمعَ كلاماً إلا تقيَّأَ[2] .

فانظرْ هٰذا الأمرَ ؛ كيفَ صارَ كلامُ الناسِ بالنسبةِ إلىٰ كلامِ الحوراءِ الذي هو مِنْ جنسِ كلامِهم أدنىٰ وأقبحَ مِنْ صوتِ الحميرِ والكلابِ بالنسبةِ إلىٰ كلامِ الناسِ ؛ إذْ لا نجدُ مَنْ يتقيَّأُ بسماعِ صوتِ الحميرِ والكلابِ ولو سمعَهُ إثرَ سماعِهِ أفصحَ كلامٍ وأعذبَهُ ، فكيفَ يكونُ نسبةُ كلامِ الخلقِ إلىٰ كلامِ الخالقِ الذي جلَّ عنِ المثلِ في ذاتِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ تباركَ وتعالىٰ ؟! وباقي الكلامِ واضحٌ[3] ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

(١) في هامش (أ) وحدها زيادة مصححة : قال في « العلوم الفاخرة » : قالت له الحوراء : [من المتقارب]

أتخطبُ مثلي وأنتَ تنامْ ... ونومُ المحبِّينَ فينا حرامْ
فإنَّا خُلِقْنا لكلِّ امرئٍ ... كثيرِ الصلاةِ كثيرِ الصيامْ

وهٰذا الخبر في « العلوم الفاخرة » لشيخ المصنف الإمام عبد الرحمٰن الثعالبي (ص١٠٤) ، وأصله ليس عن مكين الدين الأسمر ـ والذي شهد بكونه من الأبدال ابنُ عطاء الله السكندري في « تاج العروس » (ص٤٣) ـ بل عن بعض أصحاب منصور بن عمار كما ورد فيه ، ورواه أبو نعيم في « الحلية » (٣٢٦/٩) عن سليمان بن منصور ، وابن عطاء المذكور هو صاحب « الحكم » ، ومكين الدين الأسمر من أقرانه ، وهو من كبار القرَّاء .

(٢) وكذا نقل هٰذه الحكاية الإمام السيوطي في « معترك الأقران » (١/ ١١) .

(٣) **أراد** : الكلام على استحالة الموت والصمم والعمىٰ .

[أضدادُ الصفاتِ المعنويَّةِ]

وَأَضْدَادُ ٱلصِّفَاتِ ٱلْمَعْنَوِيَّةِ وَاضِحَةٌ مِنْ هَـٰذِهِ .

يعني : إذا عرفتَ كونَ ضدِّ القدرةِ العامَّةِ العجزَ عن ممكنٍ ما(١) . . لزمَ أنْ يكونَ ضدُّ الصفةِ المعنويَّةِ اللازمةِ للقدرةِ ـ وهي كونُهُ تعالىٰ قادراً علىٰ جميعِ الممكناتِ ـ **كونَهُ عاجزاً عن ممكنٍ ما** ، وضدُّ كونِهِ تعالىٰ مريداً **كونَهُ كارهاً للفعلِ** ؛ أي : غيرَ مريدٍ لهُ معَ إيجادِهِ لهُ ، **أو كونَهُ يفعلُ فعلاً بالتعليلِ أوِ الطبعِ أوِ الذهولِ أوِ الغفلةِ** ، وضدُّ كونِهِ تعالىٰ عالماً **كونَهُ جاهلاً أو ما في معناهُ بمعلومٍ ما** ، وضدُّ كونِهِ تعالىٰ حيّاً **كونَهُ ميتاً** ، وضدُّ كونِهِ تعالىٰ سميعاً **كونَهُ أصمَّ** ؛ أي : يغيبُ عن سمعِهِ موجودٌ ما ، وضدُّ كونِهِ تعالىٰ بصيراً **كونَهُ تعالىٰ أعمىٰ** ؛ أي : يغيبُ عن بصرِهِ موجودٌ ما ، وضدُّ كونِهِ تعالىٰ متكلِّماً **كونَهُ أبكمَ** ؛ أي : يقصرُ كلامُهُ عن معلومٍ ما ، **أو كونَهُ تعالىٰ متكلِّماً بالحروفِ والأصواتِ** ، **أو كونَهُ ساكتاً عن معلومٍ ما**(٢) ،

---

(١) قوله : (**العامة**) قيد به ليصح التقابل بينها وبين العجز ، وإلا فبقطع النظر عنه يمكن أن يكون قادراً علىٰ شيء وعاجزاً عن آخر ، فلا تقابل ولا تضاد . « جمل » (ق٣٨) .

(٢) سقط تفصيل أضداد المعنوية من النسخة (هـ) فقط ، وأثبت في سائر النسخ .

وهـٰكذا كلُّ صفةِ معنىً ؛ فإنَّ ضدَّها ضدٌّ للصفةِ المعنويَّةِ اللازمةِ لها ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

الجائزاتُ في حقِّه تعالىٰ

وَأَمَّا ٱلْجَائِزُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ فَفِعْلُ كُلِّ مُمْكِنٍ أَوْ تَرْكُهُ .

لمَّا فرغَ مِنْ ذكرِ ما يجبُ في حقِّهِ تعالىٰ وما يستحيلُ . . ذكرَ هنا القسمَ الثالثَ ؛ وهو ما يجوزُ في حقِّهِ تعالىٰ ، فذكرَ أنَّ الجائزَ في حقِّهِ تعالىٰ هو فعلُ كلِّ ممكنٍ أو تركُهُ ، فيدخلُ في ذلكَ الثوابُ والعقابُ[1] ، وبعثةُ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، والصلاحُ والأصلحُ للخلقِ ؛ إذْ لا يجبُ مِنْ ذلكَ شيءٌ على اللهِ تعالىٰ ولا يستحيلُ[2] ؛ إذْ لو وجبَ عليهِ فعلُ الصلاحِ والأصلحِ للخلْقِ كما

---

(١) إنما خصَّ هـٰذه المذكورات ؛ لكونها محلَّ خلاف بين أهل السنة والمعتزلة .

(٢) أي : بالنظر لذات الله ، فلا ينافي وجوبه لوعده تعالى الذي لا يتخلَّف ، أو لاقتضاء حكمته وجوده ، أو لتعلق علمه في الأزل بوجوده ، **والحاصل** : أنه ليس مرادُ الأشعري بقوله : (إنه لا يجب على الله شيء) نفيَ الوجوب مطلقاً ، بل المراد نفي الوجوب باعتبار ذاته تعالىٰ ، وهـٰذا لا ينافي أنه قد يجب عليه باعتبار صفاته . « دسوقي » (ص١٧١) ، ولو قال : (يجب منه) كما هو دأب الماتريدية في التعبير في مثل هـٰذا البيان . . لكان أحسن .

ولهـٰذا المعنىٰ قال العارف بالله تعالى النابلسي في « الأنوار الإلـٰهية » (ص١٠٢) : (فالإمكان حينئذٍ وصف للممكن دائماً باعتبار نفسه ، وأما باعتبار تعلق القدرة به وعدم تعلقها فهو دائرٌ بين الوجوب والاستحالة لا ينفك عن واحد منهما) .

تقولُهُ المعتزلةُ . . لَمَا وقعَتْ محنةٌ دنيا ولا أخرىٰ ، ولَمَا وقعَ تكليفٌ بأمرٍ ولا نهيٍ ، وذلكَ باطلٌ بالمشاهدةِ .

وما يُقدَّرُ مِنْ تلكَ المصالحِ معَ تلكَ المحنِ والتكاليفِ فاللهُ تعالىٰ قادرٌ علىٰ إيصالِ تلكَ المصالحِ بلا مشقةٍ ولا محنةٍ أو تكليفٍ .

وأيضاً : فليسَتْ تلكَ المصالحُ عامَّةً في جميعِ الممتحَنينَ والمكلَّفينَ ؛ للقطعِ بأنَّ المحنةَ والتكليفَ في حقِّ مَنْ خُتِمَ عليهِ بالكفرِ والعياذُ باللهِ نقمةٌ وتعريضٌ للهلاكِ الأبديِّ (١) ، نسألُ اللهَ تعالى العافيةَ في دينِنا ودنيانا ، وحسنَ الخاتمةِ بلا محنةٍ .

* * *

(١) هـٰذا مبني علىٰ أن المراد الأصلحُ المطلق ، لا بالنسبة إلى الشخص . مفادٌ « ياسين » (ق ٢٢٠) .

براهين الصّفات الواجبة في حقّه تعالىٰ

[برهانُ وجوبِ الوجودِ]

أَمَّا بُرْهَانُ وُجُودِهِ تعَالَىٰ : فَحُدُوثُ ٱلْعَالَمِ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْدِثٌ بَلْ حَدَثَ بِنَفْسِهِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ ٱلأَمْرَيْنِ ٱلْمُتَسَاوِيَيْنِ مُسَاوِياً لِصَاحِبِهِ رَاجِحاً عَلَيْهِ بِلا سَبَبٍ ، وَهُوَ مُحَالٌ .

وَدَلِيلُ حُدُوثِ ٱلْعَالَمِ : مُلازَمَتُهُ لِلأَعْرَاضِ ٱلْحَادِثَةِ مِنْ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَمُلازِمُ ٱلْحَادِثِ حَادِثٌ ، **وَدَلِيلُ حُدُوثِ ٱلأَعْرَاضِ** : مُشَاهَدَةُ تَغَيُّرِهَا مِنْ عَدَمٍ إِلَىٰ وُجُودٍ ، وَمِنْ وُجُودٍ إِلَىٰ عَدَمٍ .

لا خفاءَ أنَّ العالمَ مِنَ السماواتِ والأرضينَ وما فيهما وما بينَهما . . أجرامٌ ملازمةٌ لأعراضٍ تقومُ بها مِنْ حركةٍ وسكونٍ وغيرِهما ، ولنقتصرْ على الحركةِ والسكونِ ؛ فإنَّ معرفةَ لزومِ الأجرامِ لهما ضروريٌّ لكلِّ عاقلٍ ؛ **فنقولُ**(١) :

---

(١) شروع في بيان حدوث الأعراض . « دسوقي » (ص١٧٨) ، ومبنى الدليل علىٰ حدوث العالم : إثبات حدوث الأعراض ابتداءً بالمشاهدة ، ثم إثبات =

لا شكَّ في وجوبِ الحدوثِ لكلِّ واحدٍ مِنَ السكونِ والحركةِ ؛ إذْ لو كانَ واحدٌ منهما قديماً لَمَا قَبِلَ أنْ ينعدمَ أبداً ؛ لأنَّ ما ثبتَ قدمُهُ استحالَ عدمُهُ ، ولا خفاءَ أنَّ كلَّ واحدٍ مِنَ السكونِ والحركةِ قابلٌ للعدمِ ؛ لأنَّهُ قد شُوهدَ عدمُ كلِّ واحدٍ منهما بوجودِ ضدِّهِ في كثيرٍ مِنَ الأجرامِ ، فيلزمُ استواءُ الأجرامِ كلِّها في ذلكَ ، وإذا ثبتَ حدوثُهما واستحالَ وجودُهما في الأزلِ . . لزمَ حدوثُ الأجرامِ واستحالةُ وجودِها في الأزلِ قطعاً ؛ لاستحالةِ انفكاكِها عنِ الحركةِ والسكونِ .

وبالجملةِ : فحدوثُ أحدِ المتلازمينِ يستلزمُ حدوثَ الآخرِ ضرورةً[1] .

وإذا استبانَ بهٰذا حدوثُ العالمِ . . لزمَ افتقارُهُ إلىٰ مُحدِثٍ[2] ؛ لأنَّهُ لو لم يكنْ لهُ مُحدِثٌ ، بل حدثَ بنفسِهِ . . لزمَ اجتماعُ أمرينِ متنافيينِ ؛ **وهما الاستواءُ والرجحانُ بلا مرجِّحٍ** ؛ لأنَّ **وجودَ** كلِّ فردٍ مِنْ أفرادِ العالمِ مساوٍ لعدمِهِ ، **وزمانَ** وجودِهِ مساوٍ لغيرِهِ مِنَ الأزمنةِ ،

= حدوث الأجرام التي قامت بها الأعراض ، وذلك بدليل الملازمة العقلية بينهما ، وبتوسيط قاعدة : الملازم للحادث حادثٌ ، فثبت حدوث العالم المؤلَّف منهما .

(١) ما قرَّره المصنف مبني علىٰ إثبات أربعة من المطالب السبعة ؛ وهي : إثبات زائد على الأجرام ، وأنها حادثة ، وغير منفكة عنها ، مع استحالة حوادث لا أول لها .

(٢) هٰذا شروع في بيان وجود صانع العالم . « دسوقي » (ص١٧٩) ، وهو مبني علىٰ أن العقل لا يسلِّم بوجود أثرٍ من غير مؤثِّر ، مع بطلان التسلسل والدور .

ومقدارَهُ المخصوصَ مساوٍ لسائرِ المقاديرِ ، **ومكانَهُ** الذي اختُصَّ بهِ مساوٍ لسائرِ الأمكنةِ ، **وجهتَهُ** المخصوصةَ مساويةٌ لسائرِ الجهاتِ ، **وصفتَهُ** المخصوصةَ مساويةٌ لسائرِ الصفاتِ .

فهـٰذهِ أنواعٌ ، كلٌّ واحدٍ منها فيهِ أمرانِ متساويانِ[1] ، فلو حدثَ أحدُهما بنفسِهِ لترجَّحَ علىٰ مقابِلِهِ معَ أنَّهُ مساوٍ لهُ في قبولِ كلِّ جرمٍ لهما علىٰ حدٍّ سواءٍ ، فقد لزمَ أنْ لو وُجِدَ شيءٌ مِنَ العالمِ بنفسِهِ بلا مُوجِدٍ لزمَ اجتماعُ الاستواءِ والرجحانِ المتنافيينِ ، وذلكَ محالٌ .

فإذاً ؛ لولا مولانا جلَّ وعزَّ الذي خَصَّ كلَّ فردٍ مِنْ أفرادِ العالمِ بما اختُصَّ بهِ . . لَمَا وُجِدَ شيءٌ مِنَ العالمِ .

فسبحانَ مَنْ أفصحَ بوجوبِ وجودِهِ وجوبُ افتقارِ الكائناتِ كلِّها إليهِ ، تباركَ وتعالىٰ وجلَّ وعلا .

فقولي : (**لزمَ أنْ يكونَ أحدُ الأمرينِ المتساويينِ**) أعني بهما : الوجودَ والعدمَ ، والمقدارَ المخصوصَ ، وغيرَ ذلكَ ممَّا ذكرناهُ آنفاً ، وباقي الكلامِ واضحٌ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

(١) وهي ستة كما ترىٰ ، وهي المجموعة بقول الإمام أبي عبد الله محمد بن قاسم القيسي القصار الفاسي كما في « شرح شطرنج العارفين » (ص٨) : (من الرجز)

الممكنـــاتُ المتقـــابـــلاتُ ... وجـودُنـا والعـدمُ الصفـاتُ
أزمنـــــةٌ أمكنـــــةٌ جهـــــاتُ ... كـذا المقـاديـرُ روى الثقـاتُ

قال العلامة ياسين في « حاشيته » (ق٢٢٧) : (سميت بالمتقابلات الستِّ ؛ لأن كل واحد منها يقابله نظيره) .

[برهانُ وجوبِ القدمِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْقِدَمِ لَهُ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ قَدِيماً لَكَانَ حَادِثاً ، فَيَفْتَقِرُ إِلَىٰ مُحْدِثٍ ، وَيَلْزَمُ ٱلدَّوْرُ أَوِ ٱلتَّسَلْسُلُ .

يعني : أنَّهُ إذا ثبتَ وجودُ مولانا جلَّ وعزَّ بما سبقَ مِنَ البرهانِ ؛ وهو افتقارُ الكائناتِ كلِّها إليهِ جلَّ وعلا[١] . . فإنَّهُ يجبُ لهُ جلَّ وعلا القدمُ .

وبرهانُهُ : أنَّهُ لو لم يكنْ جلَّ وعزَّ قديماً لكانَ حادثاً ؛ لوجوبِ انحصارِ كلِّ موجودٍ في القدمِ والحدوثِ ، فمهما انتفىٰ أحدُهما تعيَّنَ الآخرُ ، والحدوثُ علىٰ مولانا جلَّ وعزَّ مستحيلٌ ؛ لأنَّهُ يستلزمُ أنْ يكونَ لهُ مُحدِثٌ ؛ لما عرفتَ في حدوثِ العالمِ ، ثم مُحدِثُهُ لا بدَّ أنْ يكونَ مثلَهُ ، فيكونَ حادثاً ، فلهُ أيضاً مُحدِثٌ ، ويلزمُ أيضاً في هٰذا المُحدِثِ ما لزمَ في الذي قبلَهُ مِنَ الافتقارِ إلىٰ مُحدِثٍ آخرَ وهٰكذا .

فإنِ انحصرَ العددُ **لزمَ الدورُ** ؛ لأنَّ مُحدِثَ الأوَّلِ يلزمُ أنْ يكونَ بعضَ مَنْ بعدَهُ ممَّنْ أحدثَهُ هٰذا الأوَّلُ أو أحدثَهُ مَنِ استندَ وجودُهُ إليهِ

(١) **يعني** : البرهان المتقدم ذكره يفيد افتقار الكائنات له تعالىٰ .

مباشرةً أو بواسطةٍ ، **واستحالةُ الدورِ ظاهرةٌ** ، لأنَّهُ يلزمُ عليهِ تقدُّمُ كلِّ واحدٍ مِنَ المُحدَثَينِ على الآخرِ وتأخُّرُهُ عنهُ ، وذلكَ جمعٌ بينَ متنافيينِ[1] ، بل ويلزمُ عليهِ أيضاً تقدُّمُ كلِّ واحدٍ منهما علىٰ نفسِهِ بمرتبتينِ ، وذلكَ تهافتٌ لا يُعقَلُ .

وإنْ لم ينحصرِ العددُ ، وكانَ قبلَ كلِّ واحدٍ مُحدِثٌ آخرُ قبلَهُ . . **لزمَ التسلسلُ ، وهو أيضاً محالٌ** ؛ لأنَّهُ يؤدِّي إلىٰ فراغِ ما لا نهايةَ لهُ ، وذلكَ أيضاً لا يُعقَلُ[2] .

وإذا استحالَ الحدوثُ علىٰ مولانا جلَّ وعزَّ وجبَ لهُ القدمُ ، وهو المطلوبُ .

* * *

---

(١) **وحاصله** : أنه لو خلق زيد عمراً ، وخلق عمرو زيداً . . فمقتضىٰ كون زيد خالقاً لعمرو : أن يكون متقدماً عليه ، ومقتضىٰ كونه مخلوقاً له : أن يكون متأخراً عنه ، فلزم الجمع بين كونه متقدماً علىٰ عمرو ومتأخراً عنه ، وهو محال ؛ لأنه جمع بين متنافيين . « دسوقي » (ص١٨١) .

(٢) أو دخول ما لا نهاية له في الوجود ، أو أن ما يتناهىٰ يصير لا يتناهىٰ بزيادة واحد ، وكل ذلك محال عقلاً .

[برهانُ وجوبِ البقاءِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْبَقَاءِ لَهُ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ أَمْكَنَ أَنْ يَلْحَقَهُ ٱلْعَدَمُ لَٱنْتَفَىٰ عَنْهُ ٱلْقِدَمُ ؛ لِكَوْنِ وُجُودِهِ حِينَئِذٍ يَصِيرُ جَائِزاً لا وَاجِباً ، وَٱلْجَائِزُ لا يَكُونُ وُجُودُهُ إِلا حَادِثاً ، كَيْفَ وَقَدْ سَبَقَ قَرِيباً وُجُوبُ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ ؟!

لا شكَّ أنَّ وجوبَ القدمِ مستلزمٌ لوجوبِ البقاءِ ، فلمَّا قامَ البرهانُ علىٰ وجوبِ قدمِهِ جلَّ وعزَّ وجبَ بقاؤُهُ تباركَ وتعالىٰ ؛ إذْ لو جازَ أنْ يلحقَهُ العدمُ ـ تعالىٰ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ـ لكانَ وجودُهُ جائزاً لا واجباً ؛ لصدْقِ حقيقةِ الجائزِ حينَئذٍ علىٰ ذاتِ مولانا جلَّ وعزَّ ؛ لأنَّ الجائزَ ما يصحُّ وجودُهُ وعدمُهُ .

وهـٰذا التقديرُ الفاسدُ يستلزمُ صحَّةَ الوجودِ والعدمِ للذاتِ العليَّةِ تباركَ وتعالىٰ ، فيكونُ جائزَ الوجودِ ، وذلكَ يستلزمُ حدوثَهُ تعالىٰ عن ذلكَ[1] ؛ لما عرفْتَ مِنِ استحالةِ ترجيحِ الوجودِ الجائزِ على العدمِ

---

(١) الإشارة راجعة لوجوده الجائز ؛ أي : وجوده الجائز يستلزم حدوثه ، وليست راجعة لجواز وجوده ؛ إذ لا يلزم من جواز الشيء حدوثه . « دسوقي » (ص١٨٤) .

مقابلِهِ المساوي لهُ في القبولِ مِنْ غيرِ فاعلٍ مرجِّحٍ ، كيفَ وقد سبقَ قريباً بالبرهانِ القاطعِ وجوبُ قدمِهِ جلَّ وعزَّ ؟!

فإذاً ؛ يجبُ بقاؤُهُ تباركَ وتعالىٰ كما وجبَ قدمُهُ[1] .

* * *

(١) **تنبيه** : قوله في المتن : (**والجائز لا يكون وجوده إلا حادثاً**) قال العارف بالله النابلسي في « الأنوار الإلـٰهية » (ص١٠٨) : (أي : لا يتصور وجوده أبداً في عينه إلا وجوداً حادثاً ، وكذلك وجوده في الكتابة ، وأما وجوده في القول وفي العلم فهو وجود قديم ، وكلامنا الآن في الوجود العيني ؛ لأنه المقصود من معنى الوجود ، فالجائز موجود في العلم موجود في القول ، وهو بهـٰذا الاعتبار قديم الوجود ، وموجود في الكتابة في اللوح المحفوظ موجود في عينه ، وهو بهـٰذا الاعتبار حادث الوجود) ، وهـٰذا كلام مؤسس على اعتبار الوجودات الأربعة .

[برهانُ وجوبِ المخالفةِ للحوادثِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ مُخَالَفَتِهِ تَعَالَىٰ لِلْحَوَادِثِ : فَلأَنَّهُ لَوْ مَاثَلَ شَيْئاً مِنْهَا لَكَانَ حَادِثاً مِثْلَهَا[١] ، وَذَلِكَ مُحَالٌ ؛ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبَقَائِهِ .

لا شكَّ أنَّ كلَّ مثلينِ لا بدَّ أنْ يجبَ لأحدِهما ما وجبَ للآخرِ ، ويستحيلَ عليهِ ما استحالَ عليهِ ، ويجوزَ لهُ ما جازَ عليهِ ، وقد عرفْتَ بالبرهانِ القاطعِ أنَّ كلَّ ما سوىٰ مولانا جلَّ وعزَّ يجبُ لهُ الحدوثُ ، فلو ماثلَ تعالىٰ شيئاً ممَّا سواهُ لوجبَ لهُ جلَّ وعزَّ مِنَ الحدوثِ تعالىٰ عن ذلكَ ما وجبَ لذلكَ الشيءِ ، وذلكَ باطلٌ ؛ لما عرفْتَ بالبرهانِ القاطعِ مِنْ وجوبِ قدمِهِ تعالىٰ وبقائِهِ[٢] .

---

(١) قوله : (**لو ماثل شيئاً منها**) أي : بأن كان من جنس الأجرام أو الأعراض ، أو كان متصفاً بلوازمهما ؛ كالحلول في جهة للجرم ، وكالتقيد بمكان أو زمان ، وكاتصاف ذاته بالصغر أو الكبر . « دسوقي » (ص١٨٤) .

(٢) ذكرَ البقاءَ مع أن ذكْرَ القدم كافٍ ؛ لأنه لاحظ أن استحالة الحدوث إنما هي لكونه واجب الوجود ، ووجوب الوجود يستلزم القدم والبقاء .

وبالجملةِ : فلو ماثلَ تعالىٰ شيئاً مِنَ الحوادثِ لوجبَ لهُ القدمُ لألوهيَّتِهِ ، والحدوثُ لفَرْضِ مماثلتِهِ للحوادثِ ، وذلكَ جمعٌ بينَ متنافيينِ ضرورةً .

* * *

[برهانُ وجوبِ القيامِ بالنفسِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ قِيَامِهِ تَعَالَىٰ بِنَفْسِهِ : فَلأَنَّهُ لَوِ ٱحْتَاجَ إِلَىٰ مَحَلٍّ لَكَانَ صِفَةً ، وَٱلصِّفَةُ لا تَتَّصِفُ بِصِفَاتِ ٱلْمَعَانِي وَلا ٱلْمَعْنَوِيَّةِ ، وَمَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ يَجِبُ ٱتِّصَافُهُ بِهِمَا ، فَلَيْسَ بِصِفَةٍ ، وَلَوِ ٱحْتَاجَ إِلَىٰ مُخَصِّصٍ لَكَانَ حَادِثاً ، وَقَدْ قَامَ ٱلْبُرْهَانُ عَلَىٰ وُجُوبِ قِدَمِهِ تَعَالَىٰ وَبَقَائِهِ .

تقدَّمَ أنَّ قيامَهُ تعالىٰ بنفسِهِ عبارةٌ عنِ استغنائِهِ جلَّ وعزَّ عنِ المحلِّ والمخصِّصِ .

أمَّا برهانُ وجوبِ استغنائِهِ تعالىٰ عنِ المحلِّ ؛ أي : عن ذاتٍ يقومُ بها : فهو أنَّهُ لوِ احتاجَ تعالىٰ إلىٰ ذاتٍ أخرىٰ يقومُ بها لزمَ أنْ يكونَ صفةً لتلكَ الذاتِ ؛ إذْ لا يقومُ بالذاتِ إلا صفاتُها ، ومولانا جلَّ وعزَّ يستحيلُ أنْ يكونَ صفةً حتىٰ يحتاجَ إلىٰ محلٍّ يقومُ بهِ ؛ إذْ لو كانَ صفةً لزمَ ألا يتَّصفَ بصفاتِ المعاني ؛ وهي القدرةُ والإرادةُ والعلمُ. . . إلىٰ آخرِها ، ولا بالصفاتِ المعنويَّةِ ؛ وهي كونُهُ تعالىٰ قادراً ومريداً وعالماً. . . إلىٰ آخرِها[1] ؛ لأنَّ الصفةَ لا تتَّصفُ بصفةٍ ثبوتيَّةٍ غيرِ

---

(١) لأن الاتصاف بالمعنوية فرع الاتصاف بالمعاني ، فإذا استحال اتصاف المعاني=

نفسيَّةٍ[1] ؛ لأنَّ النفسيَّةَ والسلبيَّةَ تتَّصفُ بهما الذواتُ والمعاني ؛ إذْ لو قبلَتِ الصفةُ صفةً أخرىٰ لزمَ ألا تعرىٰ عنها ، أو عن مثلِها ، أو عن ضدِّها ، ويلزمُ مثلُ ذلكَ في الصفةِ الأخرى التي قامَتْ بها ، وهلمَّ جرّاً ؛ إذِ القبولُ نفسيٌّ ، فلا بدَّ أنْ يتَّحدَ بينَ المتماثلاتِ ، وهو محالٌ ؛ لما يلزمُ عليهِ مِنَ التسلسلِ[2] ، ودخولِ ما لا نهايةَ لهُ مِنَ الصفاتِ في الوجودِ ، وهو محالٌ .

فإذاً ؛ الصفةُ لا تقبلُ أنْ تتَّصفَ بصفةٍ ثبوتيةٍ غيرِ نفسيَّةٍ تقومُ بها ؛ أعني : صفاتِ المعاني والمعنويةَ ، ومولانا جلَّ وعزَّ قامَ البرهانُ القاطعُ علىٰ وجوبِ اتِّصافِهِ بصفاتِ المعاني والصفاتِ المعنويَّةِ ، فيلزمُ أنْ يكونَ ذاتاً عليَّةً موصوفاً بالصفاتِ المرفَّعةِ ، وليسَ هو في نفسِهِ صفةً لغيرِهِ ، تعالىٰ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

وأمَّا برهانُ وجوبِ استغنائِهِ جلَّ وعزَّ عنِ المخصِّصِ ؛ أي : الفاعلِ : فهو أنَّهُ لوِ احتاجَ إلى الفاعلِ لكانَ حادثاً ، وذلكَ محالٌ ؛ لما عرفتَ بالبرهانِ القاطعِ مِنْ وجوبِ قدمِهِ تعالىٰ وبقائِهِ .

= بالمعاني استحال اتصافها بالمعنوية . مفاد « ياسين » (ق٢٣٠) .

(١) لأن المعاني تتصف بالنفسية ، ألا ترىٰ أن السواد يتصف باللونية وبكونه سواداً مع أنه صفة ؟! ومثل النفسيةِ السلبيةُ كما سيبين .

(٢) **أما السلبية** : فلا وجود لها في الخارج ، فلا يلزم من تقدير تسلسلها دخولُ ما لا نهاية له في الوجود ، **وأما النفسية** : فلأنها راجعة إلىٰ حقيقة موصوفها ، فلا تسلسل فيها . « ياسين » (ق٢٣٠) .

فتبيَّنَ بهٰذينِ البرهانينِ[1] : وجوبُ الغنى المطلقِ لمولانا جلَّ وعلا عن كلِّ ما سواهُ ، وهو معنىٰ قيامِهِ جلَّ وعزَّ بنفسِهِ .

* * *

---

(١) أي : برهان مخالفته للحوادث ، وبرهان وجوب قيامه بنفسه . « ياسين » (ق٢٣١) ، وذكر غيره : أن المراد بهٰذين البرهانين : برهان استغنائه عن المحل ، وبرهان استغنائه عن المخصص . « دسوقي » (ص١٨٨) ورجح الأول .

[برهانُ وجوبِ الوحدانيةِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْوَحْدَانِيَّةِ لَهُ جَلَّ وَعَزَّ : فَلأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ وَاحِداً لَزِمَ أَلا يُوجَدَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْعَالَمِ ؛ لِلُزُومِ عَجْزِهِ حِينَئِذٍ .

يعني : أنَّهُ لو كانَ لهُ تعالىٰ مماثلٌ في ألوهيَّتِهِ لزمَ ألا يوجدَ شيءٌ مِنَ الحوادثِ ، والتالي معلومُ البطلانِ بالضرورةِ[1] .

وبيانُ لزومِ ذلكَ : أنَّهُ قد تقرَّرَ بالبرهانِ القاطعِ وجوبُ عمومِ قدرتِهِ تعالىٰ وإرادتِهِ لجميعِ الممكناتِ ، فلو كانَ ثَمَّ موجودٌ لهُ مِنَ القدرةِ والإرادةِ علىٰ إيجادِ ممكنٍ ما مثلُ ما لمولانا جلَّ وعزَّ[2] . . لزمَ عندَ تعلُّقِ تينِكَ القدرتينِ بإيجادِ ذلكَ الممكنِ ألا يوجدَ بهما معاً ؛ **لاستحالةِ أثرٍ واحدٍ بينَ مؤثِّرينِ** ؛ لما يلزمُ عليهِ مِنْ رجوعِ الأثرِ الواحدِ أثرينِ ، وذلكَ لا يُعقَلُ .

فإذاً ؛ لا بدَّ مِنْ عجزِ أحدِ المؤثِّرينِ ، وذلكَ مستلزمٌ لعجزِ الآخرِ

---

(١) أي : لوجود الحوادث بالمشاهدة . « دسوقي » (ص١٩٠) .

(٢) قوله : (**مثل**) مبتدأ مؤخر ، خبره قوله : (**له من القدرة . . .**) ، والجملة في محل رفع صفة لقوله قبلُ : (موجِدٌ) ، وهـٰذا شروع في برهان التوارد ، وبطلانه باستحالة اجتماع مؤثرين علىٰ أثر واحد .

المماثِلِ لهُ في القدرةِ على الإيجادِ ، وإذا لزمَ عجزُهما معاً في هـٰذا الممكنِ لزمَ عجزُهما كذلكَ في سائرِ الممكناتِ ؛ لعدمِ الفرقِ بينَهما ، وذلكَ مستلزمٌ لاستحالةِ وجودِ الحوادثِ كلِّها ، والمشاهدةُ تقتضي بطلانَ ذلكَ ضرورةً .

وإذا استبانَ وجوبُ عجزِهما معَ الاتفاقِ علىٰ ممكنٍ واحدٍ كانَ معَ الاختلافِ فيهِ علىٰ سبيلِ التضادِّ أظهرَ[1] .

فتعينَ وجوبُ وحدانيَّةِ مولانا جلَّ وعزَّ في ذاتِهِ وفي صفاتِهِ وفي أفعالِهِ .

[الكلامُ على الكسبِ]

وبهـٰذا تعرفُ : أنْ لا أثرَ لقدرتِنا في شيءٍ مِنْ أفعالِنا الاختياريَّةِ[2] ؛ كحركاتِنا وسكناتِنا ، وقيامِنا وقعودِنا ومشيِنا ونحوِ ذلكَ ، بلِ جميعُ ذلكَ مخلوقٌ لمولانا جلَّ وعزَّ بلا واسطةٍ ، وقدرتُنا أيضاً مثلُ ذلكَ ؛ عرضٌ مخلوقٌ لمولانا جلَّ وعزَّ ، تقارنُ تلكَ الأفعالَ الاختياريَّةَ وتتعلَّقُ بها مِنْ غيرِ تأثيرٍ لها في شيءٍ مِنْ ذلكَ أصلاً ، وإنَّما أجرى اللهُ تعالى العادةَ أنْ يخلقَ عندَ تلكَ القدرةِ ـ لا بها ـ ما شاءَ مِنَ

(١) إشارة إلىٰ برهان التمانع ، ويسمىٰ ببرهان التطارد أيضاً ، وبطلانه باستحالة اجتماع الضدين ، أو عجز أحد الإلـٰهين المستلزم لعجز الآخر للتماثل .

(٢) النون للمتكلم ومعه غيره ، والمراد بالغير : الأحياء مطلقاً ، كانوا عقلاء أو غيرهم . « دسوقي » (ص١٩٠) .

الأفعالِ ، وجعلَ سبحانَهُ بمحْضِ اختيارِهِ وجودَ تلكَ القدرةِ فينا مقترنةً بتلكَ الأفعالِ شرطاً في التكليفِ .

وهـٰذا الاقترانُ والتعلُّقُ لهـٰذهِ القدرةِ الحادثةِ بتلكَ الأفعالِ مِنْ غيرِ تأثيرٍ لها أصلاً .. **هو المسمَّىٰ في الاصطلاحِ وفي الشرعِ بالكسبِ والاكتسابِ** ، وبحسَبِهِ تُضافُ الأفعالُ للعبدِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ، أمَّا الاختراعُ والإيجادُ فهو مِنْ خواصِّ مولانا جلَّ وعزَّ ، لا يشاركُهُ فيهِ شيءٌ سواهُ تباركَ وتعالىٰ(١) .

ويُسمَّى العبدُ عندَ خلْقِ اللهِ تعالىٰ فيهِ القدرةَ المقارنةَ للفعلِ : **مختاراً** ، وعندَما يخلقُ اللهُ تعالىٰ فيهِ الفعلَ مجرَّداً عن مقارنةِ تلكَ القدرةِ الحادثةِ : **مجبوراً ومضطرّاً** ؛ كالمرتعشِ مثلاً .

وعلامةُ مقارنةِ القدرةِ الحادثةِ لما يُوجَدُ في محلِّها : تيسُّرُهُ بحسَبِ العادةِ فعلاً وتركاً ، **وعلامةُ الجبرِ وعدمِ تلكَ القدرةِ** : عدمُ التيسُّرِ ، وإدراكُ الفرقِ بينَ هاتينِ الحالتينِ ضروريٌّ لكلِّ عاقلٍ ، كما أنَّ الشرعَ جاءَ بإثباتِ الحالتينِ ، وتفضَّلَ بإسقاطِ التكليفِ في الحالةِ الثانيةِ ـ وهي حالةُ الجبرِ ـ دونَ الأولىٰ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] أي : إلا ما في وسعِها بحسَبِ العادةِ ، وأمَّا

---

(١) عبَّر عن هـٰذا الأشعري بأن القدرة على الاختراع أخصُّ وصف البارئ ، وليس مراده أنها خاصة للذات ؛ بمعنىٰ : أنها صفة نفسية لا تستقل الذات بدونها ؛ لأنها عنده صفة معنىً ، والنفسية ليست كذلك . « ياسين » (ق٢٣٣) .

بحسَبِ العقلِ وما في نفسِ الأمرِ فليسَ في وسعِها ـ أي في طاقتِها ـ اختراعُ شيءٍ ما .

وبهـٰذا تعرفُ : **بطلانَ مذهبِ الجبريَّةِ** القائلينَ باستواءِ الأفعالِ كلِّها[1] ، وأنَّهُ لا قدرة تقارنُ شيئاً منها عموماً ، ولا شكَّ أنَّهم في هـٰذهِ المقالةِ مبتدعةٌ بُلْهٌ يكذِّبُهمُ الشرعُ والعقلُ[2] ، **وبطلانَ مذهبِ القدريَّةِ** مجوسِ هـٰذهِ الأمَّةِ[3] ؛ القائلينَ بتأثيرِ القدرةِ الحادثةِ في الأفعالِ علىٰ حسَبِ إرادةِ العبدِ ، ولا شكَّ أنَّهم مبتدعةٌ أشركوا معَ اللهِ تعالىٰ غيرَهُ[4] .

فتحقَّقَ مذهبُ أهلِ السنَّةِ بينَ هـٰذينِ المذهبينِ الفاسدينِ[5] ؛ فهو

---

(١) الجبر المحظور هو الحسيُّ ، أما العقلي ـ وهو سلب الخالقية عن العبد ـ فهو متوجِّهٌ علىٰ جميع الفرق ، ولا يضرُّ ، بل هو محضُ الإيمان ، كما أن ما تعلَّقت به قدرة الله وإرادته وعلمه وقوعُهُ من العبد باختياره لا بد من وقوعه باختياره ، فإن الوجوب بالاختيار محقق للاختيار ، لا منافٍ له . « ياسين » (ق٢٣٣) ، ويجوز في الجبرية تحريك الباء وتسكينها ، والأفصح : المجبرة .

(٢) أي : كلٌّ منهما قد فرَّق بين حالتي الاختيار والاضطرار . « جمل » (ق٤٣) ، أو قل : يكذبهم العقل بواسطة النقل ، والمقصود بالجبرية هنا : الذين يثبتون التكليف ، أما نفاته فليسوا من الفرق الإسلامية .

(٣) وردت تسميتهم بذلك في أثر رواه أبو داود (٤٦٩١) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « فيض القدير » (٢/ ٥٢٠) .

(٤) لا على الحقيقة ، بل ذكر ذلك مبالغة .

(٥) قوله : (**تحقق**) أي : صحَّ ، وقال العلامة ياسين في « حاشيته » (ق٢٣٤) : (يقرأ بصيغة المبني للمفعول ، وبصيغة الأمر وهو أولىٰ) .

قد خرجَ مِنْ بينِ فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربينَ ؛ بينَ قومٍ أفرطوا وهمُ الجبريَّةُ ، وقومٍ فرَّطوا وهمُ القدريَّةُ .

[نفْيُ الطبيعةِ والقوَّةِ المودَعةِ عنِ الأشياءِ]

وكما أنَّ هـٰذهِ القدرةَ لا أثرَ لها أصلاً في شيءٍ مِنَ الأفعالِ ؛ كذلكَ لا أثرَ للنارِ في شيءٍ مِنَ الإحراقِ أوِ الطبخِ أو غيرِ ذلكَ ، لا بطبعِها ولا بقوَّةٍ وُضِعَتْ فيها ، بلِ اللهُ تعالىٰ أجرى العادةَ اختياراً منهُ جلَّ وعزَّ بإيجادِ تلكَ الأمورِ عندَها لا بها .

وقِسْ علىٰ هـٰذا ما يُوجَدُ مِنَ القطعِ عندَ السكينِ ، والألمِ عندَ الجَرْحِ ، والشبعِ عندَ الطعامِ ، والرِّيِّ عندَ الشرابِ ، والنباتِ عندَ الماءِ ، والضوءِ عندَ الشمسِ والسراجِ ونحوِهما ، والظلِّ عندَ الجدارِ والشجرِ ونحوِهما ، وبردِ الماءِ السُّخْنِ عندَ صبِّ الماءِ الباردِ فيهِ وبالعكسِ ، ونحوِ ذلكَ ممَّا لا ينحصرُ ، فاقطعْ في ذلكَ كلِّهِ بأنَّهُ مخلوقٌ للهِ تعالىٰ بلا واسطةٍ ألبتةَ ، وأنَّهُ لا أثرَ فيهِ أصلاً لتلكَ الأشياءِ التي جرَتِ العادةُ بوجودِها معَها[١] .

وبالجملةِ : فلتعلمْ أنَّ الكائناتِ كلَّها يستحيلُ منها الاختراعُ لأثرٍ ما ، بل جميعُها مخلوقٌ لمولانا جلَّ وعزَّ ، مفتقرٌ إليهِ أشدَّ الافتقارِ ابتداءً ودواماً بلا واسطةٍ ، بهـٰذا شهدَ البرهانُ العقليُّ ، ودلَّ عليهِ الكتابُ والسنَّةُ وإجماعُ السلفِ الصالحِ قبلَ ظهورِ البدعِ .

---

(١) انظر « شرح المقدمات » (ص ١٨٨ ، ١٩٥) .

ولا تُصْغِ بأذنيكَ لما ينقلُهُ بعضُ مَنْ أُولعَ بنقلِ الغثِّ والسمينِ عن مذهبِ أهلِ السنَّةِ ممَّا يُخالفُ ما ذكرنا[1] ، فشُدَّ يدَكَ علىٰ ما ذكرناهُ ؛ فهو الحقُّ الذي لا شكَّ فيهِ ولا يصحُّ غيرُهُ ، واقطعْ تشوُّفَكَ إلىٰ سماعِ الباطلِ تعشْ سعيداً وتمتْ كذلكَ ، واللهُ المستعانُ .

* * *

---

(١) انظر تفصيل ذلك في « شرح المقدمات » (ص ١٥٤) ، و« شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ٣٩٠) .

[برهانُ وجوبِ القدرةِ والإرادةِ والعلمِ والحياةِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱتِّصَافِهِ تَعَالَىٰ بِٱلْقُدْرَةِ وَٱلإِرَادَةِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلْحَيَاةِ: فَلأَنَّهُ لَوِ ٱنْـتَفَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا لَمَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنَ ٱلْحَوَادِثِ.

قد تقدَّمَ لكَ : أنَّ تأثيرَ القدرةِ الأزليَّةِ موقوفٌ علىٰ إرادتِهِ تعالىٰ لذلكَ الأثرِ ، وإرادتَهُ تعالىٰ لذلكَ الأثرِ موقوفةٌ على العلمِ بهِ ، والاتِّصافَ بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ موقوفٌ على اتصافِهِ بالحياةِ ؛ إذْ هي شرطٌ فيها ، ووجودُ المشروطِ بدونِ شرطِهِ مستحيلٌ .

فإذاً ؛ وجودُ حادثٍ أيَّ حادثٍ كانَ موقوفٌ على اتِّصافِ مُحدِثِهِ بهٰذهِ الصفاتِ الأربعِ ، فلوِ انتفىٰ شيءٌ منها(١) لَمَا وُجِدَ شيءٌ مِنَ الحوادثِ ؛ للزومِ عجزِهِ حينَئذٍ .

وبهٰذا يتبيَّنُ : وجوبُ اتصافِهِ تعالىٰ بهٰذهِ الصفاتِ في الأزلِ ؛ إذْ لو كانَتْ حادثةً لزمَ توقُّفُ إحداثِها على اتِّصافِهِ تعالىٰ بأمثالِها قبلَها ، ثمَّ ننقلُ الكلامَ إلىٰ أمثالِها ، ويلزمُ التسلسلُ ، وهو محالٌ ، فيكونُ وجودُ تلكَ الصفاتِ علىٰ هٰذا التقديرِ محالاً ، وذلكَ مؤدٍّ إلى المحذورِ

---

(١) أي : بأن انتفىٰ وجودها ، أو قدمها ، أو عموم تعلقها ؛ لأن هٰذا الدليل ينتج هٰذه المطالب الثلاثة علىٰ ما سيأتي . انتهىٰ شيخنا . « جمل » (ق٤٣) .

المذكورِ ؛ وهو ألا يُوجَدَ شيءٌ مِنَ الحوادثِ .

وبهـٰذا أيضاً تعرفُ : وجوبَ عمومِ التعلُّقِ للمتعلِّقِ منها ؛ كالعلمِ والقدرةِ والإرادةِ ؛ إذْ لوِ اختصَّتْ ببعضِ المتعلَّقاتِ دونَ بعضٍ لزمَ الافتقارُ إلى المخصِّصِ ، فتكونُ حادثةً ، ولا يمكنُ أنْ يكونَ المحدِثُ لها غيرَ الموصوفِ بها ؛ لما عرفْتَ مِنْ وجوبِ الوحدانيَّةِ لهُ تعالىٰ ، وانفرادِهِ بالاختراعِ ، وإحداثُهُ تعالىٰ لها فرعُ الاتِّصافِ بأمثالِها قبلَها ، ثم ننقلُ الكلامَ إلىٰ تلكَ الأمثالِ ، ويجيءُ ما سبقَ[1] .

فقد بانَ لكَ بهـٰذا : أنَّ البرهانَ الذي ذكرناهُ في أصلِ العقيدةِ يُؤخَذُ منهُ ثلاثةُ أمورٍ : وجودُ هـٰذهِ الصفاتِ ، ووجوبُ القدمِ والبقاءِ لها ، ووجوبُ عمومِ التعلُّقِ للمتعلِّقِ منها ، وقد أشارَ في أصلِ العقيدةِ إلىٰ أنَّ البرهانَ الذي ذكرَهُ هو لهـٰذهِ المطالبِ الثلاثةِ ؛ أمَّا الوجودُ والوجوبُ فأشارَ إليهما بقولِهِ : (وجوبِ اتصافِهِ تعالىٰ بالقدرةِ والإرادةِ) إذِ الوجوبُ لهـٰذهِ الصفاتِ يستلزمُ وجودَها ، وأشارَ إلى المطلبِ الثالثِ ـ وهو عمومُ التعلُّقِ للمتعلِّقِ منها ـ بالألفِ واللامِ التي أدخلَها علىٰ صفةِ القدرةِ وما بعدَها مِنَ الصفاتِ ؛ فإنَّها للعهدِ ، والمعهودُ الصفاتُ التي فسَّرَ تعلُّقَها فيما سبقَ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

(١) أي : من التسلسل ، وأنه محال ، وأن ما أدَّىٰ إليه من عدم عموم التعلق محال ، وأن ذلك المحال يؤدي إلىٰ عدم وجود شيء من الحوادث . « دسوقي » (ص١٩٦) .

[برهانُ وجوبِ السمعِ والبصرِ والكلامِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلسَّمْعِ لَهُ تَعَالَىٰ وَٱلْبَصَرِ وَٱلْكَلامِ[1] : فَٱلْكِتَابُ وَٱلسُّنَّةُ وَٱلإِجْمَاعُ[2] .

وَأَيْضاً : لَوْ لَمْ يَتَّصِفْ بِهَا لَزِمَ أَنْ يَتَّصِفَ بِأَضْدَادِهَا ، وَهِيَ نَقَائِصُ ، وَٱلنَّقْصُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ مُحَالٌ .

هـٰذهِ الثلاثةُ لمَّا لم تتوقَّفْ علىٰ معرفتِها دَلالةُ المعجزةِ علىٰ صدْقِ الرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ . . صحَّ أنْ يُستنَدَ في معرفةِ اتصافِهِ تعالىٰ بها إلىٰ قولِ الرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، والدليلُ الشرعيُّ فيها أقوىٰ مِنَ الدليلِ العقليِّ ، ولهـٰذا بدأَ بهِ في أصلِ العقيدةِ .

وقولُهُ في الدليلِ الثاني العقليِّ : (**والنقصُ عليهِ تعالىٰ محالٌ**) يعني : لأنَّهُ يستلزمُ أنْ يَحتاجَ تعالىٰ حينئذٍ إلىٰ مَنْ يكمِّلُهُ ؛ بأنْ يدفعَ عنهُ ذلكَ النقصَ ، ويخلقَ لهُ الكمالَ ، وذلكَ يستلزمُ حدوثَهُ وافتقارَهُ إلىٰ إلـٰهٍ آخرَ ، كيفَ وقد تقرَّرَ بالدليلِ وجوبُ الوحدانيَّةِ لهُ تعالىٰ ؟!

وأيضاً : لوِ اتَّصفَ تعالىٰ بتلكَ النقائصِ لزمَ أنْ يكونَ بعضُ

---

(١) إطلاق البرهان هنا على الدليل مجازٌ ؛ لعدم تركبه ، ولكونه نقلياً .

(٢) مع ضميمة فهم أهل اللغة . « دسوقي » (ص١٩٩) .

مخلوقاتِهِ أكملَ منهُ تعالىٰ عن ذلكَ ؛ لسلامةِ كثيرٍ مِنَ المخلوقاتِ مِنْ تلكَ النقائصِ ، والمخلوقُ يستحيلُ أنْ يكونَ أكملَ مِنْ خالقِهِ .

وهـٰذا الدليلُ العقليُّ وإنْ كانَ لا يَسلَمُ مِنَ الاعتراضِ فذكرُهُ علىٰ سبيلِ التبعيَّةِ والتقويةِ لما هو مستقلٌّ بنفسِهِ ولا يَرِدُ عليهِ شيءٌ[1] ـ وهو الدليلُ النقليُّ ـ حسنٌ ، وقد لوَّحْنا إلىٰ ذلكَ بتأخيرِهِ في أصلِ العقيدةِ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

(١) وإن ورد فله جوابٌ وجيه .

وَأَمَّا بُرْهَانُ كَوْنِ فِعْلِ ٱلْمُمْكِنَاتِ أَوْ تَرْكِهَا جَائِزاً فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ : فَلأَنَّهُ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً أَوِ ٱسْتَحَالَ عَقْلاً . . لانقَلَبَ ٱلْمُمْكِنُ وَاجِباً أَوْ مُسْتَحِيلاً ، وَذَلِكَ لا يُعْقَلُ .

لا شكَّ أنَّ الممكنَ في اصطلاحِ المتكلِّمينَ مرادفٌ للجائزِ ، فيكونُ معناهُ : هو الذي يصحُّ في العقلِ وجودُهُ وعدمُهُ ؛ فإذاً لو وجبَ وجودُهُ عقلاً أوِ استحالَ عقلاً . . لزمَ قلْبُ الحقائقِ ، وذلكَ لا يُعقَلُ .

وأيضاً : فالمعتزلةُ إنَّما يوجبونَ مِنَ الممكناتِ على اللهِ تعالىٰ فعلَ الصلاحِ والأصلحِ للخلْقِ ، والمشاهدةُ والشرعُ يقضيانِ بفسادِ قولِهم في ذلكَ[1] ، كما أشرنا إليهِ فيما سبقَ عندَ شرحِ قولِنا في أصلِ

(١) **أما قضاء المشاهدة بفساد قولهم** : فلوقوع المحن للناس من فقر ومرض ؛ فإن هٰذه لا مصلحة فيها ، **وأما قضاء الشرع بذلك** : فلأنه أتىٰ بتكليف العباد ، وهو مشتمل على المشاقِّ والمكاره ، وليس فيه مصلحة بحسب الظاهر ، فإن قالوا : إن المحن والتكليف فيهما مصلحة باعتبار ما يترتب عليهما من الثواب . . قلنا لهم : الله قادر علىٰ إيصال الثواب بدون التكليف والمحن . « دسوقي » (ص٢٠١) .

العقيدةِ : (وأمَّا الجائزُ في حقِّهِ تعالىٰ)[1] ، ولو وجبَ فعلُ الصلاحِ والأصلحِ على اللهِ تعالىٰ كما تقولُهُ المعتزلةُ . . لهداهمُ اللهُ تعالىٰ للصوابِ في عقائدِهم ، ولَمَا تركَهم في عماهم يتردَّدونَ ، وهوسُهم في هـٰذا الفصلِ ظاهرٌ لكلِّ عاقلٍ ، فلا نطيلُ بهِ .

* * *

(١) انظر (ص ٢٠٤) .

الكلامُ على النّبوّات

الكلام على الرّسل فيما يجب لهم ويستحيل عليهم ويجوز في حقّهم

وَأَمَّا ٱلرُّسُلُ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : فَيَجِبُ فِي حَقِّهِمُ : ٱلصِّدْقُ ، وَٱلأَمَانَةُ ، وَتَبْلِيغُ مَا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ .

وَيَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : أَضْدَادُ هَـٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ ؛ وَهِيَ : ٱلْكَذِبُ ، وَٱلْخِيَانَةُ بِفِعْلِ شَيْءٍ مِمَّا نُهِيَ عَنْهُ نَهْيَ تَحْرِيمٍ أَوْ كَرَاهَةٍ ، وَكِتْمَانُ شَيْءٍ مِمَّا أُمِرُوا بِتَبْلِيغِهِ لِلْخَلْقِ .

وَيَجُوزُ فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : مَا هُوَ مِنَ ٱلأَعْرَاضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ٱلَّتِي لا تُؤَدِّي إِلَىٰ نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ ٱلْعَلِيَّةِ ؛ كَٱلْمَرَضِ وَنَحْوِهِ .

اعلمْ : أنَّ الرسولَ : هو إنسانٌ بعثَهُ اللهُ تعالىٰ للخلْقِ ليبلِّغَهم ما أُوحيَ إليهِ ، وقد يختصُّ بمَنْ لهُ كتابٌ ، أو شريعةٌ ، أو نسخٌ لبعضِ أحكامِ الشريعةِ السابقةِ[١] .

---

(١) ظاهر العطف بـ (أو) يقتضي المغايرة ، فهي ثلاثة أقوال ، لـٰكن يشكل في الثاني والثالث ؛ إذ بينهما عموم وخصوص مطلق ؛ فكل من له نسخ له =

وهٰذا البعثُ مِنَ الجائزاتِ عندَ أهلِ السنَّةِ ، وأوجبَتْهُ المعتزلةُ علىٰ أصلِهمُ الفاسدِ في وجوبِ مراعاةِ الصلاحِ والأصلحِ ، وأحالَتْهُ البراهمةُ لذلكَ أيضاً[١] ، ولا خفاءَ في هوسِهم وكفرِهم[٢] .

والدليلُ لأهلِ السنَّةِ علىٰ أنَّ بعْثَ اللهِ تعالىٰ للرُّسُلِ جائزٌ لا واجبٌ : أنَّ البعثَ فعلٌ مِنْ أفعالِ اللهِ تعالىٰ ، وقد علمْتَ أنَّهُ جلَّ وعزَّ لا يجبُ عليهِ فعلٌ وإنْ كانَ صلاحاً أو أصلحَ ، ولا يتحتَّمُ عليهِ تركٌ ، وكلامُنا في أصلِ العقيدةِ واضحٌ لا يحتاجُ إلىٰ شرحٍ[٣] .

= شريعة ، ولا عكس ، وقد يجاب بأن (أو) بمعنى الواو كما يقوله الكوفيون ومن تبعهم . مفادٌ « ياسين » (ق٢٤٥) .

(١) الإشارة راجعة للأصل الفاسد ، لا بقيد كونه مراعاة الأصلح ؛ لأنهم لا يعتمدون علىٰ ذلك ، بل على الحسن والقبح العقليين ، وذلك أصل باطل عندنا . « ياسين » (ق٢٤٥) .

(٢) الأمران راجعان للبراهمة ، ويحتمل أن الهوس راجع للمعتزلة ، والكفر راجع للبراهمة . « دسوقي » (ص٢٠٤) .

(٣) **تنبيهٌ** : **قد يُقال** : ثَمَّ شروط يذكرها المتكلمون فيما يجب للرسل عليهم الصلاة والسلام ؛ كالفطانة مثلاً ، فلم لم يتعرَّض لها الإمام المصنف ؟

والجواب : قال العلامة ياسين في « حاشيته » (ق٢٣٦) : (**واعلم** : أن ما ذكره شروط عقلية للرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأما الشروط الشرعية والعادية : فقال السعد : من شروط النبوة : الذكورة ، وكمال العقل ، والذكاء ، والفطنة ، وقوة الرأي ولو في الصبا ؛ كيحيىٰ وعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام ، والسلامة عن كل ما ينفِّر عن الاتباع ؛ كزنا الآباء وعهر الأمهات ، والغلظة والفظاظة ، والعيوب المنفرة ؛ كالبرص والجذام ، والأمور المخلة بالمروءة ؛ كالأكل على الطريق ، والحرف الدنيئة ؛ كالحجامة ، وكل ما يخلُّ بحكمة البعثة من أداء الشرائع وقبول الأمة . انتهىٰ) .

[برهانُ وجوبِ الصدقِ]

أَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ صِدْقِهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : فَلأَنَّهُمْ لَوْ لَمْ يَصْدُقُوا لَلَزِمَ ٱلْكَذِبُ فِي خَبَرِهِ تَعَالَىٰ ؛ لِتَصْدِيقِهِ تَعَالَىٰ لَهُمْ بِٱلْمُعْجِزَاتِ ٱلنَّازِلَةِ مَنْزِلَةَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُ عَنِّي .

هـٰذا برهانُ صدقِ الرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ في دعواهمُ الرسالةَ ، وفيما يبلِّغونَهُ بعدَ ذلكَ إلى الخلْقِ .

وحاصلُ هـٰذا البرهانِ : أنَّ المعجزاتِ التي خلقَها اللهُ تعالىٰ علىٰ أيدي الرُّسُلِ ـ وهي أمرٌ خارقٌ للعادةِ ، مقرونٌ بالتحدِّي ، معَ عدمِ المعارضةِ[1] ـ تتنزَّلُ مِنْ مولانا جلَّ وعزَّ منزلةَ قولِهِ جلَّ وعزَّ : صدقَ عبدي في كلِّ ما يبلِّغُ عنِّي ، فلو جازَ الكذبُ على الرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ لجازَ الكذبُ عليهِ تعالىٰ[2] ؛ إذْ تصديقُ الكاذبِ كذبٌ ،

---

(١) قوله : (**مقرون بالتحدي**) أي : بدعوى الرسول : إن هـٰذا الأمر الخارق علامة علىٰ صدقي ، وقوله : (**مع عدم المعارضة**) أي : مع عدم القدرة على المعارضة والإتيان بمثله ، وقوله الآتي : (**تتنزل**) خبر (أن المعجزة) ، وجملة (**وهي أمرٌ. . .**) جملة معترضة . « دسوقي » (ص٢٠٥) .

(٢) والكذب على الله تعالىٰ مستحيل ؛ إذ كلامه نفسيٌّ ، والنفسي لا يتصور عقلاً=

والكذبُ على اللهِ تعالىٰ محالٌ ؛ إذْ خبرُهُ تعالىٰ علىٰ وَفْقِ علمِهِ ، والخبرُ علىٰ وَفْقِ العلمِ لا يكونُ إلا صِدْقاً ، فخبرُهُ تعالىٰ لا يكونُ إلا صدقاً .

وقولُنا في تعريفِ المعجزةِ : (أمرٌ) أحسنُ مِنْ قولِ بعضِهم : (فعلٌ)[1] ؛ لأنَّ الأمرَ يتناولُ الفعلَ ؛ كانفجارِ الماءِ مثلاً مِنْ بينِ الأصابعِ ، وعدمَ الفعلِ ؛ كعدمِ إحراقِ النارِ مثلاً لإبراهيمَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ .

واحترزنا بقيدِ (المقارنةِ للتحدِّي) عن كراماتِ الأولياءِ ، والعلاماتِ الإرهاصيَّةِ التي تتقدَّمُ بعثةَ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ تأسيساً لها ، وعن أنْ يتَّخذَ الكاذبُ معجزةَ مَنْ مضىٰ حجَّةً لنفسِهِ .

واحترزنا بقيدِ (عدمِ المعارضةِ) عنِ السحرِ والشعوذةِ[2] .

= فيه الكذب ، حتىٰ في الحادث ، غاية ما في الحادث تقدير أنه يكذب بلسانه ؛ وهو صدق ، وأيضاً : لأن كلامه تعالىٰ قديم ، فيلزم عدم الصدق أو اجتماع الضدين ، وانظر « شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص ٤٥٩) .

(١) وعبارة الشيخ الأشعري : (هي فعل من الله تعالىٰ ، أو قائم مقام الفعل ، يقصد بمثله التصديق) ، وانظر « شرح المقاصد » (٢/ ١٧٦) .

(٢) ويخرجان أيضاً بقيد (خرق العادة) لأنهما من الأمور الاعتيادية ، غاية ما فيهما : أن أسبابهما تخفىٰ عن كثير من الناس ، ولـٰكن من تعلمها أمكنته المعارضة ، وإلىٰ هـٰذا الإشارة بقوله تعالىٰ : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ؛ إذ خرق العادة على الحقيقة لا يكون بالتعلم ، هـٰذا ما مشىٰ عليه الإمام المصنف في « شرح العقيدة الكبرىٰ » (ص٥٥١) تبعاً للإمام القرافي . =

ومعنى **التحدِّي** : دعوى الخارقِ دليلاً على الصدقِ ؛ إمَّا بلسانِ الحالِ ، وإمَّا بلسانِ المقالِ .

وقد ضربَ العلماءُ لدعوى الرسولِ الرسالةَ وطلبِهِ للمعجزةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ دليلاً علىٰ صدقِهِ . . مثالاً لتتضحَ بهِ دَلالتُها علىٰ صدْقِ الرُّسُلِ ، ويُعلَمَ ذلكَ على الضرورةِ ؛ فقالوا :

مثالُ ذلكَ : ما إذا قامَ رجلٌ في مجلسِ ملكٍ بمرأىً منهُ ومسمعٍ بحضورِ جماعةٍ مِنَ الناسِ ، وادَّعىٰ أنَّهُ رسولُ هـٰذا الملكِ إليهم ، فطالبوهُ بالحُجَّةِ ، فقالَ : هي أنْ يخالفَ الملكُ عادتَهُ ويقومَ عن سريرِهِ ويقعدَ ثلاثَ مرَّاتٍ مثلاً[1] ، ففعلَ ، فلا شكَّ أنَّ هـٰذا الفعلَ مِنَ الملكِ علىٰ سبيلِ الإجابةِ للرسولِ تصديقٌ لهُ ، ومفيدٌ للعلمِ الضروريِّ بصدقِهِ بلا ارتيابٍ ، ونازلٌ منزلةَ قولِهِ : صدقَ هـٰذا الإنسانُ في كلِّ ما يبلِّغُ عنِّي[2] .

ولا فرقَ في حصولِ العلمِ الضروريِّ بصدْقِ ذلكَ الرسولِ بينَ مَنْ شاهدَ ذلكَ الفعلَ مِنَ الملكِ ، ومَنْ لم يشاهدْهُ إلا أنَّهُ بلغَهُ بالتواترِ خبرُ ذلكَ الفعلِ ، ولا شكَّ في مطابقةِ هـٰذا المثالِ لحالِ الرُّسُلِ عليهمُ

= ثم **الشعوذة** ـ ويقال : الشعبذة ـ : خفة في اليد تُري الشيء علىٰ خلاف ما هو عليه ، وأما **السحر** فإنه وإن وقع فيه قلبٌ للصورة ، وأثبتنا له حقيقةً ؛ إلا أنه يكون كما سبق بسبب عادي يمكن تعلمه .

(١) قيد الثلاث لدفع شبهة القيام لعارضٍ ، وإلا فهي متحققة بالمرة .

(٢) انظر المثال في « الإرشاد » (ص٣٢٥) ، و« شرح العقيدة الوسطىٰ » (ص٤٤٢) .

الصلاةُ والسلامُ ، فلا يرتابُ في صدقِهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ إلا مَنْ طبعَ اللهُ علىٰ قلبِهِ والعياذُ باللهِ تعالىٰ .

نسألُهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ثباتَ الإيمانِ ، والوفاةَ علىٰ أكملِ حالاتِهِ ، بلا محنةٍ دنيا وأخرىٰ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

[برهانُ وجوبِ الأمانةِ والتبليغِ لما أُمِرُوا بتبليغِهِ]

وَأَمَّا بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلْأَمَانَةِ لَهُمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : فَلأَنَّهُمْ لَوْ خَانُوا بِفِعْلِ مُحَرَّمٍ أَوْ مَكْرُوهٍ لَانْقَلَبَ ٱلْمُحَرَّمُ أَوِ ٱلْمَكْرُوهُ طَاعَةً فِي حَقِّهِمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ؛ لِأَنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَدْ أَمَرَنَا بِٱلِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي أَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ ، وَلا يَأْمُرُ تَعَالَىٰ بِمُحَرَّمٍ وَلا مَكْرُوهٍ ، وَهَـٰذَا بِعَيْنِهِ هُوَ بُرْهَانُ وُجُوبِ ٱلثَّالِثِ .

لا شكَّ أنَّ الرُّسُلَ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ أُمِرنا بالاقتداءِ بهم في أقوالِهم وأفعالِهم ، إلا ما ثبتَ اختصاصُهم بهِ عن أممِهم ، قالَ اللهُ تعالىٰ في حقِّ نبيِّنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٨] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف : ١٥٦ ـ ١٥٧] ، إلىٰ غيرِ ذلكَ ممَّا يطولُ تتبُّعُهُ .

وقد عُلِمَ مِنْ دينِ الصحابةِ ضرورةً اتباعُهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ مِنْ

غيرِ توقُّفٍ ولا نظرٍ أصلاً في جميعِ أقوالِهِ وأفعالِهِ ، إلا ما قامَ فيهِ دليلٌ على اختصاصِهِ بهِ ؛ فقد خلعوا نعالَهم لمَّا خلعَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ نعلَهُ[1] ، ونزعوا خواتمَهم لمَّا نزعَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ خاتمَهُ[2] ، وحسرَ أبو بكرٍ وعمرُ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهما عن ركبتيهما في قصَّةِ جلوسِهم على البئرِ كما فعلَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ[3] ، وكادَ يقتلُ بعضُهم بعضاً مِنْ شدَّةِ الازدحامِ على الحِلاقِ عندَما رأَوهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ يحلقُ رأسَهُ وحلَّ مِنْ عمرتِهِ في قضيَّةِ الحديبيةِ[4] ، وكانوا يبحثونَ البحثَ العظيمَ عن هيئةِ جلوسِهِ ونومِهِ وكيفيةِ أكلِهِ وغيرِ ذلكَ ؛ ليقتدوا بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[5] .

(١) رواه أبو داود (٦٥٠) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٥٨٦٧) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، ومسلم (٢٠٩٣) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٤) ، ومسلم (٢٤٠٣) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وهو حديث بئر أريس .

(٤) رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث سيدنا المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، ولـٰكن فيه : (حتىٰ كاد يقتل بعضهم بعضاً غمّاً) ، وفي الحديث نفسه ذكر أنهم كادوا يقتتلون علىٰ وضوئه صلى الله عليه وسلم ، وفيه أيضاً : (وإذا أمرهم ابتدروا أمره) وهو من كلام سيدنا عروة بن مسعود رضي الله عنه قبل أن يسلم ، **والحِلاق** : هو مصدر حَلَقَ ، فهو بتخفيف اللام وكسر الحاء قبلها .

(٥) حتىٰ أنزلوا أنفسهم رضي الله عنهم منه عليه الصلاة والسلام بمنزلة الأطفال في حِجْر أبيهم ؛ هو يرعاهم ويكلؤهم ، وهم يتعلمون منه كلَّ شيء ، حتىٰ تعلموا منه صلى الله عليه وسلم هيئة الحدث ؛ فقد روىٰ مسلم (٢٦٢) من حديث سيدنا سلمان رضي الله عنه قال : قال لنا المشركون : إني أرىٰ صاحبكم يعلمكم حتىٰ يعلمكم الخِرَاءة ، فقال : أجل ؛ إنه نهانا أن يستنجي أحدنا =

وقالَ لهم صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا أرادوا التبتُّلَ والانقطاعَ للعبادةِ ليلاً ونهاراً : « أَمَّا أَنَا فَآكُلُ وَأَنَامُ وَأَتَزَوَّجُ ٱلنِّسَاءَ ـ أو كلاماً يقربُ مِنْ هٰذا ـ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي »[١] ، فانظرْ كيفَ ردَّهم بفعلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الذي لا معدلَ عنِ الاقتداءِ بهِ . . عمَّا قصدوهُ ، معَ أنَّهُ يظهرُ قبلَ التأمُّلِ أنَّهُ مِنْ أكبرِ الطاعاتِ وجهادِ النفسِ .

وقد ثبتَ أنَّ ابنَ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما لمَّا سألَهُ السائلُ عن صبغِهِ بالصفرةِ ، ولبسِهِ النعالَ السِّبتيَّةَ ، وكونِهِ لا يُحرِمُ إذا أهلَّ هلالُ ذي الحِجَّةِ ، وإنَّما يُحرِمُ يومَ الترويةِ ، وكونِهِ إنَّما يلمسُ الركنينِ اليمانيينِ . . فأجابَ بأنَّهُ استندَ في ذلكَ كلِّهِ لفعلِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[٢] .

وقد أدارَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ راحلتَهُ في موضعٍ ، واعتلَّ لذلكَ بأنَّهُ كذلكَ رأى النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يفعلُ[٣] .

وانظرْ قولَ عمرَ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ للحجرِ الأسودِ : (لقد علمتُ أنَّكَ حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفعُ ، ولولا أنِّي رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

= بيمينه ، أو يستقبل القبلة . . . الحديث .

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (١٦٦) ، ومسلم (١١٨٧) ، **والسائل له** : هو عبيد بن جريج التيمي .

(٣) انظر « خلاصة الوفا » للسمهودي (٢/ ٤٧٧) ، وفي هامش (أ) عند قوله : (**واعتل**) : (أي : استند) .

وسلَّمَ قبَّلَكَ . . ما قبَّلْتُكَ)[1] .

وقد ثبتَ عن بعضِ السلفِ ـ وأظنُّهُ أحمدَ بنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهُ ـ أنَّهُ كانَ لا يأكلُ البطِّيخَ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : يمنعُني مِنْ أكلِهِ أنَّهُ لم يثبتْ عندي كيفَ أكلَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[2] .

وبالجملةِ : فالاتباعُ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جميعِ أقوالِهِ وأفعالِهِ إلا ما اختُصَّ بهِ ، ورؤيةُ الكمالِ فيها جملةً وتفصيلاً بلا تردُّدٍ ولا توقُّفٍ أصلاً . . ممَّا عُلِمَ مِنْ دينِ السلفِ الصالحِ ضرورةً ، ولا شكَّ أنَّ هٰذا دليلٌ قطعيٌّ إجماعيٌّ علىٰ عصمتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وفي معناهُ عصمةُ سائرِ الرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ مِنْ جميعِ المعاصي والمكروهاتِ ، وأنَّ أفعالَهم صلواتُ اللهِ وسلامُهُ علىٰ جميعِهم دائرةٌ بينَ الواجبِ والمندوبِ والمباحِ ، وهٰذا بحسَبِ النظرِ إلى الفعلِ مِنْ حيثُ ذاتُهُ ، وأمَّا إذا نُظِرَ إليهِ بحسَبِ عوارضِهِ فالحقُّ أنَّ

---

(١) رواه البخاري (١٥٩٧) ، ومسلم (١٢٧٠) .

(٢) كذا قال العارف بالله أحمد الرفاعي في « البرهان المؤيد » (ص١٦٠) ، وقال حجة الإسلام في « الأربعين » (ص١٩٠) : (كان محمد بن أسلم لا يأكل البطيخ ؛ لأنه لم ينقل إليه كيفية أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له) .

وقد رویٰ أبو داود (٣٨٣٦) ، والترمذي (١٨٤٣) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (٦٦٩٣) من حديث الصديقة عائشة رضي الله عنها : أنه صلى الله عليه وسلم أكل البطيخ بالرطب ، ووصف العلامة ياسين في « حاشيته » (ق٢٥٥) نقلاً عن بعض المشايخ : (كان صلى الله عليه وسلم يأكل القطعة منه من ناحية اليمين ، حتىٰ يصل النصف ، فيقلبها إلىٰ أن يصل إلى الموضع الذي وصل إليه ، ولا يأكل القشر) .

أفعالَهم دائرةٌ بينَ الواجبِ والمندوبِ لا غيرُ ؛ لأنَّ المباحَ لا يقعُ منهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ بمقتضى الشهوةِ ونحوِها كما يقعُ مِنْ غيرِهم ، بل لا يقعُ منهم إلا مصاحِباً لنيَّةٍ يصيرُ بها قُربةً ، وأقلُّ ذلكَ أنْ يقصدوا بهِ التشريعَ للغيرِ ، وذلكَ مِنْ بابِ التعليمِ ، وناهيكَ بمنزلةِ قُربةِ التعليمِ وعظيمِ فضلِها .

وإذا كانَ أدنى الأولياءِ يصلُ إلىٰ رتبةٍ تصيرُ معَها مباحاتُهُ كلُّها طاعاتٍ بحسْنِ النيَّةِ في تناولِها . . فما بالُكَ بِخيرةِ اللهِ تعالىٰ مِنْ خلقِهِ ؛ وهم أنبياؤُهُ ورُسُلُهُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ؟! لا سيَّما أفضلِ الخلْقِ وأشرفِ العالمينَ جملةً وتفصيلاً بإجماعِ مَنْ يُعتدُّ بإجماعِهِ[1] ؛ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ولأجلِ انحصارِ أفعالِهم في الواجبِ والمندوبِ علىٰ هٰذا الوجهِ الذي ذكرناهُ . . اقتصرنا في أصلِ العقيدةِ علىٰ ما يقتضي الاختصاصَ بهما ؛ وهو الطاعةُ ، وزدنا التقييدَ بقولِنا : (في حقِّهم) إشارةً إلىٰ أنَّ بعضَ أفعالِهم وإنْ كانَ يُطلَقُ عليها الإباحةُ بالنظرِ إلى الفعلِ في نفسِهِ ،

---

(١) **أراد بالجملة** : أنه صلى الله عليه وسلم بمفرده أفضل من جملة من سواه مع اجتماعهم ، **وحاصله** : أنك إن قابلت بين النبي وبين هيئة المخلوقات الاجتماعية ، وقابلت بينه وبين كل أحد من المخلوقات . . تجد النبي أفضل في الحالتين . « دسوقي » (ص٢١٢) .

وقوله : (**من يعتدُّ بإجماعه**) تعريض بالزمخشري وأمثاله ، وأنهم ليسوا ممن يعتدُّ بخلافه في هٰذه المسألة التي هي في غاية الظهور . « ياسين » (ق٢٥٦) .

وبالنظرِ إلىٰ وجودِهِ مِنْ عامَّةِ المؤمنينَ . . فهو في حقِّهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ـ لكمالِ معرفتِهم باللهِ تعالىٰ ، وسلامتِهم مِنْ دواعي النفسِ والهوىٰ ، وأمنِهم مِنْ طوارقِ الفَتَراتِ والمَلَلِ يقظةً ونوماً ، وتأييدِهم بعصمةِ اللهِ تعالىٰ في كلِّ حالٍ ـ **لا يقعُ منهم إلا طاعةً يثابونَ عليها** ، صلَّى اللهُ علىٰ نبيِّنا وعلىٰ جميعِ إخوانِهِ مِنَ النبيِّينَ والمرسلينَ .

ولتكنْ أيُّها المؤمنُ علىٰ حذرٍ عظيمٍ ووَجَلٍ شديدٍ علىٰ إيمانِك أنْ يُسلَبَ منكَ ؛ بأنْ تصغيَ بأُذُنِكَ أو عقلِكَ إلىٰ خرائفَ ينقلُها كَذَبَةُ المؤرِّخينَ(١) ، وتبعَهم في بعضِها بعضُ جهلةِ المفسِّرينَ(٢) ، فقد سمعتَ الحقَّ الذي لا غبارَ عليهِ في حقِّهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، فشُدَّ يدَكَ عليهِ ، وانبذْ كلَّ ما سواهُ ، واللهُ المستعانُ .

قولُهُ : (**وهـٰذا بعينِهِ هو برهانُ وجوبِ الثالثِ**) مرادُهُ بالثالثِ : تبليغُهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ما أُمِروا بتبليغِهِ ، ولا شكَّ أنَّهم لو وقعَ منهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ خلافُ ذلكَ لكُنَّا مأمورينَ بأنْ نقتديَ بهم في ذلكَ ، فنكتمَ نحنُ أيضاً بعضَ ما أوجبَ اللهُ تعالىٰ علينا تبليغَهُ مِنَ

---

(١) **خرائف** : جمع خُرافة ؛ كذُؤابة وذوائب ، وخرافةُ : علم علىٰ رجل يحدِّث بالعجائب والغرائب ، ثم صار علماً بالغلبة علىٰ كل غريبة يبعدُ تصديقُها .

(٢) كنسبة المعاصي للأنبياء لظواهر بعض النصوص ؛ كخبر سيدنا آدم عليه السلام في خروجه من الجنة ، وخبر سيدنا داود عليه السلام مع أوريا ، وخبر سيدنا يونس في هجره لقومه ، وخبر الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم مع سيدنا زيد مولاه ، وانظر تفصيلها ورفعَ شُبَهها في « شرح صغرى الصغرىٰ » (ص٢٠٨) .

العلمِ النافعِ لمَنِ اضطُرَّ إليهِ ، كيفَ وهو محرَّمٌ ملعونٌ فاعلُهُ ؟! قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٩] .

وكيفَ يُتصوَّرُ وقوعُ ذلكَ منهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ومولانا جلَّ وعزَّ يقولُ لسيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [المائدة : ٦٧] أي : إنْ لم تبلِّغْ بعضَ ما أُمِرْتَ بتبليغِهِ مِنَ الرسالةِ(١) . . فحكمُكَ حكمُ مَنْ لم يبلِّغْ شيئاً منها ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ .

فانظرْ هـٰذا التخويفَ العظيمَ لأشرفِ خلقِهِ وأكملِهم معرفةً بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكانَ خوفُهُ علىٰ قدْرِ معرفتِهِ ، ولهـٰذا كانَ يُسمَعُ لصدرِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أزيزٌ ـ أي : غليانٌ ـ كأزيزِ المرجَلِ ؛ مِنْ خوفِ اللهِ تعالىٰ(٢) .

---

(١) إنما تأوّل تبليغ ما أنزل بالبعض ؛ لكيلا يكون الجواب عين الشرط ؛ إذ لا يقال : إن لم يأتِ زيدٌ لم يأتِ ؛ فكأنه قال : إن لم تبلِّغ ما أنزل إليك كاملاً ؛ بأن كتمت بعضاً منه . . فما بلغت رسالة الله تعالىٰ أصلاً .
وقال ابن المنير في « الانتصاف » (٢/٢٦٩) وقد جعل الجواب والشرط متحدين في المعنىٰ متخالفين في اللفظ : (وهـٰذه المغايرة اللفظية وإن كان المعنىٰ واحداً . أحسنُ رونقاً وأظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء ، وهـٰذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدأ بلفظ الخبر ـ في رجزه المشهور : أنا أبو النجم وشعري شعري ـ وحق له أن تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز ، فلا يعاب عليه في ذلك) .
(٢) رواه أبو داود (٩٠٤) ، والنسائي (٣/١٣) من حديث سيدنا عبد الله بن =

وقد شهدَ مولانا جلَّ وعزَّ لسيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بكمالِ التبليغِ ، فقالَ تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(1) [المائدة : ٣] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ [الذاريات : ٥٤] ، والآيُ في ذلكَ كثيرةٌ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

= الشخير رضي الله عنه .

(١) في الآية إشارة إلى الفرق بين الكمال والتمام ؛ فإن التمام لإزالة نقص الأصل ، والإكمال لإزالة نقص العوارض مع تمام الأصل ، ومن ثم قال : ﴿ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة : ١٩٦] ؛ لأن التمام في العدد قد علم ، وإنما بقي احتمال نقص بعض صفاته . « جمل » (ق٤٧) .

[برهانُ جوازِ الأعراضِ البشريةِ عليهم]

وَأَمَّا دَلِيلُ جَوَازِ ٱلْأَعْرَاضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ عَلَيْهِمْ ـ صَلَوَاتُ ٱللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ ـ : فَمُشَاهَدَةُ وُقُوعِهَا بِهِمْ ؛ إِمَّا لِتَعْظِيمِ أَجْرِهِمْ ، أَوْ لِلتَّشْرِيعِ ، أَوْ لِلتَّسَلِّي عَنِ ٱلدُّنْيَا ، وَٱلتَّنَبُّهِ لِخِسَّةِ قَدْرِهَا عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَعَدَمِ رِضَاهُ تَعَالَىٰ بِهَا دَارَ جَزَاءٍ لِأَوْلِيَائِهِ[1] ؛ بِٱعْتِبَارِ أَحْوَالِهِمْ فِيهَا عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ .

يعني : أنَّ الأعراضَ البشريَّةَ لا يقعُ منها بالأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ إلا ما لا يُخِلُّ بشيءٍ مِنْ مقاماتِهم ، ولا يقدحُ بشيءٍ مِنْ مراتبِهم[2] .

فالمرضُ مثلاً وإنْ كانَ يقعُ بهم فحدُّهُ منهمُ البدنُ الظاهرُ ، أمَّا قلوبُهم باعتبارِ ما فيها مِنَ المعارفِ والأنوارِ التي لا يعلمُ قدرَها إلا مولانا جلَّ وعزَّ الذي مَنَّ عليهم بها . فلا يُخِلُّ المرضُ ونحوُهُ بقُلامةِ

---

(١) كذا في جميع النسخ ، والمعنىٰ : وعدم رضاه تعالىٰ بها دار جزاء لأوليائه فضلاً عن أنبيائه الذين هم سادات أوليائه ؛ إذ نفي الأعم مقتضٍ لنفي الأخصِّ .

(٢) وبهـٰذا القيد ثبتت لهم عليهم الصلاة والسلام الفطنة ، وغيرها من الصفات التي رأى العلامة ياسين ـ كما تقدم النقل عنه (ص ٢٣٤) ـ أنها من الصفات الثابتة بالشرع أو العادة .

ظُفُرٍ منها ، ولا يكدِّرُ شيئاً مِنْ صفْوِها ، ولا يوجبُ لهم ضجراً ولا انحرافاً ولا ضَعفاً لقواهمُ الباطنةِ أصلاً كما هو كذلكَ موجودٌ في حقِّ غيرِهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ[١] .

وكذا الجوعُ والنومُ لا يستولي علىٰ شيءٍ مِنْ قلوبِهم ، ولهـٰذا تنامُ أعينُهم ولا تنامُ قلوبُهم[٢] ، وحالُ قلوبِهم في توهُّجِها بأنوارِ المعارفِ ، والحضورِ والترقِّي في منازلِ القُرْبِ التي لم يَحُمْ أحدٌ ممَّنْ سواهم حولَ أدنىٰ شيءٍ منها ، وقيامُهم بالوظائفِ التي كُلِّفوا بها في الحضرِ والسفرِ والصحَّةِ والمرضِ أكملَ قيامٍ . . هو علىٰ حدِّ السواءِ في جميعِ الأحوالِ .

[فوائدُ نزولِ الأعراضِ البشريةِ بالأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ]

وفائدةُ إصابةِ ظواهرِهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ بتلكَ الأعراضِ البشريَّةِ : ما أشرنا إليهِ في أصلِ العقيدةِ ؛ مِنْ تعظيمِ أجرِهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ؛ وذلكَ كما في أمراضِهم وجوعِهم وإذايةِ الخلْقِ

---

(١) في (ب) وحدها : (كما هو موجود) .

(٢) روى ابن خزيمة في « صحيحه » (٤٨) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « تنامُ عيناي ولا ينامُ قلبي » ، قال العلامة الحافظ المناوي في « فيض القدير » (٣/ ٢٦٩) : (لأن النفوس الكاملة القدسية لا يضعف إدراكها بنوم العين واستراحة البدن ، **ومن ثَمَّ كان سائر الأنبياء مثله** ؛ لتعلُّق أرواحهم بالملأ الأعلىٰ ، ومن ثَمَّ كان إذا نام لم يوقظ ؛ لأنه لا يُدرىٰ ما هو فيه ، ولا ينافيه نومه بالوادي عن الصبح ؛ لأن رؤيتها وظيفة بصرية) ، وهو كلام نفيس ، وبه استكمال الدليل النقلي .

لهم ، ولهـٰذا قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَشَدُّكُمْ بَلاءً ٱلْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ ٱلْأَمْثَلُ فَٱلْأَمْثَلُ »(١) .

ومولانا جلَّ وعزَّ قادرٌ أنْ يُوصِلَ لهم ذلكَ الثوابَ الأعظمَ بلا مشقَّةٍ تلحقُهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، لـٰكنْ بعدلِهِ جلَّ وعلا وعظيمِ حكمتِهِ التي لا تحصرُها العقولُ . . اختارَ أنْ يُوصِلَ لهم ذلكَ الثوابَ الأعظمَ معَ تلكَ الأعراضِ ، يفعلُ ما يشاءُ ، لا يُسألُ جلَّ وعزَّ عمَّا يفعلُ تباركَ وتعالىٰ .

ومِنْ فوائدِ نزولِ تلكَ الأعراضِ بهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ : تشريعُ الأحكامِ المتعلِّقةِ بها للخلْقِ ، كما عرفْنا أحكامَ السهْوِ في الصلاةِ مِنْ سهْوِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ(٢) ، وكيفَ تؤدَّى الصلاةُ في حالِ المرضِ والخوفِ مِنْ فعلِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ لها عندَ ذلكَ ، وعرفْنا هيئةَ أكلِ الطعامِ وشربِ الشرابِ مِنْ أكلِهِ وشربِهِ

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٨) ، وابن ماجه (٤٠٢٣) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال حجة الإسلام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (٢/ ٤٥٣) وهو يتحدث عن الضراعة والاستكانة : (ولذلك صار البلاء موكلاً بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ؛ لأنه يردُّ القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، ويمنع من نسيانه) .

(٢) **لا يقال** : يمكن معرفة أحكام السهو بالإخبار ؛ إذ هـٰذا السهو الشريف منه صلى الله عليه وسلم في ترسيخ الحكم أقوىٰ ؛ لأن دلالة الفعل أقوىٰ من دلالة القول ؛ إذ لا يفعل بنفسه صلى الله عليه وسلم إلا الأفضل ، بخلاف القول ؛ إذ يعتقد فيه الترخيص ، فيخالفه المكلف ارتكاباً للمشقة . مفادٌ « ياسين » (ق٢٥٧) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإلا فهو كانَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ غنيّاً عنِ الطعامِ والشرابِ ؛ إذْ هو عليهِ الصلاةُ والسلامُ يبيتُ عندَ ربِّهِ يطعمُهُ ويسقيهِ[1] ، إلىٰ غيرِ ذلكَ .

ومِنْ فوائدِها أيضاً : التسلِّي عنِ الدنيا ؛ أي : التصبُّرُ ووجودُ الراحةِ واللذَّةِ لفقدِها ، والتنبُّهُ لخسَّةِ قدْرِها عندَ اللهِ تعالىٰ بما يراهُ العاقلُ مِنْ مقاساةِ هـٰؤلاءِ الساداتِ الكرامِ خيرةِ اللهِ تعالىٰ مِنْ خلقِهِ لشدائدِها ، وإعراضِهم عنها وعن زُخْرُفِها الذي غرَّ كثيراً مِنَ الحمقىٰ إعراضَ العقلاءِ عنِ الجِيَفِ والنجاساتِ ، ولهـٰذا قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱلدُّنْيَا جِيفَةٌ قَذِرَةٌ »[2] ، ولم يأخذوا منها عليهمُ الصلاةُ

---

(١) ولهـٰذا جاز له الوصال في الصوم ، روى البخاري (١٩٦٣) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : « إنِّي لستُ كهيئتِكم ؛ إنِّي أبيتُ لي مطعِمٌ يطعمُني ، وساقٍ يسقينِ » ، والطعام والشراب هنا كناية عن القوة التي أعطاها له المولىٰ ، ومع هـٰذه القوة لم يبق للطعام والشراب إلا الشهوة ، وهو عليه الصلاة والسلام مرفَّعٌ عنها .
وبهـٰذا تفهم خبر أبي سعيد الخراز الذي رواه القشيري في « رسالته » (ص٧٢٠) حيث قال : (كنت في بعض أسفاري ، وكان يظهر لي كلَّ ثلاثة أيام شيء ، فكنت آكله وأستقلُّ ، فمضىٰ ثلاثةُ أيام وقتاً من الأوقات ولم يظهر شيء ، فضعفت وجلست ، فهتف بي هاتف : أيُّما أحبُّ إليك : سببٌ أو قوة ؟ فقلت : القوة ، فقمت من وقتي ، ومشيت اثني عشر يوماً لم أذق شيئاً ولم أضعف) .

(٢) روى البزار في « مسنده » (٦٤٤٣) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً : « ينادي منادٍ : دعوا الدنيا لأهلِها ، دعوا الدنيا لأهلِها ، دعوا الدنيا لأهلِها ـ ثلاثاً ـ مَنْ أخذَ مِنَ الدنيا أكثرَ ممَّا يكفيهِ أخذَ جيفةً وهو لا يشعرُ » ، وفي « الحلية » (٨/٢٣٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه قال : (الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر علىٰ مخالطة الكلاب) .

والسلامُ إلا شبهَ زادِ المسافرِ المُستعجِلِ ، ولهـٰذا قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « كُنْ فِي ٱلدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ »[١] ، وقالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَوْ كَانَتِ ٱلدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى ٱلْكَافِرَ مِنْهَا جُرْعَةَ مَاءٍ »[٢] .

فإذا نظرَ العاقلُ في أحوالِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ باعتبارِ زهدِهم في زينةِ الدنيا وزخارفِها . . عَلِمَ عِلْمَ يقينٍ أنَّها لا قدْرَ لها عندَ اللهِ تعالىٰ ، فأعرضَ عنها بقلبِهِ بالكليَّةِ ـ إنْ كانَ ذا همَّةٍ ـ للحلولِ في الفراديسِ العُلا ، وعظيمِ التلذُّذِ ـ الذي لا يُكيَّفُ ـ بزوالِ الحجابِ عنهُ لرؤيةِ المولىٰ بكرةً وعشيّاً ، وشَدَّ إزارَهُ لعبادةِ مولاهُ جلَّ وعزَّ شدَّ الكرامِ ، وصبرَ هـٰذهِ اللحظةَ اليسيرةَ مِنَ العمرِ علىٰ طاعةِ ربِّهِ .

وما أربحَ صفقةَ هـٰذا الموفَّقِ ! إذْ بذلَ شيئاً يسيراً لا قيمةَ لهُ ليسارتِهِ وخسَّتِهِ ، فأخذَ شيئاً كثيراً لا قيمةَ لهُ لكثرتِهِ وعظيمِ رفعتِهِ وتزايدِ نعمِهِ كلَّ لحظةٍ أبدَ الآبادِ ، فبينَما هـٰذا الموفَّقُ في ذُلِّ أطمارِهِ ، وخفقانِ قلبِهِ ، وسيلانِ دمعِهِ ، وعويلِهِ بالأسحارِ ، وتوحُّشِهِ مِنَ الخلْقِ طُرّاً ، يبكي ويندُبُ علىٰ نفسِهِ بنفسِهِ ، قد أحرقَ كبدَهُ خوفُ فواتِ رضا مولاهُ جلَّ وعزَّ الذي لا يمكنُ منهُ خُلْفٌ[٣] . . تطيرُ روحُهُ أحياناً وترفرفُ ؛

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٦) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٢٠) ، وابن ماجه (٤١١٠) من حديث سيدنا سهل بن سعد رضي الله عنه .

(٣) أي : الذي لا يمكن عوض عنه ؛ أي : ليس هناك عوض يقوم مقام رضا المولىٰ . « دسوقي » (ص٢١٨) .

لقصْدِ الخروجِ مِنْ شدَّةِ الحبِّ وانزعاجِ حرارةِ الشوقِ ، فيردُّها محيطُ قفصِ البدنِ ، ثم يهبُّ عليهِ نسيمُ الوُصْلةِ ، فتسكنُ روحُهُ لذلكَ بعضَ سكونٍ .

فبينَما هو في مكابدةِ هـٰذهِ الأحوالِ ، والتنعُّمِ بالمحبوبِ مِنْ وراءِ الحُجُبِ : . إذْ هو قد أصبحَ قريباً بنفْسِ موتِهِ متَّصلاً بمحبوبِهِ دونَ حجابٍ ، يتنعَّمُ برؤيةِ مَنْ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ جلَّ ربُّ الأربابِ ، فألقىٰ عليهِ مِنْ خِلَعِ الكراماتِ ما يليقُ بكرمِهِ ، ومَنَحَهُ ما لا يحيطُ بهِ عقلٌ ولا يحصيهِ ديوانٌ مِنْ طرائفِ هباتِهِ وجلائلِ نِعَمِهِ ، وأصبحَ بعدَ أنْ كانَ حقيراً مسكيناً لا يُعبأُ بهِ مَلِكاً مِنْ ملوكِ الجنَّةِ ، يسرحُ فيها أينَ شاءَ ، ويتنعَّمُ فيها كيفَ شاءَ ، تطوفُ عليهِ الحورُ والولدانُ ، ويرىٰ إثْرَ الموتِ ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعَتْ ، ولا خطرَ علىٰ قلبِ بشرٍ .

فهـٰذا ـ أيُّها العاقلُ ـ هو المُلْكُ الذي يحقُّ أنْ تُبذَلَ فيهِ النفوسُ والمُهَجُ ، ثم هي واللهِ ليسَتْ بقيمةٍ لشيءٍ منهُ لولا فضْلُ مولانا الكريمِ الوهَّابِ ، فحدِّثْ عن بحرِ فضلِهِ الكريمِ بما شئتَ ولا حرجَ .

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ وَٱلسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا   حَدَّ ٱلنُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ ٱلْأُزُرَا
وَكَابَدُوا ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ مَلَّ أَكْثَرُهُمْ   وَعَانَقَ ٱلْمَجْدَ مَنْ وَافَىٰ وَمَنْ صَبَرَا
لا تَحْسَبِ ٱلْمَجْدَ تَمْراً أَنْتَ آكِلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ ٱلْمَجْدَ حَتَّىٰ تَلْعَقَ ٱلصَّبِرَا[1]

---

(١) الأبيات من البسيط ، وهي لرجل من بني أسد ، أوردها أبو تمام في « الحماسة » . انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي (٢/ ٦٤٠) ، والدبيب : مشي فيه بطء؛ بخلاف السعي، وقوله : (**قد بلغوا حدَّ النفوس**) =

فسبحانَ مَنْ أكرمَ قوماً وأكملَ عقولَهم وأعلاهم دنيا وأخرىٰ إلىٰ أعلى المنازلِ ، وحطَّ قوماً معَ مساواتِهم لهم في الصورةِ البشريَّةِ إلىٰ أرذلِ شيءٍ مِنَ الحضيضِ السافلِ ، وملَّكَهم لأخسِّ شيءٍ(١) ؛ وهو النفسُ والشيطانُ والهوىٰ ، فأتبعوهم في غيرِ شيءٍ(٢) ، وعرَّضوهم دنيا وأخرىٰ لمهالكَ عظيمةٍ وهولٍ إثْرَ الموتِ شديدٍ مستطيلٍ نازلٍ ، وحَسِبوا لعمىٰ بصائرِهم وتناهي حماقاتِهم وشدةِ بلائِهم وكثرةِ محنِهم . . أنَّهم ظفروا بشيءٍ مِنَ اللذائذِ ، وهم واللهِ قد خرجوا مِنَ الدنيا ولم يظفروا بشيءٍ مِنْ لذائذِ العاجلِ ولا الآجلِ !(٣) .

يُقْضَىٰ عَلَى ٱلْمَرْءِ فِي أَيَّامِ مِحْنَتِهِ ... حَتَّىٰ يَرَىٰ حَسَناً مَا لَيْسَ بِٱلْحَسَنِ(٤)

إلى المولى الكريمِ نشكو ما أصابَنا مِنَ التخلُّفِ عن رفاقِ ذوي الهممِ السادةِ الكرامِ ، وبقائِنا عاجزينَ مطروحينَ في ساقةِ الأخسَّاءِ اللئامِ(٥) ، نتجاذبُ معَهم بقلوبِنا وجوارحِنا شهَواتٍ وهميَّةً لا جدوىٰ

= أي : احتملوا المشقة ، والأزر : جمع إزار ، وإلقاء الإزار : كناية عن الاجتهاد في طلب الشيء ، والصَّبِرُ : عصارة شجر مرٍّ .

(١) أي : جعلهم مملوكين للشيطان وللنفس وللهوى التي هي أخسُّ الأشياء . « دسوقي » (ص٢١٩) .

(٢) **أتبعوهم** : جعلوهم تابعين لهم في غير شيء نافع .

(٣) **قيل** : المراد بهما : العلوم والمعارف ؛ لأنها اللذة الحقيقية للعاقل . انتهىٰ مقري . « جمل » (ق٤٩) .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) **الساقة** : أي : الجماعة المتأخرين ، وأما الجماعة المتقدمة فيقال لها : مقدمة . « دسوقي » (ص٢٢٠) .

لها ولا طائلَ تحتَها عندَ سبرِها بمحَكِّ التحقيقِ التامِّ[1] ، بل هي في الحقيقةِ سمومٌ قاتلةٌ وعوراتٌ باديةٌ وعَذِراتٌ منتنةٌ حُجِبَ نَتْنُها عنِ الجهلةِ النيامِ ذوي الأوهامِ ، ثم تشاغلنا بها ـ يا طولَ حسرتِنا ولَهَفِنا وعظيمَ حُمْقِنا ـ في مفازةٍ مهلكةٍ يُخشىٰ فيها مِنَ الانقطاعِ والهلاكِ بمجرَّدِ التفاتةٍ واحدةٍ عنِ المقصدِ والمرامِ[2] ، فكيفَ بما نحنُ فيهِ منَ التلفُّتِ عن مهيعِ الاستقامةِ حتىٰ عدلنا[3] ـ يا ويلَنا ـ عن سَنَنِ الهدىٰ وقصدنا بجهلِنا عينَ مواضعِ الهلاكِ بقوَّةِ العزمِ والاهتمامِ ؟!

اللهمَّ ؛ يا منقذَ الغرقىٰ بعدَ أنْ يئسوا ؛ أنقذْنا يا مولانا مِنْ هٰذا الوجلِ العظيمِ الذي نحنُ فيهِ بلا محنةٍ يا أرحمَ الراحمينَ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ .

اللهمَّ ؛ لكَ الحمدُ ، وإليكَ المشتكىٰ ، وبكَ المستغاثُ ، وأنتَ المستعانُ بهِ ، وعليكَ المتّكلُ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بكَ ، فاحرسْنا يا مولانا بعينِكَ التي لا تنامُ ، واكنُفْنا بكنفِكَ الذي لا يُرامُ[4] ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الأئمَّةِ الأعلامِ ، ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ على الدوامِ .

* * *

(١) **أشار بهٰذا** : إلىٰ ما كان يقع بينه وبين معاصريه من الجدل والمنازعة في بعض المسائل الكلامية . « دسوقي » (ص٢٢٠) .

(٢) **اللَّهَف** : الأسىٰ والحزن والغيظ ، كلمةُ تحسُّرٍ علىٰ ما فات .

(٣) **المهيع** : الطريق المنبسط الواسع .

(٤) أي : لا تُقصد إزالته . « جمل » (ق٤٩) .

الكلامُ على كلمتي الشّهادة

بيان جمع كلمتي الشّهادة لعقائد الإيمان كلّها

وَيَجْمَعُ مَعَانِيَ هَـٰذِهِ ٱلْعَقَائِدِ كُلِّهَا قَوْلُ : لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ .

لمَّا فرغَ مِنْ ذكرِ ما يجبُ على المكلَّفِ معرفتُهُ مِنْ عقائدِ الإيمانِ في حقِّ مولانا جلَّ وعزَّ وفي حقِّ رُسُلِهِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ . . كمَّلَ الفائدةَ هنا ببيانِ اندراجِ جميعِ ما سبقَ تحتَ كلمةِ التوحيدِ[١] ؛ وهي : **لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، محمَّدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ** ؛ ليحصلَ لكَ العلمُ بعقائدِ الإيمانِ تفصيلاً وإجمالاً ، ولتعرفَ بذلكَ شرفَ هـٰذهِ الكلمةِ وما انطوىٰ تحتَها مِنَ المحاسنِ ؛ حتىٰ يتشعشعَ القلبُ عندَ ذكرِها بأنوارِ اليقينِ[٢] ، وتتموَّجَ فيهِ أضواءُ الإيمانِ حتىٰ تنبسطَ على الظواهرِ وتنتشرَ إلىٰ عِلِّيِّينَ ، وينفتقَ لكَ كنزُ هـٰذهِ الكلمةِ عن يواقيتِ فراديسِ الجنانِ ، وتعرفَ قدْرَ ما مُنِحْتَ مِنَ النعمةِ العظمى التي مَنَّ بها بمحضِ فضلِهِ المولى الكريمُ الرحيمُ الرحمـٰنُ ، بعدَ أنْ كانَ قدِ احتوىٰ

---

(١) بدلالة الالتزام كما لا يخفىٰ علىٰ متأمِّل ، لا بالمطابقة والتضمُّن .

(٢) قوله : (**يتشعشع**) أي : يمتزج ، قال في « الصحاح » : شعشعت الشراب ؛ مزجته . « ياسين » (ق٢٥٩) ، و(**حتىٰ**) : بمعنى الفاء ، تفريع علىٰ قوله : (ليحصل) . « دسوقي » (ص٢٢١) .

بيتُ بدنِكَ علىٰ كنزٍ عظيمٍ مِنْ كنوزِ مولانا جلَّ وعزَّ الموصلةِ إلىٰ كشفِ الحُجُبِ والتمتُّعِ بشريفِ الرضوانِ ، وأنتَ لم تدرِ يا مسكينُ ما هنالكَ وعسُرَ عليكَ الوصولُ إلىٰ ما في باطنِهِ مِنَ المحاسنِ الفاخرةِ التي لا تُنالُ واللهِ لولا فضلُهُ تعالىٰ بشيءٍ مِنَ الإيمانِ(١) .

ولا شكَّ أنَّ هـٰذهِ الكلمةَ ممَّا يجبُ علىٰ كلِّ مؤمنٍ أنْ يعتنيَ بشأنِها ؛ إذْ هي ثمنُ الجنَّةِ ، والمنقذةُ مِنَ المهالكِ دنيا وأخرىٰ ، وقد نصَّ العلماءُ علىٰ أنَّهُ لا بدَّ مِنْ فهمِ معناها(٢) ، وإلا لم ينتفعْ بها صاحبُها في الإنقاذِ مِنَ الخلودِ في النارِ(٣) .

ولهـٰذا ينبغي أنْ يكونَ كلامُنا فيها علىٰ سبيلِ الاختصارِ **في سبعةِ فصولٍ** :

الأولُ : في ضبطِ هـٰذهِ الكلمةِ .

---

(١) قال تعالىٰ : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن : ١١] .

(٢) **مراده بالعلماء** : علماء بجاية وغيرهم . انظر « شرح العقيدة الكبرىٰ » (ص١٨٢) ، قال العلامة السكتاني في « حاشيته » (ق١١٤) : (ومراده بعلماء بجاية : سيدي أحمد بن عيسىٰ فقيه بجاية ، وسيدي عبد الرحمـٰن الوغليسي) .

(٣) **تنبيهٌ** : من الواضح أنه لا يشترط في فهم معناها العلمُ باندراج جميع العقائد تحتها على المنهج الذي ذكره المصنف ؛ إذ ذاك شيء لم يسبق إليه المصنف رحمه الله ، وإنما المراد بذلك : فهم الوحدانية والرسالة ، وعلىٰ ذلك يحمل كلام المصنف في قوله : (لا بد من فهم معناها ، وإلا لم ينتفع بها صاحبها في الإنقاذ من الخلود في النار) . « سكتاني » (ق١١٥) ، وإنما خصَّ الوحدانية والرسالة ؛ لأن هذه الكلمة الشريفة تدلُّ عليهما بدلالة المطابقة ، لا الالتزام .

الثاني : في إعرابِها .

الثالثُ : في بيانِ معناها .

الرابعُ : في بيانِ حكمِها .

الخامسُ : في بيانِ فضلِها .

السادسُ : في كيفيةِ ذكرِها على الوجهِ الأكملِ الذي يذوقُ بهِ ذاكرُها جميعَ لذَّاتِ محاسنِها أو بعضَها علىٰ حسَبِ ما يُفتَحُ لهُ عندَ ذكرِها مِنَ التخليةِ والتحليةِ .

السابعُ : في بيانِ الفوائدِ التي تحصلُ لذاكرِها على الوجهِ الأكملِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

ولنؤخِّرْ بيانَ الفصولِ الأربعةِ ـ وهي الرابعُ وما بعدَهُ ـ إلىٰ ما يناسبُها مِنْ أصلِ العقيدةِ ؛ وهو قولُنا فيها : (فعلى العاقلِ أنْ يكثرَ مِنْ ذكرِها . . .) إلىٰ آخرِه[1] .

* * *

(١) انظر (ص ٣٠٣) .

الفصل الأوّل
في ضبط كلمة التّوحيد

أمَّا ضبطُ هٰذهِ الكلمةِ : فينبغي للذاكرِ[1] ألا يطيلَ مدَّ ألفِ (لا) جدّاً[2] ، وأنْ يقطعَ الهمزةَ مِنْ (إلٰـهٍ) ؛ إذْ كثيراً ما يلحنُ بعضُ الناسِ فيها فيردُّها ياءً ، وكذلكَ يفصحُ بالهمزةِ مِنْ (إلَّا) ويشدِّدُ اللامَ بعدَها ؛ إذْ كثيراً ما يلحنُ بعضُهم فيردُّ الهمزةَ أيضاً ياءً ويخفِّفُ اللامَ .

وأمَّا كلمةُ الجلالةِ والتعظيمِ التي بعدَ (إلَّا) فلا يخلو[3] : إمَّا أنْ يقفَ عليها الذاكرُ أو لا ؛ فإنْ وقفَ تعيَّنَ عليهِ السكونُ[4] ، وإنْ

---

(١) مراده بـ (الذاكر) المتلفظُ ، ويدخل فيه كل متلفظ بها ، سواء كان ذلك في الأذان أو في الإقامة أو الدخول في الإسلام أو غير ذلك . « سكتاني » (ق١١٦) .

(٢) **هٰذا مما اختلف فيه** ؛ **فقيل** : المد أولىٰ ، **وقيل** : القصر أولىٰ ، **وقيل** بالفرق بين إرادة الدخول في الإسلام فيقصر ليسرع الدخول فيه . « ياسين » (ق٢٥٩) ، ثم نبَّهَ أنه لا يجوز إسكان الهاء من (إلٰه) وقال : (وفات المصنف التنبيه عليه ، وذلك لما يؤدي إليه من نفي جميع الآلهة حتى المولىٰ عز وجل) ، ثم قال : (وسئل المنجور عن الجماعة الذين يقول بعضهم : لا إلٰه ، وبعضهم : إلا الله ؛ فقال : لا ينبغي ولا يحرم) ، والمراد بعدم تطويل المد : ما كان فوق ست حركات ؛ إذ الست لا بد منها .

(٣) **قوله** : (**كلمة الجلالة**) أي : كلمة العظمة ؛ أي : الكلمة الدالة على الجلالة والعظمة . « دسوقي » (ص٢٢٣) ، وهي كلمة (الله) .

(٤) أي : على المشهور أو الراجح ، فلا ينافي ما تقرر في النحو من جواز الروم =

وصلَها بشيءٍ آخرَ ؛ كأنْ يقولَ : (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ) فلهُ فيها وجهانِ : الرفعُ وهو الأرجحُ ، والنصبُ وهو المرجوحُ ، وسيأتي في فصلِ الإعرابِ وجهُهما إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

وينبغي أنْ ينوِّنَ الذاكرُ اسمَ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ويدغمَ تنوينَهُ في الراءِ[2] .

* * *

= والإشمام . « ياسين » (ق٢٦٠) ، أو يقال : مراده بالسكون : عدم الحركة التامة ؛ فيشمل الروم والإشمام والسكون المحض ، والإشمام : الإشارة بالشفتين للضمة ، والروم : هو الإتيان بثلث الحركة حالة الوقف بصوت خفي . « دسوقي » (ص٢٢٣) .

(١) انظر (ص ٢٦٣) .

(٢) **فإن قلت** : ما السرُّ في إيقاع الظاهر في قوله : (رسول الله) موقع الضمير ؟

قلت : لا يخفىٰ أن إضافة الرسول إلى اسم الجلالة للتعظيم ، وفي ذكره بلفظ الظاهر مزيد تعظيم لرسوله . « سكتاني » (ق١١٦) .

الفصل الثاني
في إعراب كلمة التوحيد

وأمَّا إعرابُ هـٰذهِ الكلمةِ : فقد علمتَ أنَّها قدِ احتوتْ علىٰ صدرٍ وعَجُزٍ ، فعَجُزُها ظاهرُ الإعرابِ[1] ؛ إذْ هو جملةٌ مِنْ مبتدأٍ وخبرٍ ومضافٍ إليهِ ، وأمَّا صدرُها فـ (لا) فيهِ نافيةٌ ، و(إلـٰهَ) مبنيٌّ معَها لتضمُّنِهِ معنىٰ (مِنْ) إذِ التقديرُ : لا مِنْ إلـٰهٍ ، ولهـٰذا كانَتْ نصّاً في العمومِ[2] ؛ كأنَّهُ نفىٰ كلَّ إلـٰهٍ غيرِهِ تعالىٰ ؛ مِنْ مبتدأِ ما يُقدَّرُ منها إلىٰ ما لا نهايةَ لهُ ممَّا يُقدَّرُ ، وقيلَ : بُنِيَ الاسمُ معَها للتركيبِ .

وذهبَ الزجَّاجُ إلىٰ أنَّ اسمَها معربٌ منصوبٌ بها[3] .

وإذا فرَّعنا على المشهورِ مِنَ البناءِ فموضعُ الاسمِ نصبٌ بـ (لا) العاملةِ عملَ (إنَّ) ، والمجموعُ مِنْ (لا إلـٰهَ) في موضعِ رفعٍ بالابتداءِ ، والخبرُ المقدَّرُ هو لهـٰذا المبتدأِ ، ولم تعملْ فيهِ (لا) عندَ

---

(١) قوله : (**فعجزها**) أي : وهو محمد رسول الله . « دسوقي » (ص٢٢٣) .

(٢) لا احتمالاً ؛ لأن زيادة (من) في سياق النفي تدل علىٰ عموم النفي ؛ وذلك أن الحرف الزائد يفيد التأكيد ، وتأكيد النفي يفيد العموم . « دسوقي » (ص٢٢٤) .

(٣) بفتحة ظاهرة ، وحذف تنوينه للتخفيف . « دسوقي » (ص٢٢٤) ، قال العلامة الرضي في « شرح الكافية » (٢/ ١٥٥) : (والفتحة في « لا رجلَ » عند الزجاج والسيرافي إعرابيةٌ ، خلافاً للمبرد والأخفش وغيرهما) .

سيبويهِ ، وقالَ الأخفشُ : (لا) هي العاملةُ فيهِ ، وقالَ الدمامينيُّ في « تعليقِهِ على المغني » : (قد تكلَّمَ القاضي محيي الدينِ ناظرُ الجيشِ في « شرحِ التسهيلِ » علىٰ إعرابِ هـٰذهِ الكلمةِ الشريفةِ بكلامٍ أُوردُهُ بجملتِهِ وإنْ كانَ فيهِ طولٌ ؛ لاشتمالِهِ علىٰ فوائدَ ، قالَ :

قالَ أهلُ العلمِ : إنَّ الاسمَ المعظَّمَ في هـٰذا التركيبِ يُرفَعُ وهو الكثيرُ ، ولم يأتِ في القرآنِ العزيزِ غيرُهُ ، وقد يُنصَبُ .

أمَّا إذا رُفِعَ : فالأقوالُ فيهِ للناسِ على اختلافِ إعرابِهم خمسةٌ : منها قولانِ معتبرانِ ، وثلاثةٌ لا مُعوَّلَ علىٰ شيءٍ منها .

فالقولانِ المعتبرانِ : أنْ يكونَ رفعُهُ على البدليَّةِ ، وأنْ يكونَ على الخبريَّةِ .

أمَّا القولُ بالبدليَّةِ : فهو المشهورُ الجاري علىٰ ألسنةِ المعربينَ ، وهو رأْيُ ابنِ مالكٍ ؛ فإنَّهُ قالَ لمَّا تكلَّمَ علىٰ حذفِ خبرِ « لا » العاملةِ عملَ « إنَّ » : وأكثرُ ما يحذفُهُ الحجازيونَ معَ « إلا » ؛ نحوُ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ[(١)] .

وهـٰذا الكلامُ منهُ يدلُّ علىٰ أنَّ رفعَ الاسمِ المعظَّمِ ليسَ على الخبريَّةِ ، وحينَئذٍ يتعيَّنُ أنْ يكونَ على البدليَّةِ ، ثم الأقربُ أنْ يكونَ بدلاً مِنَ الضميرِ المستترِ في الخبرِ المقدَّرِ ، وقد قيلَ : إنَّهُ بدلٌ مِنَ الاسمِ باعتبارِ عملِ الابتداءِ ؛ يعني : باعتبارِ محلِّ الاسمِ قبلَ دخولِ

---

(١) انظر « شرح التسهيل » (٢/٥٦) .

« لا » ، وإنَّما كانَ القولُ بالبدلِ مِنَ الضميرِ المستترِ أَولىٰ ؛ لأنَّ الإبدالَ مِنَ الأقربِ أَولىٰ مِنَ الأبعدِ[1] ، ولأنَّهُ لا داعيةَ إلى الإتباعِ باعتبارِ المحلِّ معَ إمكانِ الإتباعِ باعتبارِ اللفظِ .

ثم البدلُ إنْ كانَ مِنَ الضميرِ المستكنِ في الخبرِ كانَ البدلُ فيهِ نظيرَ البدلِ في نحوِ : ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ ؛ لأنَّ البدلَ في المسألتينِ باعتبارِ اللفظِ ، وإنْ كانَ مِنَ الاسمِ كانَ البدلُ فيهِ نظيرَ البدلِ في نحوِ : لا أحدَ فيها إلا زيدٌ ؛ لأنَّ البدلَ في المسألتينِ باعتبارِ المحلِّ .

وقدِ استشكلَ الناسُ البدلَ فيما ذكرنا ؛ أمَّا في نحوِ : ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ . . **فمِنْ وجهينِ** :

أحدُهما : أنَّهُ بدلُ بعضٍ وليسَ ثَمَّ ضميرٌ يعودُ على المبدلِ منهُ .

الثاني : أنَّ بينَهما مخالفةً ؛ فإنَّ البدلَ موجَبٌ ، والمبدلَ منهُ منفيٌّ .

وقد أُجيبَ عنِ الأولِ : بأنَّ « إلا » وما بعدَها مِنْ تمامِ الكلامِ الأوَّلِ ، و« إلا » قرينةٌ مفهمةٌ أنَّ الثانيَ قد كانَ يتناولُهُ الأوَّلُ ، فمعلومٌ أنَّهُ بعضُهُ ، فلا يُحتاجُ فيهِ إلىٰ رابطٍ ، بخلافِ نحوِ : قبضتُ المالَ بعضَهُ .

---

(١) **الأقرب** : هو الضمير المستتر في الخبر العائد علىٰ (إلـٰه) ، وهو مما يشمله النفي ، **والأبعد** : هو اسم (لا) ، وقد يعارض : بأن الإبدال من المذكور أولىٰ من الإبدال من المحذوف .

وعنِ الثاني : بأنَّهُ بدلٌ مِنَ الأوَّلِ في عملِ العاملِ ، وتخالُفُهما بالنفْيِ والإيجابِ لا يمنعُ البدليَّةَ ؛ لأنَّ مذهبَ البدلِ(١) : بجعْلِ الأوَّلِ كأنَّهُ لم يُذكَرْ ، والثاني في موضعِهِ .

وقد قالَ ابنُ الضائعِ : إذا قلتَ : ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ . . فـ « إلا زيدٌ » هو البدلُ ، وهو الذي يقعُ في موضعِ « أحدٌ » ، فليسَ زيدٌ وحدَهُ بدلاً مِنْ « أحدٌ » ، قالَ : وإنَّما « إلا زيدٌ » هو الأحدُ الذي نفيتَ عنهُ القيامَ ، فـ « إلا زيدٌ » بيانٌ للأحدِ الذي عنيتَ .

ثم قالَ بعدَ ذلكَ : فعلىٰ هـٰذا : البدلُ في الاستثناءِ أشبهُ ببدلِ الشيءِ مِنَ الشيءِ مِنْ بدلِ البعضِ مِنَ الكلِّ .

وقالَ في موضعٍ آخرَ : لو قيلَ : إنَّ البدلَ في الاستثناءِ قسمٌ علىٰ حدتِهِ ، ليسَ مِنْ تلكَ الأبدالِ التي تبيَّنَتْ في غيرِ الاستثناءِ . . لكانَ وجهاً ، وهو الحقُّ . انتهىٰ(٢) .

وأمَّا في نحوِ : لا أحدَ فيها إلا زيدٌ . . فوجهُ الإشكالِ فيهِ : أنَّ زيداً بدلٌ مِنْ أحدٍ ، وأنتَ لا يمكنُكَ أنْ تُحِلَّهُ محلَّهُ .

وقد أجابَ الشَّلَوْبِينُ عن ذلكَ : بأنَّ هـٰذا الكلامَ إنَّما هو علىٰ توهُّمِ : ما فيها أحدٌ إلا زيدٌ ؛ إذِ المعنىٰ واحدٌ ، وهـٰذا يمكنُ فيهِ

---

(١) أي : طريقته . « دسوقي » (ص٢٢٨) .

(٢) **يعني** : النقل عن ابن الضائع ، وما يزال النقل عن « شرح التسهيل » لناظر الجيش .

الحلولُ ؛ بأنْ تقولَ : ما فيها إلا زيدٌ . انتهىٰ ، وهو كلامٌ حسنٌ)[١] .

قالَ الدمامينيُّ : (وعلىٰ قولِ الشَّلَوْبِينِ فتكونُ كلمةُ الحقِّ علىٰ معنىٰ[٢] : لا يستحقُّ العبادةَ أحدٌ إلا اللهُ ، وهـٰذا يمكنُ فيهِ إحلالُ البدلِ محلَّ المبدلِ منهُ ؛ بأنْ تقولَ : لا يستحقُّ العبادة إلا اللهُ . انتهىٰ .

قال ناظرُ الجيشِ : **وأمَّا القولُ بالخبريَّةِ في الاسم المعظَّمِ** : فقد قالَ بهِ جماعةٌ ، ويظهرُ لي أنَّهُ أرجحُ مِنَ القولِ بالبدليَّةِ[٣] .

وقد ضُعِّفَ القولُ بالخبريَّةِ بثلاثةِ أمورٍ ؛ وهو أنَّهُ يلزمُ مِنَ القولِ بذلكَ كونُ خبرِ « لا » معرفةً ، و« لا » لا تعملُ في المعارفِ ، وأنَّ الاسمَ المعظَّمَ مستثنىً ، والمستثنىٰ لا يصحُّ أنْ يكونَ عينَ المستثنىٰ منهُ ؛ لأنَّهُ لم يذكرْ إلا ليبيِّنَ ما قُصِدَ بالمستثنىٰ منهُ ، وأنَّ اسمَ « لا » عامٌّ ، والاسمَ المعظَّمَ خاصٌّ ، والخاصُّ لا يكونُ خبراً عنِ العامِّ ؛ لا يُقالُ : الحيوانُ إنسانٌ .

والجوابُ عن هـٰذهِ الأمورِ :

أمَّا الأوَّلُ : فهو أنَّكَ قد عرفتَ أنَّ مذهبَ سيبويهِ أنَّ حالَ تركيبِ

---

(١) إلىٰ هنا ينتهي نقل العلامة الدماميني عن « شرح التسهيل » (٣/ ١٤٢٨) لناظر الجيش ، وسيعاود النقل عنه ، وجلُّ الكلام له .

(٢) قوله : (**كلمة الحق**) أي : الكلمة الدالة على المعنى الحق ؛ أي : الثابت في الواقع ؛ وهي : لا إلـه إلا الله . « دسوقي » (ص٢٢٩) .

(٣) ما يزال الكلام لناظر الجيش ، وإنما كان هـٰذا القول أرجح لأنه أقل تكلُّفاً من القول بالبدلية ؛ لاحتياجه لحذف الخبر . مفادٌ « دسوقي » (ص٢٢٩) .

الاسمِ المعظَّمِ معَ « لا » لا عملَ لها في الخبرِ ، وأنَّهُ حينَئذٍ مرفوعٌ بما كانَ مرفوعاً بهِ قبلَ دخولِ « لا » ، وقد عُلِّلَ ذلكَ بأنَّ شَبَهَها بـ « إنَّ » ضَعُفَ حينَ رُكِّبَتْ وصارَتْ كجزءِ كلمةٍ ، وجزءُ الكلمةِ لا يعملُ ، ومقتضىٰ هٰذا : أنْ يبطلَ عملُها في الاسمِ أيضاً ، لٰكنْ أُبقيَ عملُها في أقربِ المعمولينِ ، وجُعِلَتْ هي معَ معمولِها بمنزلةِ المبتدأِ ، والخبرُ بعدَهما علىٰ ما كان عليهِ مِنَ التجرُّدِ ، وإذا كانَ كذلكَ لم يثبتْ عملُ « لا » في المعرفةِ .

وأمَّا الثاني : فلا نسلِّمُ أنَّ اسمَ « لا » هو المستثنىٰ منهُ ؛ وذلكَ أنَّ الاسمَ المعظَّمَ إذا كانَ خبراً كانَ الاستثناءُ مفرَّغاً ، والمفرَّغُ : هو الذي لم يكنِ المستثنىٰ منهُ فيهِ مذكوراً .

نعم ؛ الاستثناءُ فيهِ إنَّما هو مِنْ شيءٍ مقدَّرٍ لصحَّةِ المعنىٰ(١) ، ولا اعتدادَ بذلكَ المقدَّرِ لفظاً(٢) .

ولا خلافَ يُعلَمُ في نحوِ : ما زيدٌ إلا قائمٌ . أنَّ « قائمٌ » خبرٌ عن

---

(١) أي : إنما جعلنا الاستثناء من مقدَّر ؛ لأجل صحة المعنىٰ ، **مفاده** : أنه لا يصح المعنىٰ بدون ملاحظة ذلك المقدر ، وليس كذلك ، بل يصح المعنىٰ بجعله خبراً عن (إلٰه) من غير ملاحظة الاستثناء من ذلك المقدر ، والمعنىٰ : لا إلٰه غيرُ الله ، فكان الأولىٰ للشارح إبدال قوله : (لصحة المعنىٰ) بقوله : (لحق الاستثناء ؛ من كون المستثنىٰ غير المستثنىٰ منه) . « دسوقي » (ص٢٣٠) .

(٢) أي : من حيث الإعراب ؛ بحيث يجعل خبراً أو فاعلاً . « دسوقي » (ص٢٣٠) ، وفي مطبوع « شرح التسهيل » (٣/ ١٤٣١) : (أصلاً) بدل (لفظاً) .

« زيدٌ » ، ولا شكَّ أنَّ زيداً فاعلٌ في قولِهِ : ما قامَ إلا زيدٌ ، معَ أنَّهُ مستثنىً مِنْ مقدَّرٍ في المعنىٰ ، والتقديرُ : ما قامَ أحدٌ إلا زيدٌ ، فعلىٰ هـٰذا لا منافاةَ بينَ كونِ الاسمِ المعظَّمِ خبراً عنِ اسمٍ قبلَهُ ، وبينَ كونِهِ مستثنىً مِنْ مقدَّرٍ ؛ إذْ جعلُهُ خبراً منظورٌ فيهِ إلىٰ جانبِ اللفظِ ، وجعلُهُ مستثنىً منظورٌ فيهِ إلىٰ جانبِ المعنىٰ .

وأمَّا الثالثُ : فهو أنْ يُقالَ : قولُكَ : إنَّ الخاصَّ لا يكونُ خبراً عنِ العامِّ مسلَّمٌ[1] ، لـٰكنْ في « لا إلـٰهَ إلا اللهُ » لم يُخبَرْ بخاصٍّ عن عامٍّ ؛ لأنَّ العمومَ منفيٌّ ، والكلامُ إنَّما سيقَ لنفي العمومِ وتخصيصِ الخبرِ المذكورِ بواحدٍ مِنْ أفرادِ ما دلَّ عليهِ اللفظُ العامُّ .

وأمَّا الأقوالُ الثلاثةُ الأخرُ ـ يعني : التي لا عملَ عليها[2] ـ : **فأحدُها** : أنَّ « إلا » ليسَتْ أداةَ استثناءٍ ، وإنَّما هي بمعنىٰ « غيرٍ » ، وهي معَ الاسمِ المعظَّمِ صفةٌ لاسمِ « لا » باعتبارِ المحلِّ[3] ، ذكرَ ذلكَ الشيخُ عبدُ القاهرِ الجرجانيُّ عن بعضِهم ، والتقديرُ : لا إلـٰهَ غيرُ اللهِ في الوجودِ .

ولا شكَّ أنَّ القولَ بأنَّ « إلا » في هـٰذا التركيبِ بمعنىٰ « غيرٍ » . . ليسَ لهُ مانعٌ يمنعُهُ مِنْ جهةِ الصناعةِ النحويَّةِ ، وإنَّما يمتنعُ مِنْ جهةِ

---

(١) وهـٰذا التسليم عندما تكون أفراد الخاصِّ والعامِّ متحدةً .

(٢) **يعني** : لم يجرِ العمل عليها ، فهي لا معوَّل عليها .

(٣) أي : فهي اسمٌ صفة لـ (إلـٰه) ، ولفظ الجلالة مضاف إليها ، ولما كانت علىٰ صورة الحرف ظهر إعرابها علىٰ ما بعدها . « دسوقي » (ص٢٣١) .

المعنىٰ ؛ وذلكَ أنَّ المقصودَ مِنْ هـٰذا الكلامِ أمرانِ : نفْيُ الألوهيَّةِ عن غيرِ اللهِ تعالىٰ ، وإثباتُ الألوهيَّةِ للهِ تعالىٰ ، ولا يفيدُهُ التركيبُ حينَئذٍ .

فإنْ قيلَ : يُستفادُ ذلكَ بالمفهومِ .

قلنا : أينَ دلالةُ المفهومِ مِنْ دلالةِ المنطوقِ ؟![1] ، ثم هـٰذا المفهومُ إنْ كانَ مفهومَ لقبٍ فلا عبرةَ بهِ ؛ إذْ لم يقلْ بهِ إلا الدَّقاقُ) .

قلتُ : وقالَ بهِ بعضُ الحنابلةِ أيضاً[2] ، قالَ[3] : (وإنْ كانَ مفهومَ صفةٍ فقد عرفتَ في أصولِ الفقهِ أنَّهُ غيرُ مُجمَعٍ علىٰ ثبوتِهِ ، وقد تبيَّنَ ضعفُ هـٰذا القولِ لا محالةَ .

والقولُ الثاني ـ ويُنسَبُ إلى الزمخشريِّ[4] ـ أنَّ « لا إلـٰهَ » في

---

(١) **الحاصل** : أن كلام الشارح ـ وهو في الأصل لناظر الجيش ـ مبني علىٰ أن ثبوت الحكم لما بعد (إلا) في الحصر منطوقٌ ، وهو مذهب الإمام القرافي والشيرازي وجماعة من المحققين ، ولـٰكن المشهور خلافه ، وأنه مفهوم . « دسوقي » (ص٢٣٢) .

(٢) قال العلامة ابن مفلح في « أصول الفقه » (٣/ ١٠٩٧) : (مفهوم اللقب حجة عند أكثر أصحابنا) ، وانظر « حاشية العطار علىٰ شرح جمع الجوامع » (١/ ٣٣٢) .

(٣) عودٌ للنقل عن الدماميني عن ناظر الجيش .

(٤) قاله في جزء لطيف تكلم فيه علىٰ كلمة الشهادة ، قال فيه : (والصواب : أنه كلام تام ، ولا حذف ، والأصل : الله إلـٰه ، كما تقول : زيد منطلق ، ثم جيء بأداة الحصر ، وقُدِّمَ الخبر على الاسم ، وركِّب كما ركِّب المبتدأ معها في « لا رجل في الدار » ، ويكون « الله » مبتدأ مؤخراً ، و« لا إلـٰه » خبراً مقدماً ، وعلىٰ هـٰذا يخرج نظائرها ؛ نحو : لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتىٰ إلا =

موضعِ الخبرِ ، و« إلا اللهُ » في موضعِ الابتداءِ ، وقد قرَّرَ ذلكَ بتقريرٍ للنظرِ فيهِ مجالٌ ، ولا يخفىٰ ضَعفُ هـٰذا القولِ ، وأنَّهُ يلزمُ منهُ أنَّ الخبرَ يُبنىٰ معَ « لا » ، وهي لا يُبنىٰ معَها إلا المبتدأُ ، ثم لو كانَ الأمرُ كذلكَ لم يجزْ نصبُ الاسمِ المعظَّمِ في هـٰذا التركيبِ ، وقد جوَّزَهُ كما سيأتي .

والقولُ الثالثُ : أنَّ الاسمَ المعظَّمَ مرفوعٌ بـ « إلـٰهَ » كما يرتفعُ الاسمُ بالصفةِ في قولِنا : أقائمٌ الزيدانِ ، فيكونُ المرفوعُ قد أغنىٰ عنِ الخبرِ ، وقد قُرِّرَ ذلكَ : بأنَّ إلـٰهاً بمعنىٰ مألوهٍ ؛ مِنْ « أَلَهَ » أي : عَبَدَ[1] ، فيكونُ الاسمُ المعظَّمُ مرفوعاً علىٰ أنَّهُ مفعولٌ أُقيمَ مُقامَ الفاعلِ ، واستُغنيَ بهِ عنِ الخبرِ ؛ كما في قولِنا : ما مضروبٌ إلا العَمْرانِ ، وضَعْفُ هـٰذا القولِ غيرُ خفيٍّ ؛ لأنَّ « إلـٰهاً » ليسَ بوصفٍ ، فلا يستحقُّ عملاً ، ثم لو كانَ « إلـٰهَ » عملَ الرفعَ فيما يليهِ لوجبَ إعرابُهُ وتنوينُهُ ؛ لأنَّهُ مطوَّلٌ إذْ ذاكَ[2] .

= علي . « ياسين » (ق٢٦٥) ، فالقول ليس في « المفصل » ولا في « الكشاف » له .

(١) **وعليه** : يكون معنىٰ (مألوه) : معبوداً ، فـ (إلـٰه) وزنه : فِعَال ؛ مثل : إمام ، بمعنىٰ : مؤتمٌّ به .

(٢) قوله : (**مطوَّل**) أي : اتصل به شيء من تمام معناه ، وعندهم أن اسم (لا) إذا اتصل به شيء من تمام معناه ؛ بأن كان مضافاً أو شبيهاً بالمضاف ؛ بأن عمل فيما بعده رفعاً أو نصباً . يسمَّىٰ مطوَّلاً وممطولاً ، ويعرب منوناً ، وهنا (إلـٰه) قد عمل الرفع فيما بعده ، فهو شبيه بالمضاف ، فكان حقه أن ينصب وينون . « دسوقي » (ص٢٣٣) .

وقد أجابَ بعضُ الفضلاءِ عن هٰذا : بأنَّ بعضَ النحاةِ يجيزُ حذفَ التنوينِ مِنْ مثلِ ذلكَ ، وعليهِ يُحمَلُ قولُهُ تعالىٰ : ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال : ٤٨] ، و﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ﴾ [يوسف : ٩٢] .

وفي هٰذا الجوابِ نظرٌ ؛ لأنَّ الذي يجيزُ حذفَ التنوينِ في مثلِ ذلكَ يجيزُ إثباتَهُ أيضاً ، ولا يُعلَمُ أنَّ أحداً أجازَ التنوينَ في « لا إلٰهَ إلا اللهُ » ، **هٰذا آخرُ الكلامِ علىٰ توجيهِ الرفعِ** .

وأمَّا النصبُ : فذكروا لهُ توجيهينِ :

أحدُهما : أنْ يكونَ على الاستثناءِ مِنَ الضميرِ في الخبرِ المقدَّرِ (١) .

الثاني : أنْ يكونَ « إلا اللهَ » صفةً لاسمِ « لا » (٢) .

أمَّا كونُهُ صفةً : فهو لا يكونُ إلا إذا كانَتْ « إلَّا » بمعنىٰ « غيرٍ » ، وقد عرفتَ أنَّ الأمرَ إذا كانَ كذلكَ لا يكونُ الكلامُ دالّاً بمنطوقيَّتِهِ علىٰ ثبوتِ الألوهيَّةِ للهِ تعالىٰ ، والمقصودُ الأعظمُ هو إثباتُ الألوهيَّةِ للهِ تعالىٰ بعدَ نفيِها عن غيرِهِ ، وبهٰذا يمتنعُ هٰذا التوجيهُ ؛ أعني : كونَ « إلا اللهَ » صفةً لاسمِ « لا » .

وأمَّا التوجيهُ الأوَّلُ : فقالوا فيهِ : مرجوحٌ ، وكانَ حقُّهُ أنْ يكونَ راجحاً ؛ لأنَّ الكلامَ غيرُ موجَبٍ ، والمقتضي لعدمِ أرجحيَّةِ البدلِ

---

(١) أي : من مادة الوجود أو من مادة الإمكان . « دسوقي » (ص٢٣٤) .

(٢) أي : بالنظر لمحله بعد دخول (لا) ، قال بعضهم : أو بالنظر إلىٰ لفظه وإجراء حركة البناء مُجرىٰ حركة الإعراب . « ياسين » (ق٢٦٦) .

هنا : أنَّ الترجيحَ في نحوِ : ما قامَ القومُ إلا زيدٌ . . إنَّما كانَ لحصولِ المشاكلةِ ، حتىٰ لو حصلَتِ المشاكلةُ في تركيبٍ ما . . استويا ؛ نحوُ : ما ضربتُ أحداً إلا زيداً ، فمِنْ ثَمَّ قالوا : إذا لم تحصلْ مشاكلةٌ في الإتباع كانَ النصبُ على الاستثناءِ أولىٰ .

قالوا : وفي هـٰذا التركيبِ يترجَّحُ النصبُ في القياسِ ، لـٰكنِ السماعُ والأكثرُ الرفعُ ، ونُقِلَ عنِ الأُبَّذيِّ : أنَّكَ إذا قلتَ : لا رجلَ في الدارِ إلا عمراً . . كانَ نصبُ (عمراً) على الاستثناءِ أحسنَ مِنْ رفعِهِ على البدلِ ، هـٰذا ما ذكروهُ ، **والذي يقتضيهِ النظرُ** : أنَّ النصبَ لا يجوزُ ، بل ولا البدلَ .

وتقريرُ ذلكَ : أنْ يُقالَ : إنَّ « إلا » في الكلامِ التامِّ الموجَبِ ؛ نحوِ : قامَ القومُ إلا زيداً . . متمحِّضةٌ للاستثناءِ ، فهي تُخرِجُ ما بعدَها ممَّا أفادَهُ الكلامُ الذي قبلَها ؛ وذلكَ أنَّ هـٰذا الكلامَ إنَّما قُصِدَ بهِ الإخبارُ عنِ القومِ بالقيامِ ، ثم إنَّ زيداً منهم ولم يكنْ شاركَهم فيما أُسنِدَ إليهم ، فوجبَ إخراجُهُ ، وكذا حكمُ « إلا » في الكلامِ التامِّ غيرِ الموجَبِ أيضاً ؛ نحوِ : ما قامَ القومُ إلا زيداً ، ومِنْ ثَمَّ كانَ نحوُ هـٰذا التركيبِ مفيداً للحصرِ معَ أنَّها للاستثناءِ أيضاً ؛ لأنَّ المذكورَ بعدَ « إلا » لا بدَّ أنْ يكونَ مُخرَجاً مِنْ شيءٍ قبلَها ، فإنْ كانَ ما قبلَها تامّاً لم يحتجْ إلى التقديرِ ، وإلا فيتعيَّنُ تقديرُ شيءٍ قبلَ « إلا » ليحصلَ الإخراجُ منهُ ، لـٰكنْ إنَّما أحوجَ إلىٰ هـٰذا التقديرِ تصحيحُ المعنىٰ .

فتبيَّنَ مِنْ هـٰذا المعنى الذي قلناهُ : أنَّ المقصودَ في الكلامِ الذي

ليسَ بتامٍّ إنَّما هو إثباتُ الحكمِ المنفيِّ قبلَ « إلا » لما بعدَها ، وأنَّ الاستثناءَ ليسَ بمقصودٍ ، ولهـٰذا اتفقَ النحاةُ علىٰ أنَّ المذكورَ بعدَ « إلا » في نحوِ : ما قامَ إلا زيدٌ . . معمولٌ للعاملِ الذي قبلَها .

ولا شكَّ أنَّ المقصودَ مِنْ هـٰذا التركيبِ الشريفِ أمرانِ ؛ وهما : نفْيُ الألوهيَّةِ عن كلِّ شيءٍ ، وإثباتُها للهِ تعالىٰ كما تقدَّمَ ، وإذا كانَتْ « إلا » مسوقةً لمحضِ الاستثناءِ . . لا يتمُّ هـٰذا المطلوبُ ، سواءٌ نصبنا أو أبدلنا ؛ وذلكَ أنَّهُ لا يُنصَبُ ولا يُبدَلُ إلا إذا كانَ الكلامُ الذي قبلَ « إلا » تامّاً بتقديرِ خبرٍ محذوفٍ ، وحينَئذٍ ليسَ الحكمُ بالنفْيِ علىٰ ما بعدَ « إلا » في الكلامِ الموجَبِ ، والإثباتِ عليهِ في غيرِ الموجَبِ . . مجمعاً عليهِ ؛ إذْ لا يقولُ بذلكَ إلا مَنْ مذهبُهُ أنَّ الاستثناءَ مِنَ الإثباتِ نفْيٌ ، ومِنَ النفْيِ إثباتٌ ، ومَنْ ليسَ مذهبُهُ ذلكَ يقولُ : إنَّ ما بعدَ « إلا » مسكوتٌ عنهُ ، فكيفَ يكونُ قولُ : « لا إلـٰهَ إلا اللهُ » توحيداً ؟!)[1] .

قلتُ : وفيهِ نظرٌ : لأنَّهُ يكونُ توحيداً بحسَبِ دَلالةِ العُرفِ ، وبأنَّهُ لا نزاعَ في ثبوتِ الإلـٰهيَّةِ لمولانا جلَّ وعزَّ لجميعِ العقلاءِ ، وإنَّما كفرَ مَنْ كفرَ بزيادةِ إلـٰهٍ آخرَ ، فنفْيُ ما عداهُ تعالىٰ مِنَ الآلهةِ علىٰ هـٰذا هو المحتاجُ إليهِ ، وبهِ يحصلُ التوحيدُ ، فتأمَّلْهُ .

ثم قالَ ناظرُ الجيشِ بناءً علىٰ ما ظهرَ لهُ مِنَ البحثِ الذي

---

(١) انظر « شرح التسهيل » لناظر الجيش (٣/ ١٤٣١ـ١٤٣٥) .

اعترضناهُ : (فتعيَّنَ أنْ تكونَ « إلا » في هٰذا التركيبِ مسوقةً لقصْدِ إثباتِ ما نُفِيَ قبلَها لما بعدَها ، ولا يتمُّ ذلكَ إلا أنْ يكونَ ما قبلَها غيرَ تامٍّ ، ولا يكونُ غيرَ تامٍّ إلا بألا يُقدَّرَ قبلَ « إلا » خبرٌ محذوفٌ ، وإذا لم يُقدَّرْ خبرٌ قبلَها وجبَ أنْ يكونَ ما بعدَها هو الخبرَ ، وهٰذا هو الذي تركنُ إليهِ النفوسُ ، وقد تقدَّمَ تقريرُ صحَّةِ كونِ الاسمِ المعظَّمِ في هٰذا التركيبِ هو الخبرَ)[1] .

قلتُ : كلامُهُ هٰذا يقتضي أنَّ الخلافَ في كونِ الاستثناءِ مِنَ النفْيِ إثباتاً أم لا[2] . . لا يدخلُ في الاستثناءِ المفرَّغِ ، وظاهرُ كلامِ الإمامِ الرازيِّ وكثيرٍ مِنَ الأصوليينَ دخولُ ذلكَ الخلافِ فيهِ ، ولهٰذا أُوردَ على القائلِ بأنَّ الاستثناءَ مِنَ النفْيِ ليسَ بإثباتٍ . . أنَّهُ يلزمُ علىٰ ذلكَ ألا يحصلَ التوحيدُ بكلمةِ الشهادةِ ، وأُجيبَ بما ذكرناهُ مِنَ النظرِ قبلُ في بحثِ ناظرِ الجيشِ[3] .

هٰذا آخرُ ما يتعلَّقُ بفصلِ إعرابِ هٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ على اختصارٍ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

* * *

---

(١) انظر « شرح التسهيل » لناظر الجيش (٣/ ١٤٣٥) .

(٢) أي : أو ليس الاستثناء من النفي إثباتاً ، بل ما بعد (إلا) مسكوت عنه ، لم يحكم عليه بشيء . « دسوقي » (ص٢٣٨) .

(٣) أي : من إفادتها للتوحيد اتفاقاً بالنظر لعرف الشرع ، لا بالنظر للغة . « دسوقي » (ص٢٣٩) .

الفصل الثالث
في معنى كلمة التوحيد

وأمَّا معنىٰ هـٰذهِ الكلمةِ : فلا شكَّ أنَّها محتويةٌ علىٰ نفْيٍ وإثباتٍ ؛ **فالمنفيُّ** : كلُّ فردٍ مِنْ أفرادِ حقيقةِ الإلـٰهِ غيرِ مولانا جلَّ وعزَّ ، **والمثبتُ مِنْ تلكَ الحقيقةِ** : فردٌ واحدٌ ؛ وهو مولانا جلَّ وعزَّ ، وأُتِيَ بـ (إلا) لقصرِ حقيقةِ الإلـٰهِ عليهِ تعالىٰ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ لا يمكنُ أنْ تُوجَدَ تلكَ الحقيقةُ لغيرِهِ تعالىٰ عقلاً ولا شرعاً .

ومعنىٰ حقيقةِ الإلـٰهِ : هو الواجبُ الوجودِ المستحقُّ للعبادةِ ، ولا شكَّ أنَّ هـٰذا المعنىٰ كليٌّ ؛ أي : يقبلُ بحسَبِ مجرَّدِ إدراكِ معناهُ أنْ يصدقَ علىٰ كثيرينَ ، لـٰكنَّ البرهانَ القطعيَّ دلَّ على استحالةِ التعدُّدِ فيهِ ، وأنَّ معناهُ خاصٌّ بمولانا جلَّ وعزَّ فقطْ ، فالاسمُ المعظَّمُ المذكورُ بعدَ حرفِ الاستثناءِ ليسَ هو بمعنى الإلـٰهِ فيكونَ كليّاً[1] ، بل هو جزئيٌّ علمٌ علىٰ ذاتِ مولانا جلَّ وعزَّ ، لا يقبلُ معناهُ التعدُّدَ ذهناً ولا خارجاً ، ولو كانَ معنى اللهِ تعالىٰ كمعنى الإلـٰهِ . . لزمَ استثناءُ الشيءِ مِنْ نفسِهِ ، ولزمَ ألا يحصلَ توحيدٌ مِنْ هـٰذهِ الكلمةِ

---

(١) هـٰذا خلاف ما عليه صاحب « الكشاف » وأقرَّه السعد . « ياسين » (ق٢٦٩) ، وهذا على القول باشتقاق الاسم المعظم .

المشرَّفةِ[1] ، وكذا لو كانَ معنى الإلـٰهِ جزئيّاً مثلَ الاسمِ الأعظمِ لزمَ أيضاً استثناءُ الشيءِ مِنْ نفسِهِ ، والتناقضُ في الكلامِ بإثباتِ الشيءِ ثم نفيِهِ .

والحاصلُ : أنَّ المعانيَ المقدَّرةَ عقلاً في هـٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ باعتبارِ المستثنىٰ منهُ والمستثنىٰ أربعةٌ : ثلاثةٌ منها باطلةٌ ، والرابعُ ينقسمُ قسمينِ ، أحدُ قسميهِ باطلٌ ، والآخرُ هو الذي يصحُّ مِنَ الأقسامِ كلِّها .

فالثلاثةُ الباطلةُ : أنْ يكونا جزئيينِ ، أو كليينِ ، أوِ الأوَّلُ جزئيّاً والثاني كليّاً ، والرابعُ عكسُ الثالثِ ؛ وهو أنْ يكونَ الأوَّلُ كليّاً والثاني جزئيّاً .

فإنْ كانَ المرادُ بالكليِّ الذي هو الإلـٰهُ مطلقَ المعبودِ . . لم يصحَّ ؛ لما يلزمُ عليهِ مِنَ الكذبِ ؛ لكثرةِ المعبوداتِ الباطلةِ .

وإنْ كانَ المرادُ بالإلـٰهِ المعبودَ بحقٍّ . . صحَّ[2] .

---

(١) ويلزم التناقض أيضاً ؛ لأنه إثبات للشيء بعد نفيه . « ياسين » (ق٢٦٩) .

(٢) نقل العلامة الجمل في « حاشيته » (ق٥٠) عن شيخه العلامة الملوي : (إن **قلت** : حلَّ المنفيَّ بـ « لا إلـٰه إلا الله » : المعبود بحق ، أو المعبود بباطل ؟
قلت : هـٰذه المسألة وقع فيها مناظرة بين سيدي عبد الله الهبطي ، وسيدي محمد اليستيني شيخ المنجور ؛ فالأول قال : النفي إنما يتسلط على الآلهة المعبودة بالحق ، وظاهر كلام السنوسي معه ، وانتصر له شيخ مشايخنا العلامة اليوسي ، وألف في ذلك مجلداً ضخماً ، والثاني قال : التعميم إنما يتسلط على الآلهة المعبودة بباطل تنزيلاً لها منزلة العدم ، وذكر السكتاني في =

فإذاً ؛ لا يصحُّ مِنْ هـٰذهِ الأقسامِ كلِّها إلا أنْ يكونَ (إلـٰهَ) كليّاً ؛ بمعنى : المعبودِ بحقٍّ ، والاسمُ المعظَّمُ علمٌ للفردِ الموجودِ منهُ ، **فالمعنىٰ علىٰ هـٰذا** : لا مستحقَّ للعبوديَّةِ لهُ موجودٌ أو في الوجودِ إلا الفردُ الذي هو خالقُ العالمِ جلَّ وعلا .

وإنْ شئتَ قلتَ في معنى الإلـٰهِ : هو المستغني عن كلِّ ما سواهُ ، والمفتقرُ إليهِ كلُّ ما عداهُ ، وهو أظهرُ مِنَ المعنى الأوَّلِ وأقربُ منهُ ، وهو أصلٌ لهُ ؛ لأنَّهُ لا يستحقُّ أنْ يُعبَدَ ـ أي : يَذِلَّ لهُ كلُّ شيءٍ ـ إلا مَنْ كانَ مستغنياً عن كلِّ ما سواهُ ، ومفتقراً إليهِ كلُّ ما عداهُ .

فظهرَ أنَّ العبارةَ الثانيةَ أحسنُ مِنَ الأولىٰ ، وبها ينجلي اندراجُ جميعِ عقائدِ الإيمانِ تحتَ هـٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ ، ويتسعُ بها صدرُ المؤمنِ لفيضانِ أنوارِ المعارفِ ، ويكونُ علىٰ ساحلِ النجاةِ والأمنِ مِنْ كلِّ خبطٍ وقعَ في معنىٰ هـٰذهِ الكلمةِ الشريفةِ ، ويدخلُ القويُّ والضعيفُ في روضةِ هـٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ ؛ يسرحُ في أزهارِها[1] ، ويتنزَّهُ في سلسبيلِ أنهارِها ، ويجتني مِنْ ثمارِ معارفِها ، ويسمعُ مِنْ تغريدِ أطيارِ هدايتِها ما كُتِبَ لهُ ، ولهـٰذا اخترنا في أصلِ العقيدةِ التفسيرَ بها لهـٰذهِ الكلمةِ المشرفةِ .

وقالَ المقترَحُ في « الأسرارِ العقليَّةِ » في معنىٰ هـٰذهِ الكلمةِ

= « حواشي الصغرىٰ » [ق١٣٠] أنه صحيح ؛ لجريه على الأسلوب البياني) ، ثم قال : (وحاصل التحقيق في المسألة : أن الحق مع الشيخ الهبطي) .

(١) كذا في (أ ، ج) وفي سائر النسخ : (يمرح) وكلاهما مناسب .

المشرَّفةِ ما نصُّهُ : (ولفظُ الاستثناءِ في الحقيقةِ لا يجري على ظاهرِ ما يفهمُهُ كلُّ قاصرٍ مِنْ أنَّهُ نفيٌ وإثباتٌ ؛ إذْ يلزمُ منهُ هنا كفرٌ وإيمانٌ ، وقد قالَ العلماءُ : إنَّ المقرَّ بعشرةٍ إلا ثلاثةً . . مقرٌّ بسبعةٍ ، لا بعشرةٍ وينفي منها ثلاثةً ؛ إذْ يلزمُ ألا يُقبَلَ منهُ ذلكَ .

نعم ؛ للسبعةِ عبارتانِ : سبعةٌ ، وعشرةٌ إلا ثلاثةً ، لـٰكنَّ صيغةَ النفْيِ أبلغُ في إفادةِ معنى الوحدانيةِ ؛ إذْ يلزمُ منهُ نفْيُ الكميَّةِ المتصلةِ والمنفصلةِ) انتهىٰ[1] .

قلتُ : يعني بالكميَّةِ المتصلةِ : التركيبَ في ذاتِ الإلـٰهِ جلَّ وعلا ، وبالكميَّةِ المنفصلةِ : وجودَ إلـٰهٍ ثانٍ منفصلٍ مماثلٍ ، وما ذكرَهُ مِنَ المعنىٰ لدفعِ التناقضِ في الاستثناءِ لا يتعيَّنُ ؛ إذْ قدِ اختلفَ علماءُ الأصولِ في تقريرِ المعنىٰ في نحوِ (عشرةٌ إلا ثلاثةً) .

فقالَ الأكثرونَ : المرادُ بـ (عشرةٌ) إنَّما هو سبعةٌ ، و(إلا ثلاثةً) قرينةٌ لإرادةِ السبعةِ ، فالاستثناءُ يوضِّحُ أنَّ المرادَ مِنَ المتكلِّمِ السبعةُ ، فنطقُهُ بالعشرةِ إرادةُ الجزءِ باسمِ الكلِّ[2] .

قالَ القاضي أبو بكرٍ : المجموعُ وهو عشرةٌ إلا ثلاثةً بإزاءِ سبعةٍ ؛ كأنَّهُ وُضِعَ لها اسمانِ : مفردٌ ؛ وهو سبعةٌ ، ومركَّبٌ ؛ وهو عشرةٌ إلا

---

(١) الأسرار العقلية (ص٤٠) .

(٢) انظر « تشنيف المسامع » (٢/٧٣٨) ، **وعليه** : فكلمة (لا إلـٰه) يراد بها : كلُّ ما سوى الله تعالىٰ .

ثلاثةً[1] ، وهـٰذا هو القولُ الذي اختارَهُ المقترحُ في كلمةِ الوحدانيَّةِ .

وقيلَ : المرادُ بـ (عشرةٌ) في هـٰذا التركيبِ هو معنىٰ عشرةٍ باعتبارِ أفرادِها كلِّها ؛ أعني : السبعةَ والثلاثةَ معاً ، ثم أُخرِجَتِ الثلاثةُ بـ (إلا) فبقيَتْ سبعةٌ ، ثم أُسنِدَ إليها الحكمُ بعدَ الإخراجِ ، فلم يلزمْ تناقضٌ في الحكمِ ؛ إذْ ثبوتُهُ للباقي إنَّما هو بعدَ الإخراجِ[2] .

قيلَ : وهـٰذا القولُ هو الصحيحُ ، وأدلَّةُ ذلكَ مستوفاةٌ في الأصولِ[3] ، ولا يخفىٰ تقريرُ هـٰذهِ الأقوالِ كلِّها في كلمةِ الوحدانيَّةِ ، وباللهِ تعالى التوفيقُ .

بيان معنى الألوهيّة

إِذْ مَعْنَى ٱلأُلُوهِيَّةِ : ٱسْتِغْنَاءُ ٱلإِلَـٰهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَٱفْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ ؛ **فَمَعْنَىٰ (لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ)**: لا مُسْتَغْنِياً عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ، وَمُفْتَقِراً إِلَيْهِ كُلُّ مَا عَدَاهُ إِلا ٱللهُ تَعَالَىٰ .

تقدَّمَ وجْهُ اختيارِنا لتفسيرِ الكلمةِ المشرَّفةِ بهـٰذا المعنىٰ[4] ، ففسَّرْنا

---

(١) انظر « تشنيف المسامع » (٢/ ٧٣٨) ، **وعليه** : فقولنا : لا إلـه إلا الله ، والله واحدٌ . . بمعنىً .

(٢) وعلىٰ هـٰذا القول يكون المعنىٰ : كل إلـه غير الله ليس بموجود .

(٣) انظر « البحر المحيط » (٣/ ٢٩٤) .

(٤) تقدم (ص ٢٧٧) .

معنى الألوهيَّةِ علىٰ سبيلِ الإفرادِ ، ثم رتَّبنا عليهِ معنى التركيبِ في الكلمةِ المشرَّفةِ ، وذلكَ ظاهرٌ .

[ما يلزمُ عنِ استغنائِهِ تعالىٰ عن كلِّ ما سواهُ]

أَمَّا ٱسْتِغْنَاؤُهُ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ : فَهُوَ يُوجِبُ لَـهُ تَعَـالَـىٰ : ٱلْـوُجُـودَ ، وَٱلْقِـدَمَ ، وَٱلْبَقَـاءَ ، وَٱلْمُخَالَفَةَ لِلْحَوَادِثِ ، وَٱلْقِيَامَ بِٱلنَّفْسِ ، وَٱلتَّنَزُّهَ عَنِ ٱلنَّقَائِصِ ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ : وُجُوبُ ٱلسَّمْعِ لَهُ تَعَالَىٰ ، وَٱلْبَصَرِ ، وَٱلْكَلامِ ؛ إِذْ لَوْ لَمْ تَجِبْ لَهُ تَعَالَىٰ هَـٰذِهِ ٱلصِّفَاتُ لَكَانَ مُحْتَاجاً إِلَى ٱلْمُحْدِثِ أَوِ ٱلْمَحَلِّ أَوْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ ٱلنَّقَائِصَ .

لمَّا ذكرَ أنَّ معنى الألوهيَّةِ التي انفردَ بها مولانا جلَّ وعزَّ تشتملُ علىٰ معنيينِ ؛ **أحدُهما** : استغناؤُهُ جلَّ وعزَّ عن كلِّ ما سواهُ ، **والثاني** : افتقارُ كلِّ ما سواهُ إليهِ جلَّ وعزَّ . أخذَ يبيِّنُ ما يندرجُ مِنْ عقائدِ الإيمانِ تحتَ المعنى الأوَّلِ ؛ وهو الاستغناءُ ، فإذا فرغَ مِنْ ذلك يذكرُ ما يندرجُ تحتَ المعنى الثاني ؛ وهو الافتقارُ .

وقولُهُ : (**ويدخلُ في ذلكَ وجوبُ السمعِ لهُ تعالىٰ والبصرِ والكلامِ**) يعني : يدخلُ في وجوبِ تنزُّهِهِ تعالىٰ عنِ النقائصِ وجوبُ

هٰذهِ الصفاتِ الثلاثِ لهُ تعالىٰ[1] ؛ لما عرفتَ فيما سبقَ : أنَّ الدليلَ العقليَّ علىٰ إثباتِها كونُ أضدادِها نقائصَ ، ومولانا جلَّ وعزَّ منزَّهٌ عنِ النقائصِ بإجماعِ العقلاءِ .

قولُهُ : (**إذْ لو لم تجبْ لهُ تعالىٰ هٰذهِ الصفاتُ** . . .) إلىٰ آخرِهِ : بيَّنَ بهٰذا الكلامِ وجْهَ استلزامِ استغنائِهِ تعالىٰ بهٰذهِ الصفاتِ ؛ وذلكَ يلزمُ منهُ ثبوتُ الحاجةِ ؛ يعني : إلى المحدِثِ أوِ المحلِّ لوِ انتفىٰ واحدٌ مِنْ تلكَ الصفاتِ .

أمَّا الوجودُ والقدمُ والبقاءُ والمخالفةُ للحوادثِ وأحدُ جزأَيْ معنى القيامِ بالنفسِ ؛ وهو الاستغناءُ عنِ المخصِّصِ . . فلا يخفىٰ عليكَ بعدَ أنْ وصلْتَ إلىٰ هٰذا الموضعِ أنَّ نفْيَ كلِّ واحدٍ مِنْ هٰذهِ الصفاتِ الخمسِ يستلزمُ الحدوثَ ، وقد عرفتَ ممَّا سبقَ أنَّ كلَّ حادثٍ مفتقرٌ إلىٰ محدِثٍ سواهُ ، ويتعالىٰ عن ذلكَ مَنْ وجبَ لهُ الغنى المطلقُ عن كلِّ ما سواهُ .

فقولُنا في أصلِ العقيدةِ : (**لكانَ محتاجاً إلى المحدِثِ**) استدلالٌ علىٰ وجوبِ هٰذهِ الصفاتِ الخمسِ لهُ تعالىٰ .

وقولُنا : (**أوِ المحلِّ**) استدلالٌ علىٰ وجوبِ الجزءِ الثاني مِنْ معنى القيامِ بالنفسِ ؛ وهو الاستغناءُ عنِ المحلِّ .

---

(١) أتىٰ بالعناية لكون هٰذا التفسير غير متبادر من المصنف ؛ لأن المتبادر من قوله : (ويدخل في ذلك) أن الإشارة للتنزُّه ، لا لوجوبه ، لٰكن الدخول إنما هو في وجوبه . « دسوقي » (ص٢٤٦) .

وقولُنا : (**أو مَنْ يدفعُ عنهُ النقائصَ**) استدلالٌ علىٰ وجوبِ التنزُّهِ عنِ النقائصِ الذي يدخلُ فيهِ وجوبُ السمعِ لهُ تعالىٰ والبصرِ والكلامِ[1] .

[تنزُّهُهُ تعالىٰ في أفعالِهِ وأحكامِهِ عنِ الأغراضِ]

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : تَنَزُّهُهُ تَعَالَىٰ عَنِ ٱلأَغْرَاضِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ[2] ، وَإِلا لَزِمَ ٱفْتِقَارُهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ مَا يُحَصِّلُ غَرَضَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ ٱلْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ؟!

وَكَذَا يُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : أَنَّهُ لا يَجِبُ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ فِعْلُ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمُمْكِنَاتِ وَلا تَرْكُهُ ؛ إِذْ لَوْ وَجَبَ عَلَيْهِ تَعَالَىٰ شَيْءٌ مِنْهَا عَقْلاً ؛ كَٱلثَّوَابِ مَثَلاً . . لَكَانَ جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِراً إِلَىٰ ذَلِكَ ٱلشَّيْءِ لِيَتَكَمَّلَ بِهِ ؛ إِذْ لا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ إِلا مَا هُوَ كَمَالٌ لَهُ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَزَّ ٱلْغَنِيُّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ ؟!

الغرضُ المنفيُّ عنهُ تعالىٰ : عبارةٌ عن وجودِ باعثٍ يبعثُهُ تعالىٰ على إيجادِ فعلٍ مِنَ الأفعالِ ، أو علىٰ حكمٍ مِنَ الأحكامِ الشرعيَّةِ ؛ مِنْ

---

(١) وبهـٰذا يكون قد قرَّر **إحدىٰ عشرة عقيدة** ؛ بزيادة معنويات المعاني الثلاثة المذكورة ؛ وهي كونه تعالىٰ سميعاً بصيراً متكلماً .

(٢) **تنزهه تعالىٰ عن الأغراض** : هو داخل في المخالفة ، لـٰكن أوضحه هنا وزاده بياناً . « ياسين » (ق٢٧٢) أو أن دليله استحالةُ انقلاب الحقائق .

مراعاةِ مصلحةٍ تعودُ إليهِ تعالىٰ أو إلىٰ خلقِهِ[١] .

ولا خفاءَ أنَّ كلا الوجهينِ مستحيلٌ على اللهِ تعالىٰ ؛ **أمَّا عَوْدُها إليهِ تعالىٰ** : فلما يلزمُ عليهِ مِنِ احتياجِهِ تعالىٰ إلىٰ أنْ يتكمَّلَ بمخلوقِهِ ، **وأمَّا عودُها إلىٰ خلقِهِ** : فكذلكَ أيضاً ؛ لما يلزمُ عليهِ مِنْ دفعِ النقصِ عنهُ تعالىٰ بخلْقِ المصلحةِ لخلقِهِ تعالىٰ عن ذلكَ ، ودفعُ النقصِ كمالٌ ، فيلزمُ أيضاً في هـٰذا القسمِ الثاني[٢] احتياجُهُ جلَّ وعلا عن ذلكَ إلىٰ مخلوقٍ ؛ وهي المصلحةُ التي تُوجَدُ لخلقِهِ ـ كالثوابِ ونحوِهِ ـ ليتكمَّلَ بها ، ويتعالىٰ عن ذلكَ كلِّهِ مَنْ وجبَ لهُ الغنى المطلقُ تباركَ وتعالىٰ .

فقدِ استبانَ أنَّ أفعالَهُ جلَّ وعلا وأحكامَهُ كلَّها لا علَّةَ لها باعثةً ، وإنَّما هي بمحضِ الاختيارِ[٣] ، وما راعىٰ تعالىٰ مِنْ مصالحِ الخلْقِ

---

(١) **الفرق بينه وبين ما قبله** : أن المصلحة العائدة إليه وصفه ، ووصفه تعالىٰ كمال ، فيكون مفتقراً في الاتصاف بهـٰذا الكمال إلى الأفعال التي تحصل له هـٰذا الكمال ، وأما العائدة إلىٰ خلقه فلأنها وصفهم ، وهي من مخلوقاته ؛ لأنه الخالق لهم ولصفاتهم ، فلو كانت حاملة علىٰ فعل أو حكم لزم ألا يتكمل إلا بذلك الفعل الذي هو وصف لهم ، فيلزم أن يكون وصفاً له حتىٰ يتكمل به . « ياسين » (ق٢٧٢) .

(٢) وهو عود المصلحة إلى الخلق . « جمل » (ق٥٨) .

(٣) قوله : (**وإنما هي**) الضمير راجع إلىٰ مجموع الأفعال والأحكام ، لا كل واحد ؛ لأن الأحكام لا تكون معلقة بالاختيار . « ياسين » (ق٢٧٢) ، وذلك أن الأحكام راجعة لصفة الكلام ، وهي قديمة ، فلا يتصور تعلق الإرادة بتخصيصها .

فبمحضِ فضلِهِ ، ولا حقَّ لأحدٍ عليهِ تعالىٰ .

فأشرنا في أصلِ العقيدةِ إلى القسمِ الأوَّلِ بقولِنا : (**ويُؤخذُ منهُ : تنزُّهُهُ تعالىٰ عنِ الأغراضِ**) إلىٰ قولِهِ : (**عن كلِّ ما سواهُ**) ، وأشرنا إلى القسمِ الثاني بقولِنا : (**وكذا يُؤخذُ منهُ أيضاً : أنَّهُ لا يجبُ عليهِ تعالىٰ فعلُ شيءٍ مِنَ الممكناتِ ولا تركُهُ. . .**) إلىٰ آخرِهِ .

[ما يلزمُ عنِ افتقارِ كلِّ ما سواهُ إليهِ]

وَأَمَّا ٱفْتِقَارُ كُلِّ مَا سِوَاهُ إِلَيْهِ : فَهُوَ يُوجِبُ لَهُ تَعَالَى ٱلْحَيَاةَ ، وَعُمُومَ ٱلْقُدْرَةِ ، وَٱلإِرَادَةِ ، وَٱلْعِلْمِ ؛ إِذْ لَوِ ٱنْتَفَىٰ شَيْءٌ مِنْ هَـٰذِهِ لَمَا أَمْكَنَ أَنْ يُوجِدَ تَعَالَىٰ شَيْئاً مِنَ ٱلْحَوَادِثِ ، فَلا يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ جَلَّ وَعَزَّ شَيْءٌ ، كَيْفَ وَهُوَ تَعَالَى ٱلَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟!

هـٰذا شروعٌ منهُ في ذكْرِ ما يندرجُ تحتَ المعنى الثاني الذي يتضمَّنُهُ معنى الألوهيَّةِ ، ولا خفاءَ أنَّ وجوبَ الافتقارِ إليهِ تعالىٰ يستلزمُ قدرتَهُ تعالىٰ علىٰ إيجادِ الشيءِ المفتقِرِ فيهِ إليهِ[١] ، وذلكَ يستلزمُ أيضاً وجوبَ اتصافِهِ تعالىٰ بالقدرةِ والإرادةِ والعلمِ العامَّةِ لجميعِ

(١) قوله : (**المفتقر**) بكسر القاف ؛ أي : ذلك الشيءُ ، وقوله : (**فيه**) أي : في الإيجاد ، وقوله : (**إليه**) أي : إلى الله تعالىٰ . « دسوقي » (ص٢٤٩) .

متعلَّقاتِها[1] ؛ لما عرفتَ فيما سبقَ مِنْ وجوبِ توقُّفِ تأثيرِ القدرةِ على الإرادةِ والعلمِ ، ويستلزمُ أيضاً وجوبَ اتصافِهِ تعالىٰ بالحياةِ ؛ لوجوبِ توقُّفِ وجودِ تلكَ الصفاتِ علىٰ صفةِ الحياةِ .

وَيُوجِبُ لَهُ تَعَالَى ٱلْوَحْدَانِيَّةَ[2] ؛ إِذْ لَوْ كَانَ مَعَهُ تَعَالَىٰ ثَانٍ فِي أُلُوهِيَّتِهِ لَمَا ٱفْتَقَرَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ؛ لِلُزُومِ عَجْزِهِمَا حِينَئِذٍ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَلا ٱلَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟!

تقدَّمَ في برهانِ الوحدانيَّةِ أنَّ وجودَ إلـٰهٍ ثانٍ يستلزمُ عجزَهما معاً ؛ اتفقا أوِ اختلفا ، والعاجزُ لا يُوجِدُ شيئاً ، فلا يفتقرُ إليهِ شيءٌ .

[دلالةُ كلمةِ التوحيدِ علىٰ حدوثِ العالمِ]

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : حُدُوثُ ٱلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ[3] ؛ إِذْ لَوْ كَانَ شَيْءٌ مِنْهُ قَدِيماً لَكَانَ ذَلِكَ ٱلشَّيْءُ مُسْتَغْنِياً عَنْهُ تَعَالَىٰ ، كَيْفَ وَهُوَ جَلَّ وَعَلا ٱلَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْتَقِرَ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ ؟!

---

(١) وبكونه قادراً ومريداً وعالماً ، تمشّياً مع أصل العقيدة .
(٢) كلمة التوحيد يؤخذ منها وجوب الوحدانية بالمطابقة ، وما ذُكر زيادة تأكيد .
(٣) قوله : (بأسره) ردٌّ على القائلين بأنه قديم بالمادة حادث بالأشخاص .

قد عرفتَ بالبرهانِ فيما سبقَ أنَّ ما ثبتَ قدمُهُ استحالَ عدمُهُ ، فلو كانَ شيءٌ مِنَ العالمِ قديماً لكانَ ذلكَ الشيءُ واجبَ الوجودِ ، لا يقبلُ العدمَ أصلاً ، لا سابقاً ولا لاحقاً ، وإذا كانَ لا يقبلُ العدمَ لم يفتقرْ إلىٰ مخصِّصٍ ، كيفَ وكلُّ ما سواهُ تعالىٰ مفتقرٌ إليهِ غايةَ الافتقارِ ابتداءً ودواماً ؟! فوجبَ إذاً الحدوثُ لكلِّ ما سواهُ جلَّ وعزَّ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : أَنْ لا تَأْثِيرَ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ فِي أَثَرٍ مَا ، وَإِلا لَزِمَ أَنْ يَسْتَغْنِيَ ذَلِكَ ٱلأَثَرُ عَنْ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ، كَيْفَ وَهُوَ تَعَالَى ٱلَّذِي يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ كُلُّ مَا سِوَاهُ عُمُوماً وَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ ؟!

هَـٰذَا إِنْ قَدَّرْتَ أَنَّ شَيْئاً مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ يُؤَثِّرُ بِطَبْعِهِ .

وَأَمَّا إِنْ قَدَّرْتَهُ مُؤَثِّراً بِقُوَّةٍ جَعَلَهَا ٱللهُ تَعَالَىٰ فِيهِ كَمَا يَزْعُمُهُ كَثِيرٌ مِنَ ٱلْجَهَلَةِ . . فَذَلِكَ مُحَالٌ أَيْضاً ؛ لِأَنَّهُ يَصِيرُ حِينَئِذٍ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ مُفْتَقِراً فِي إِيجَادِ بَعْضِ ٱلأَفْعَالِ إِلَىٰ وَاسِطَةٍ ، وَذَلِكَ بَاطِلٌ ؛ لِمَا عَرَفْتَ قَبْلُ مِنْ وُجُوبِ ٱسْتِغْنَائِهِ جَلَّ وَعَزَّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ .

لا شكَّ أنَّهُ لو خرجَ عن قدرتِهِ تعالىٰ ممكنٌ ما . . لم يكنْ ذلكَ الممكنُ مفتقراً إليهِ تعالىٰ ، بل إنَّما يفتقرُ إلىٰ مَنْ أوجدَهُ ، كيفَ وكلُّ

ما سواهُ مفتقرٌ إليهِ تعالىٰ غايةَ الافتقارِ ؟!

وبهـٰذا يبطلُ مذهبُ القدريَّةِ القائلينَ بتأثيرِ القدرةِ الحادثةِ في الأفعالِ مباشرةً أو تولُّداً ، ويبطلُ مذهبُ الفلاسفةِ القائلينَ بتأثيرِ الأفلاكِ والعللِ ، ويبطلُ مذهبُ الطبائعيينَ القائلينَ بتأثيرِ الطبائعِ والأمزجةِ ونحوِها[1] ؛ ككونِ الطعامِ يُشبِعُ ، والماءِ يُرْوِي وينبتُ ويطهِّرُ وينظِّفُ ، والنارِ تُحرِقُ ، والثوبِ يسترُ العورةَ ويقي الحرَّ والبردَ ، ونحوِ ذلكَ ممَّا لا ينحصرُ .

وهم في اعتقادِهمُ التأثيرَ لتلكَ الأمورِ مختلفونَ :

فمنهم : مَنْ يعتقدُ أنَّ تلكَ الأمورَ تؤثِّرُ في تلكَ الأشياءِ التي تقارنُها بطبعِها وحقيقتِها ، قالَ ابنُ دهاقٍ : (ولا خفاءَ في كفرِ مَنْ يعتقدُ هـٰذا)[2] .

ومنهم : مَنْ يعتقدُ أنَّ تلكَ الأمورَ لا تؤثِّرُ بطبائعِها ، بل بقوَّةٍ أودعَها اللهُ تعالىٰ فيها ، ولو نزعَها منها لم تؤثِّرْ ، قالَ ابنُ دهاقٍ : (وقد تبعَ الفيلسوفيَّ علىٰ هـٰذا الاعتقادِ كثيرٌ مِنْ عامَّةِ المؤمنينَ ، ولا خفاءَ في بدعةِ مَنْ يعتقدُ هـٰذا ، وقدِ اختُلِفَ في كفرِهِ[3] ،

---

(١) قوله : (**والأمزجة**) الظاهر أنه عطف تفسير على (الطبائع) ، ولذا أسقطه في كلامه الآتي ، ومثَّل بأمثلة من نوع واحد . « ياسين » (ق٢٧٣) .

(٢) انظر « نكت الإرشاد » (١/ق٣٤) .

(٣) وقال في « نكت الإرشاد » (١/ق٣٤) : (والصواب أنه كافر) ، قال العلامة العكاري المراكشي في « حاشيته علىٰ شرح العقيدة الكبرىٰ » (ق١٢٢) : (جرى ابن دهاق على القول بتكفير المعتزلة ، وينبغي أن يعلم أن الذي عليه العمل وجرت به الفتوىٰ : أنهم مسلمون ، وقد رجع إليه الأشعري) .

والمؤمنُ المحقِّقُ الإيمانَ مَنْ لم يثبتْ لها تأثيراً ألبتةَ ، لا بطبعِها ولا بقوَّةٍ وُضِعَتْ فيها ، وإنَّما يعتقدُ أنَّ مولانا جلَّ وعلا قد أجرى العادةَ بمحضِ اختيارِهِ أنْ يخلقَ تلكَ الأشياءَ عندَها لا بها ، فهٰذا بفضْلِ اللهِ تعالىٰ ينجو مِنْ جميعِ مهالكِ الآخرةِ) .

وأكثرُ ما اغترَّ بِهِ المبتدعةُ : العوائدُ التي أجراها اللهُ جلَّ وعلا[1] ، وظواهرُ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ لم يحيطوا بعلمِها .

والحاصلُ : أنَّ عمدتَهمُ العظمى التقليدُ لما لا يصحُّ تقليدُهُ ولا الاقتداءُ بِهِ مِنْ عوائدَ وغيرِها ، وتركوا الأنظارَ الزكيَّةَ العقليَّةَ المضيئةَ بأنوارِ الكتابِ والسنَّةِ .

أصول الكفر والبدع ستّة

ولهٰذا قيلَ : إنَّ أصولَ الكفرِ ستَّةٌ[2] : الإيجابُ الذاتيُّ ، والتحسينُ العقليُّ ، والتقليدُ الرديءُ ، والربطُ العاديُّ ، والجهلُ المركَّبُ ، والتمسُّكُ في أصولِ العقائدِ بمجرَّدِ ظواهرِ الكتابِ والسنَّةِ مِنْ غيرِ عرضِها على البراهينِ العقليَّةِ والقواطعِ الشرعيَّةِ ؛ للجهلِ بأدلَّةِ

---

(١) كذا في (د) ، وفي عامة النسخ : (اختارها) بدل (أجراها) ، وكلاهما مناسب .

(٢) **تنبيهٌ** : جعل هنا أصول الكفر والبدع ستة ، وفي « المقدمات » ـ انظر « شرح المقدمات » (ص١٩٣) ـ سبعة ، وما ذاك إلا لأنه أدخل هنا القسم السابع في السادس ؛ لأنه جعل التمسك بظاهر الكتاب والسنة ناشئاً عن الجهل بأدلة العقول ، وعدم الارتياض بضوابط العربية ، وما تقرر في فن البيان والعربية ، فلا مخالفة بينهما ، غاية ما ثَمَّ : أنه اعتبره في « المقدمات » قسماً برأسه ، وهنا أضافه لقسم آخر ، والخطب سهل . انتهىٰ مقري . « جمل » (ق ٥٩) .

العقولِ ، وعدمِ الارتياضِ بأساليبِ العربِ ، والجهلِ بما تقرَّرَ في فنِّ العربيةِ والبيانِ مِنْ ضوابطَ وأصولٍ .

فالإيجابُ الذاتيُّ[١] : هو أصلُ كفرِ الفلاسفةِ ؛ حيثُ جعلوا الذاتَ العليَّةَ فاعلةً بمقتضى الإيجابِ الذاتيِّ ؛ أي : هي علَّةٌ للممكنِ المستنِدِ إليها مِنْ غيرِ اختيارٍ ، فقالوا لأجلِ ذلكَ بنفْيِ القدرةِ والإرادةِ وسائرِ الصفاتِ ، تعالى اللهُ عن قولِهم علوّاً كبيراً ، وقالوا لأجلِ ذلكَ بقدمِ العالَمِ[٢] ، وألغَوُا البرهانَ القطعيَّ الدالَّ على حدوثِهِ .

ولا خفاءَ أنَّكَ إذا حقَّقْتَ بما سبقَ وجوبَ الحدوثِ للعالَمِ ، ووجوبَ القدمِ والبقاءِ لمولانا جلَّ وعزَّ . عرفْتَ قطعاً أنَّ صدورَ العالَمِ عنهُ تعالى إنَّما هو بمحْضِ الاختيارِ ، لا بالإيجابِ والتعليلِ ، وإلا كانَ العالَمُ قديماً ، أو كانَ فاعلُهُ حادثاً ؛ لوجوبِ مقارنةِ المعلولِ لعلَّتِهِ ، وكلا الأمرينِ مستحيلٌ قطعاً .

والتحسينُ العقليُّ[٣] : هو أصلُ كفرِ البراهمةِ مِنَ الفلاسفةِ ؛ حتى نفَوُا النبوَّاتِ ، وأصلُ ضلالةِ المعتزلةِ ؛ حتى أوجبوا على اللهِ تعالى مراعاةَ الصلاحِ والأصلحِ لخلقِهِ ، وعلَّلوا أفعالَهُ وأحكامَهُ بالأغراضِ ،

---

(١) هو استناد الكائنات إليه تعالى على سبيل التعليل والطبع من غير اختيار . « ياسين » (ق٢٧٣) ، وانظر « شرح المقدمات » (ص ١٩٤) .

(٢) أي : على تفصيل عندهم ؛ وهو أن العقول والأفلاك وأنواعاً غيرها قديمة ، وأما أشخاص ذلك الغير فحادثة عندهم . « دسوقي » (ص٢٥٣) .

(٣) هو كون أفعاله تعالى موقوفة على الأغراض ؛ وهو جلب المصالح ودرء المفاسد . « ياسين » (ق ٢٧٣) ، وانظر « شرح المقدمات » (ص ١٩٦) .

وجعلوا العقلَ يتوصَّلُ وحدَهُ دونَ شرعٍ إلىٰ أحكامِ اللهِ تعالى الشرعيَّةِ[(١)] ، إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ الضلالاتِ .

والتقليدُ الرديءُ[(٢)] : هو أصلُ كفرِ عبدةِ الأوثانِ وغيرِهم ، حتىٰ قالوا : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٢٣] .

ولهٰذا قالَ المحقِّقونَ : لا يكفي التقليدُ في عقائدِ الإيمانِ ، قالَ بعضُ المشايخِ : لا فرقَ بينَ مقلِّدٍ ينقادُ ، وبهيمةٍ تُقادُ[(٣)] .

والربطُ العاديُّ[(٤)] : هو أصلُ كفرِ الطبائعيينَ ، ومَنْ تبعَهم مِنْ جهلةِ المؤمنينَ ، فرأَوُا ارتباطَ الشبعِ بالأكلِ ، والريِّ بالماءِ ، وسترِ العورةِ بلُبْسِ الثوبِ ، والضوءِ بالشمسِ ، ونحوِ ذلكَ ممَّا لا ينحصرُ ،

---

(١) أي : إنهم قالوا : إن العقل إذا خُلِّيَ ونفسه أدرك الأحكام الشرعية ؛ لأن ما أدرك حسنَه فهو : إما واجب إن كان الحسن عظيماً ، وإما مندوب إن كان الحسن غير عظيم ، وما أدرك قبحَه فهو : إما حرام إن كان قبحه عظيماً ، وإما مكروه إن كان قبحه غير عظيم ، وما لم يدرك العقل فيه حسناً ولا قبحاً فهو مباح ، ويقولون : إن الرسل مؤكدة للعقل ، فهم وإن قالوا بالتحسين العقلي كالبراهمة لٰكن لا ينفون بعثة الرسل كالبراهمة . « دسوقي » (ص٢٥٣) .

(٢) هو متابعة الغير لأجل الحمية والتعصب من غير طلب للحق . « ياسين » (ق ٢٧٣) ، **واحترز بالرديء** عن غير الرديء ؛ وهو التقليد في الفروع ، وانظر « شرح المقدمات » (ص ١٩٨) .

(٣) القول لعبد الله بن المعتز ، كذا أورده له بنحوه الحافظ ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٨٨٧) ، وقال بعده : (هٰذا كله لغير العامة ؛ فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها ؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة ، ولا تصل ـ لعدم الفهم ـ إلىٰ علم ذلك) .

(٤) هو ثبوت التلازم بين أمر وأمر وجوداً وعدماً بواسطة التكرُّر . « ياسين » (ق ٢٧٣) ، وانظر « شرح المقدمات » (ص ٢٠٠) .

ففهموا مِنْ جهلِهم أنَّ تلكَ الأشياءَ هي المؤثِّرةُ فيما ارتبطَ وجودُهُ معَها ؛ إمَّا بطبعِها ، أو بقوَّةٍ وضعَها اللهُ تعالىٰ فيها .

[لا عبرةَ بمكاشفةٍ لا توافقُ الأصولَ اليقينيَّةَ]

وأهلُ السنَّةِ رضيَ اللهُ تعالىٰ عنهم . . نوَّرَ اللهُ تعالىٰ بصائرَهم ؛ فلم يفتتنوا بشيءٍ مِنَ الأكوانِ ، وكُوشفوا بالحقائقِ علىٰ ما هي عليهِ في نفسِ الأمرِ ، وهـٰذهِ هي المكاشفةُ التي يخصُّ اللهُ تعالىٰ بها أولياءَهُ حتىٰ ينجِّيَهم بها مِنْ آفاتِ الكفرِ والبدعِ في أصولِ العقائدِ ، وأمَّا المكاشفةُ بغيرِ هـٰذا فهي ممَّا لا يلتفتُ إليها الموفَّقونَ[1] .

وأمَّا الجهلُ المركَّبُ[2] : فهو ممَّا ابتُليَ بهِ كثيرٌ ، فتجدُهم يعتقدونَ الشيءَ علىٰ خلافِ ما هو عليهِ ، وذلكَ جهلٌ ، ثم يجهلونَ أنَّهم جاهلونَ بهِ ، وذلكَ جهلٌ آخرُ ؛ ولهـٰذا سُمِّيَ جهلاً مركَّباً ؛ كاعتقادِ الفلاسفةِ التأثيرَ للأفلاكِ ، واعتقادِهم قدمَها ، وهـٰذهِ جهالةٌ عظيمةٌ ، ثم هم جاهلونَ بذلكَ الجهلِ منهم ، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

---

(١) في (أ) وحدها : (المحققون) .

(٢) هو أن يجهل الحق ، ويجهل جهله به . « ياسين » (ق ٢٧٣) ، قال العلامة الدسوقي في « حاشيته » (ص٢٥٣) : (**التحقيق** : أن الجهل المركب أمر واحد وجودي ؛ وهو اعتقادك الشيء علىٰ خلاف ما هو عليه ، وإنما سمي ذلك مركباً لاستلزامه جهلين بسيطين) .

وسبب الجهل المركب : ما ذكره المصنف في « شرح المقدمات » (ص٢٠١) بقوله : (وثوق النفس في العقليات بما ليس برهانياً من الأدلة ، وتحسين الظن بما يستبدُّ به من أنظارها واستنباطها) .

عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة : ١٨] .

والتمسُّكُ في أصولِ العقائدِ بمجرَّدِ ظواهرِ الكتابِ والسنَّةِ مِنْ غيرِ بصيرةٍ في العقلِ : هو أصلُ ضلالةِ الحشويَّةِ ، فقالوا بالتشبيهِ والتجسيمِ والجهةِ ؛ عملاً بظاهرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك : ١٦] ، ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صٓ : ٧٥] ، ونحوِ ذلكَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران : ٧][١] .

اللهمَّ ؛ اكتبْنا في زمرةِ أوليائِكَ الناجينَ مِنْ كلِّ فتنةٍ دنيا وأخرىٰ ، يا أرحمَ الراحمينَ .

فَقَدْ بَانَ لَكَ بِهَٰذَا : تَضَمُّنُ قَوْلِ (لا إِلَٰهَ إِلا ٱللهُ) لِلأَقْسَامِ ٱلثَّلاثَةِ ٱلَّتِي يَجِبُ عَلَى ٱلْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهَا فِي حَقِّ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ[٢] ؛ وَهِيَ : مَا يَجِبُ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ ، وَمَا يَجُوزُ .

---

(١) قوله تعالىٰ : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي : يعتقدون ظواهره ويتمسكون به . « دسوقي » (ص٢٥٤) .

(٢) **أراد بالتضمُّن** : معناه اللغوي ؛ وهو إفهام الكلمة معنىً ، لا المنطقي . « ياسين » (ق٢٧٤) ، وسبق أنَّ ما ذُكر ثابت باللوازم ، لا بالمطابقة والتضمن .

لا خفاءَ في صدْقِ ما ذَكَرَ ، وتتبُّعُ كلامِهِ بالاستقراءِ يشهدُ لهُ ، وليسَ الخبرُ كالعِيانِ .

[ما يلزمُ عن قولِنا : (محمدٌ رسولُ اللهِ ﷺ)]

وَأَمَّا قَوْلُنَا : (مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ) صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَيَدْخُلُ فِيهِ ٱلإِيمَانُ بِسَائِرِ ٱلأَنْبِيَاءِ وَٱلْمَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ، وَٱلْكُتُبِ ٱلسَّمَاوِيَّةِ ، وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ ؛ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ جَاءَ بِتَصْدِيقِ جَمِيعِ ذَلِكَ .

لا شكَّ أنَّ تصديقَ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في رسالتِهِ بحسَبِ ما دلَّتْ عليهِ معجزاتُهُ التي لا حصرَ لها ، والإقرارَ بذلكَ . . يستلزمُ التصديقَ بكلِّ ما جاءَ بهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ .

ومِنْ جملةِ ما أتى بهِ ما ذكرَ هنا ، وكذا غيرُ ذلكَ ممَّا لا ينحصرُ ؛ كالبعثِ لعينِ هـٰذا البدنِ لا لمثلِهِ ، وفتنةِ القبرِ وعذابِهِ ، والصراطِ ، والميزانِ ، والحوضِ ، والشفاعةِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا يطولُ تتبُّعُهُ ، وهو مفصَّلٌ في الكتابِ والسنَّةِ وتآليفِ علماءِ الشريعةِ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ : وُجُوبُ صِدْقِ ٱلرُّسُلِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ، وَٱسْتِحَالَةُ ٱلْكَذِبِ عَلَيْهِمْ ، وَإِلا لَمْ يَكُونُوا رُسُلاً أُمَنَاءَ لِمَوْلانَا ٱلْعَالِمِ بِٱلْخَفِيَّاتِ جَلَّ وَعَزَّ ، وَٱسْتِحَالَةُ فِعْلِ ٱلْمَنْهِيَّاتِ كُلِّهَا ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ أُرْسِلُوا لِيُعَلِّمُوا ٱلْخَلْقَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَسُكُوتِهِمْ ، فَيَلْزَمُ أَلا يَكُونَ فِي جَمِيعِهَا مُخَالَفَةٌ لِأَمْرِ مَوْلانَا جَلَّ وَعَزَّ ٱلَّذِي ٱخْتَارَهُمْ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلْخَلْقِ ، وَأَمِنَهُمْ عَلَىٰ سِرِّ وَحْيِهِ[١] .

لا شكَّ أنَّ إضافةَ (الرسولِ) إلى (اللهِ) تعالىٰ تقتضي أنَّهُ جلَّ وعزَّ اختارَهُ للرسالةِ كما اختارَ إخوانَهُ المرسلينَ لذلكَ ، وقد علمْتَ أنَّ علمَهُ تعالىٰ محيطٌ بما لا نهايةَ لهُ ، وأنَّ الجهلَ وما في معناهُ مستحيلٌ على اللهِ تعالىٰ ، فلزمَ أنَّ تصديقَهُ تعالىٰ لهم مطابقٌ لما علمَهُ تعالىٰ منهم مِنَ الصدقِ والأمانةِ ، فيستحيلُ أنْ يكونوا في نفسِ الأمرِ علىٰ خلافِ ما علمَهُ تعالىٰ منهم ، وقد أمرَ تعالىٰ بالاقتداءِ بهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ في أقوالِهم وأفعالِهم[٢] ، فيلزمُ أنْ يكونَ جميعُها علىٰ

---

(١) يقال : أَمِنَهُ وآمَنَه علىٰ كذا ؛ إذا جعله مؤتمناً عليه ، قال تعالىٰ حاكياً قول سيدنا يعقوب علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ [يوسف : ٦٤] .

(٢) استدلال على الأمانة والتبليغ . « ياسين » (ق٢٧٧) .

وَفْقِ ما يرضاهُ مولانا جلَّ وعزَّ ، وهو المطلوبُ .

وَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَيْضاً : جَوازُ ٱلأَعْرَاضِ ٱلْبَشَرِيَّةِ ٱلَّتِي لا تُؤَدِّي إِلَىٰ نَقْصٍ فِي مَرَاتِبِهِمُ ٱلْعَلِيَّةِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ ؛ إِذْ ذَاكَ لا يَقْدَحُ فِي رِسَالَتِهِمْ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، بَلْ ذَاكَ مِمَّا يَزِيدُ فِيهَا .

فَقَدِ ٱتَّضَحَ لَكَ تَضَمُّنُ كَلِمَتَي ٱلشَّهَادَةِ مَعَ قِلَّةِ حُرُوفِهَا لِجَمِيعِ مَا يَجِبُ عَلَى ٱلْمُكَلَّفِ مَعْرِفَتُهُ مِنْ عَقَائِدِ ٱلإِيمَانِ فِي حَقِّهِ تَعَالَىٰ وَفِي حَقِّ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ .

لا شكَّ أنَّ عَجُزَ هـٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ إنَّما أثبتَ لهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الرسالةَ ، لا الألوهيَّةَ ، وفي معناهُ إثباتُ الرسالةِ لإخوانِهِ المرسلينَ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، فلا يمتنعُ في حقِّهم عليهمُ الصلاةُ والسلامُ إلا ما يقدحُ في رتبةِ الرسالةِ ، ولا خفاءَ أنَّ تلكَ الأعراضَ البشريَّةَ مِنَ الأمراضِ ونحوِها لا تُخِلُّ بشيءٍ مِنْ مراتبِ الأنبياءِ والرُّسُلِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، بل هي ممَّا يزيدُ فيها باعتبارِ تعظيمِ أجرِهم مِنْ جهةِ ما يقارنُها مِنْ طاعةِ الصبرِ وغيرِهِ(١) .

---

(١) كالتشريع وتسلية الخلق ؛ كما وقع من سهو نبينا ؛ فإنه عرض بشري ترتب عليه التشريع . « دسوقي » (ص٢٥٧) .

وفيها أيضاً : أعظمُ دليلٍ علىٰ صدقِهم ، وأنَّهم مبعوثونَ مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ ، وأنَّ تلكَ الخوارقَ التي ظهرَتْ علىٰ أيديهم هي بمحْضِ خلْقِ اللهِ تعالىٰ لها تصديقاً لهم ؛ إذْ لو كانَتْ لهم قوَّةٌ على اختراعِها[1] لدفعوا عن أنفسِهم ما هو أيسرُ منها ؛ مِنَ الأمراضِ والجوعِ وألمِ الحرِّ والبردِ ونحوِ ذلكَ ممَّا سلمَ منهُ كثيرٌ ممَّنْ لم يتَّصفْ بالنبوَّةِ .

وفيها أيضاً : رفْقٌ بضعفاءِ العقولِ ؛ لئلا يعتقدوا فيهمُ الألوهيَّةَ بما يرونَ لهم ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ علىٰ جميعِهم ـ مِنَ الخوارقِ والخواصِّ التي خصَّهمُ اللهُ تعالىٰ بها ، ولهـٰذا استدلَّ تعالىٰ على النصارىٰ في قولِهم بألوهيَّةِ عيسىٰ وأمِّهِ ـ عليهما الصلاةُ والسلامُ وعلىٰ نبيِّنا وعلىٰ سائرِ الأنبياءِ والمرسلينَ ـ بافتقارِهما إلى الأعراضِ البشريَّةِ ؛ مِنْ أكلِ الطعامِ ونحوِهِ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ﴾[2] [المائدة : ٧٢ـ٧٥] ، فسبحانَهُ ما أعظمَ لطفَهُ بخلقِهِ !

جعلَنا اللهُ تعالىٰ ممَّنْ علمَ فعملَ ، وعملَ فأخلصَ ، وأخلصَ فدامَ علىٰ ذلكَ إلى المماتِ ، ونجا مِنْ كلِّ هولٍ بفضْلِ اللهِ تعالىٰ وتخلَّصَ .

---

(١) في هامش (أ) : (كما يقول بعض الفلاسفة أهلكهم الله) .
(٢) هو عند صاحب « الكشاف » كناية عن لازمه ؛ من الخارج . « ياسين » (ق٢٧٨) .

وقولُنا : (**فقدِ اتَّضحَ لكَ. . .**) إلىٰ آخرِهِ : كلامٌ حقٌّ ، شاهدُهُ معَهُ[1] .

[عظمةُ شأنِ كلمةِ التوحيدِ]

وَلَعَلَّهَا لِاخْتِصَارِهَا مَعَ ٱشْتِمَالِهَا عَلَىٰ مَا ذَكَرْنَاهُ جَعَلَهَا ٱلشَّرْعُ تَرْجَمَةً عَلَىٰ مَا فِي ٱلْقَلْبِ مِنَ ٱلإِيمَانِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ ٱلإِسْلامَ إِلا بِهَا .

لا شكَّ أنَّهُ عليهِ الصلاةُ والسلامُ قد خُصَّ بجوامعِ الكلمِ ، وتحتَ كلِّ كلمةٍ مِنْ كلماتِهِ مِنَ الفوائدِ ما لا ينحصرُ ، فاختارَ لأُمَّتِهِ في ترجمةِ الإيمانِ ، وما يمرحونَ بهِ في الجنانِ حيثُ شاؤوا . . هـٰذهِ الكلمةَ الشريفةَ السهلةَ حِفْظاً وذكراً ، الكثيرةَ الفوائدِ علماً وحسّاً ، فما تعبوا فيهِ مِنْ تعليمِ عقائدِ الإيمانِ الكثيرةِ المفصَّلةِ . . جمعَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لهم ذلكَ في حرزِ هـٰذهِ الكلمةِ المنيعِ ، وتمكَّنوا مِنْ عقائدِ الإيمانِ كلِّها بذكرٍ واحدٍ خفيفٍ على اللسانِ[2] ، ثقيلٍ في الميزانِ ، ذي قدْرٍ لا يُحاطُ بهِ عندَ المولى الكريمِ العميمِ الإحسانِ .

---

(١) أي : دليله معه ، ودليله : هو ما تقدم تقريره من المصنف . « دسوقي » (ص٢٥٧) .

(٢) كذا في (أ) ، وفي سائر النسخ : (بذكر عقائد الإيمان) بدل (من عقائد الإيمان) .

ثم إنَّ كلَّ عقيدةٍ مِنْ عقائدِ الإيمانِ لِمَنْ عرفَها سيفٌ صارمٌ يقطعُ بهِ ظهرَ إبليسَ اللعينِ وأعوانَهُ[(١)] ، ويقذفُ في القلبِ نوراً ساطعاً يكشفُ عنهُ ظلماتِ الأوهامِ ويغسلُ منهُ أدرانَهُ ، فجعلَ الشرعُ ذكرَ هٰذهِ الكلمةِ الخفيفةِ المشرَّفةِ جامعةً لسيوفِ العقائدِ كلِّها[(٢)] ، محصِّلةً لأنوارِ المعارفِ بأجمعِها ، **فهو ذكرٌ واحدٌ في اللفظِ** ، **وفي الحقيقةِ هو أذكارٌ كثيرةٌ** ، يقضي بها العارفُ بذكرِهِ مرَّةً واحدةً ما لا يقضيهِ غيرُهُ إلا في أزمنةٍ متطاولةٍ[(٣)] .

ثم تنبَّهْ أيُّها المؤمنُ لعظيمِ رحمةِ اللهِ تعالىٰ وإنعامِهِ علينا بهٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ ، التي لا يعلمُ عامَّةُ الناسِ عظيمَ قدْرِها إلا بعدَ الموتِ وفي الآخرةِ ؛ وهو أنَّ المكلَّفَ إنَّما ينجو مِنَ الخلودِ في النارِ إذا اتَّصفَ في آخرِ حياتِهِ بعقائدِ الإيمانِ التي تتعلَّقُ باللهِ تعالىٰ وبرسلِهِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ ، والغالبُ عليهِ في ذلكَ الوقتِ الهائلِ الضَّعفُ عنِ استحضارِ جميعِ عقائدِ الإيمانِ مفصَّلةً ، فعلَّمَهُ الشرعُ بمقتضى الفضْلِ العظيمِ هٰذهِ الكلمةَ السهلةَ العظيمةَ القدْرِ ؛ حتىٰ يذكرَ بها في لحظةٍ مِنْ غيرِ مشقَّةٍ تنالُهُ في ذلكَ الوقتِ الضيقِ الهائلِ جميعَ عقائدِ

---

(١) الظاهر أن **الواو** واو المفعول معه ، **وأعوانه** : منصوب علىٰ أنه مفعول معه ، فتتم الفقرة ؛ لأن قوله : (وأدرانَهُ) منصوب قطعاً . « ياسين » (ق ٢٧٩) .

(٢) قوله : (**جامعة**) أنَّث ذكره لأنه اكتسب التأنيث بالإضافة . « ياسين » (ق٢٧٩) ، وفي (د ، هـ) : (جامعاً ، محصلاً) ، وعليه فلا إشكال .

(٣) **المراد بالغير** : من لا علم له بمعرفة اندراج العقائد تحت هٰذه الكلمة . « ياسين » (ق٢٧٩) .

الإيمانِ بلسانِهِ أو بقلبِهِ ، واكتفىٰ منهُ في هـٰذا الوقتِ الضيِّقِ بمجرَّدِ ذكرِها مجملةً ؛ إذْ طالما أدارَها قبلَ ذلكَ علىٰ لسانِهِ وقلبِهِ مفصَّلةً .

ولهـٰذا قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[1] ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[2] ، فالأوَّلُ فيمَنْ يستطيعُ النطقَ ، والثاني فيمَنْ لا يستطيعُهُ ، واللهُ تعالىٰ أعلمُ[3] .

وكذلكَ أيضاً لهُ أنْ يكتفيَ في جوابِ الملكينِ الكريمينِ في القبرِ بمجرَّدِ هـٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ ؛ حيثُ يمنعُهُ مانعُ الهيبةِ والخوفِ مِنْ ذكرِ عقائدِ الإيمانِ لهما مفصَّلةً ، وقد وردَ أنَّهما يجتزئانِ منهُ بذلكَ[4] ، وكيفَ لا يجتزئانِ منهُ بهـٰذا الجوابِ العظيمِ وقد ذَكَرَ لهما

---

(١) رواه أبو داود (٣١١٦) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .
تنبيه : قال العلامة القرافي في « الفروق » (١/ ٣٣٩) : (من خرس لسانه عند الموت ، وذهب عقله ، فلم ينطق بالشهادة عند الموت ، ولا أحضر الإيمانَ بقلبه ، ومات علىٰ تلك الحال . . مات مؤمناً ، ولا يضرُّه عدم الإيمان الفعلي عند الموت) .

(٢) رواه مسلم (٢٦) من حديث سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وقوله : (**دخل الجنة**) إما ابتداءً ، أو بعد نفوذ الوعيد . « ياسين » (ق٢٨٠) .

(٣) وجعل الحديثين الحافظُ البيهقي في « الاعتقاد » (ص ٨٤) بمعنى الوفاة على الإيمان ، حتىٰ يستحق دخول الجنان ، **وعليه** : فالمعتبر هو الكلام النفسي لا اللفظي ، وإنما النطق بها ساعة الموت بشارةٌ وكمال .

(٤) روى الترمذي (١٠٧١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا قُبرَ الميتُ ـ أو قال : أحدُكم ـ أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقانِ ، يقال لأحدهما : المنكرُ ، وللآخرِ : النكيرُ ، فيقولانِ : ما كنتَ تقولُ في هـٰذا =

المؤمنُ في هـٰذهِ الكلمةِ معَ اختصارِها جميعَ عقائدِ الإيمانِ على التمامِ ؟!

فما أوسعَ كرمَ مولانا جلَّ وعزَّ على المؤمنِ ، وأغزرَ نِعَمَهَ ، وألطفَ حكمَهُ !

جعلَنا اللهُ تعالىٰ ممَّنْ عرفَ قدْرَ نعمِهِ فشكرَها ، وممَّنْ شكرَها فقُبِلَ منهُ ذلكَ الشكرُ ، ووجدَ عظيمَ بركتِها دنيا وأخرىٰ ، بجاهِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

* * *

= الرجلِ ؟ فيقول ما كانَ يقول ؛ هو عبدُ اللهِ ورسولُهُ ، أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، وأن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ . . . » الحديث .

خاتمة العقيدة الصغرى

فَعَلَى ٱلْعَاقِلِ أَنْ يُكْثِرَ مِنْ ذِكْرِهَا ، مُسْتَحْضِراً لِمَا ٱحْتَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ عَقَائِدِ ٱلإِيمَانِ ، حَتَّىٰ تَمْتَزِجَ مَعَ مَعْنَاهَا بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ[1] ؛ فَإِنَّهُ يَرَىٰ لَهَا مِنَ ٱلأَسْرَارِ وَٱلْعَجَائِبِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ تَعَالَىٰ مَا لا يَدْخُلُ تَحْتَ حَصْرٍ ، وَبِٱللهِ تَعَالَى ٱلتَّوْفِيقُ ، لا رَبَّ غَيْرُهُ ، وَلا مَعْبُودَ سِوَاهُ .

نَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَأَحِبَّتَنَا[2] عِنْدَ ٱلْمَوْتِ نَاطِقِينَ بِكَلِمَتَيِ ٱلشَّهَادَةِ عَالِمِينَ بِهَا .

---

(١) قال العارف بالله عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالىٰ في « الأنوار الإلـٰهية » (ص١٥٦) : (« بلحمه » راجع إلى اللفظ ؛ بحيث يصير لسانه ينطق بها من غير قصد لذلك نوماً ويقظة ، « ودمه » راجع إلى المعنىٰ ؛ بحيث يصير معناها مرسوماً في دم القلب والعروق من كثرة الاستحضار ، كما أخبرني بعض أشياخي عند قراءة هـٰذا المحل عليه ؛ بأنه رأىٰ رجلاً من الصالحين كان يكثر من تلاوة كلمة الشهادة ، ثم لما مات ووضع على السرير للغسل وجدوا علىٰ صدره مكتوباً بالدم من داخل الجلد : لا إلـٰه إلا الله محمد رسول الله ، قال شيخي المذكور : فقبَّلت ذلك الموضع ، وبكيت وبكى الناس ، فقلت لهم : هـٰذا سرُّ قول السنوسي رحمه الله تعالىٰ : « حتىٰ تمتزج بلحمه ودمه ») .

(٢) أي : من يحبُّنا ، لا من نحبُّهُ ، كما نُقل عن المصنف . « ياسين » (ق٢٨٠) .

وَصَلَّى ٱللهُ عَلَىٰ سَيِّدِنَا وَمَوْلانَا مُحَمَّدٍ عَدَدَ مَا ذَكَرَهُ ٱلذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ ٱلْغَافِلُونَ(١) ، وَرَضِيَ ٱللهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ أَجْمَعِينَ ، وَعَنِ ٱلتَّابِعِينَ وَتَابِعِ ٱلتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ، وَسَلامٌ عَلَىٰ جَمِيعِ ٱلأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ ، وَٱلْحَمْدُ للهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ .

قد آنَ لنا أنْ نذكرَ في شرحِ هـٰذهِ الجملةِ الفصولَ الأربعةَ التي كُنَّا وعدنا بذكرِها ، وهي بقيةُ الفصولِ السبعةِ المتعلِّقةِ بهـٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ .

* * *

(١) صيغة الصلاة هـٰذه للإمام الشافعي في « الرسالة » (ص١٦) .

الفصل الرابع
في بيان حكم كلمة التوحيد

أمَّا الفصلُ الأوَّلُ[1] **مِنَ الفصولِ الأربعةِ : ففي بيانِ حكْمِ هٰذهِ الكلمةِ .**

فاعلمْ : أنَّ الناسَ علىٰ ضربينِ : مؤمنٌ ، وكافرٌ .

فأمَّا المؤمنُ بالأصالةِ[2] : فيجبُ عليهِ أنْ يذكرَها مرَّةً في العمرِ ، ينوي في تلكَ المرَّةِ بذكرِها الوجوبَ ، وإنْ تركَ ذلكَ فهو عاصٍ[3] ، وإيمانُهُ صحيحٌ ، واللهُ أعلمُ .

ثم ينبغي لهُ بعدَ أداءِ الواجبِ أنْ يكثرَ مِنْ ذكرِها ، مستحضراً لما احتوَتْ عليهِ كما أشرنا إلىٰ ذلكَ بقولِنا في أصلِ العقيدةِ : (**فعلى العاقلِ أنْ يكثرَ مِنْ ذكرِها**) ، وليعرفْ معناها أوَّلاً ؛ لينتفعَ بذكرِها دنيا وأخرىٰ .

---

(١) هو الرابع بالنسبة للفصول السبعة التي افتتحت (ص٢٦٠) ، والأول من الأربعة هنا ، ويقال ذلك فيما سيأتي من هٰذه الفصول .

(٢) أي : الذي لم يسبق له كفر . « دسوقي » (ص٢٦١) .

(٣) أي : بأن لم يأتِ بها أصلاً ، أو أتىٰ بها ولم ينو أداء الواجب عليه . « دسوقي » (ص٢٦١) .

وأمَّا الكافرُ[١] : فذكرُهُ لهٰذهِ الكلمةِ واجبٌ شُرِطَ في صحَّةِ إيمانِهِ القلبيِّ معَ القدرةِ ، وإنْ عجزَ عن ذكرِها بعدَ حصولِ إيمانِهِ القلبيِّ لمفاجأةِ الموتِ لهُ ونحوِ ذلكَ . . سقطَ عنهُ الوجوبُ وكانَ مؤمناً ، هٰذا هو المشهورُ مِنْ مذهبِ أهلِ السنَّةِ[٢] .

وقيلَ : لا يصحُّ الإيمانُ بدونِها مطلقاً ، ولا فرقَ في ذلكَ بينَ المختارِ والعاجزِ[٣] .

وقيلَ : يصحُّ الإيمانُ بدونِها مطلقاً وإنْ كانَ التاركُ لها اختياراً عاصياً كما في حقِّ المؤمنِ بالأصالةِ إذا نطقَ بها ولم ينوِ الوجوبَ[٤] .

ومنشأُ الخلافِ في هٰذهِ الأقوالِ الثلاثةِ : الخلافُ في هٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ : هل هي شرطٌ في الإيمانِ ، أو جزءٌ منهُ ، أو ليسَتْ بشرطٍ

---

(١) **حاصله** : أن الأقوال فيه ثلاثة : **الأول** : أنه شرط لصحة الإيمان ، **والثاني** : أنه شطر له ، **والثالث** : أنه ليس بشرط ولا شطر ، **وهٰذا الأخير هو المعتمد** ، واستظهره حجة الإسلام في « إحياء علوم الدين » (١/ ٤٣٣) ، وعبارته : (ولا ينعدم الإيمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب ، كما لا ينعدم بالسكون عن الفعل الواجب) .

(٢) **غير مسلَّم** ، بل هٰذا ضعيف . « دسوقي » (ص٢٦٢) .

(٣) تبع في حكاية هٰذا القول القاضي عياضاً . « ياسين » (ق٢٨٠) .

(٤) **وهو المعتمد** ، وعليه : فمن صدق بقلبه ولم ينطق بالشهادتين ، سواء كان قادراً على النطق أو كان عاجزاً عنه . . **فهو مؤمن عند الله يدخل الجنة** ، وإن كانت لا تجري عليه الأحكام الدنيوية ؛ من غسل وصلاة عليه ودفن في مقابر المسلمين ، ولا ترثه ورثته المسلمون . « دسوقي » (ص٢٦٢) .

فيهِ ولا جزءٍ منهُ ؟ والأوَّلُ هو المختارُ[1] .

* * *

(١) عند الإمام المصنف رحمه الله تعالىٰ وجماعةٍ من أهل العلم ، والمسألة خلافية كما نبَّهَ علىٰ ذلك حجة الإسلام في « الإحياء » (١/ ٤٣٣) ، **وجمهرةٌ من المحقِّقين علىٰ أن القول الثالث هنا هو المعتمد** ، ولا حجة لمن خالفهم بنحو قوله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] ، فكفر هـٰؤلاء ناشىء عن الاستكبار والعناد كما نبَّه علىٰ ذلك المحقق السعد في « شرح المقاصد » (٢/ ٢٥٠) ، والآبي مذعنٌ مقرٌّ ، عصىٰ بترك النطق كما عصى المؤمن بترك الزكاة والصيام مثلاً ، وهـٰذا الحكم من حيث النجاة عند الله تعالىٰ ، أما في الدنيا فحكمه الكفر ؛ إذ لا سبيل لمعرفة إيمانه إلا بالنطق ، وانظر « فتاوى الرملي الكبير » (٤/ ٣٩١) .

الفصل الخامس
في بيان فضل كلمة التوحيد

وأمَّا الفصلُ الثاني مِنَ الفصولِ الأربعةِ : ففي بيانِ فضلِها .

فاعلمْ : أنَّهُ لو لم يكنْ في بيانِ فضلِها إلا كونُها عَلَماً على الإيمانِ في الشرعِ ، تعصمُ الدماءَ والأموالَ إلا بحقِّها ، وكونُ إيمانِ الكافرِ موقوفاً على النطقِ بها.. لكانَ كافياً للعقلاءِ ، كيفَ وقد وردَ في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ ؟!

فمنها : قولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَٱلنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ » رواهُ مالكٌ في « الموطأِ »[1] ، زادَ الترمذيُّ في روايتِهِ[2] : « لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »[3] .

وروىٰ هو والنسائيُّ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَفْضَلُ

---

(١) الموطأ (١/ ٢١٤) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز رحمه الله تعالىٰ مرسلاً .

(٢) **ظاهره** : أن الترمذي اختصَّ بهـٰذه الزيادة ، ونصَّ ابن غازي علىٰ أن هـٰذا الحديث بكماله خرَّجه الكتب الستة التي هي كفُّ الإسلام ومعصمه . « ياسين » (ق٢٨٠) .

(٣) سنن الترمذي (٣٥٨٥) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

ٱلذِّكْرِ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، وَأَفْضَلُ ٱلدُّعَاءِ : ٱلْحَمْدُ للهِ »[١] .

وروى النسائيُّ أنَّهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « قَالَ مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلاةُ وَٱلسَّلامُ : يَا رَبِّ ؛ عَلِّمْنِي مَا أَذْكُرُكَ بِهِ وَأَدْعُوكَ بِهِ ، فَقَالَ : يَا مُوسَىٰ ؛ قُلْ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، قَالَ مُوسَىٰ : يَا رَبِّ ؛ كُلُّ عِبَادِكَ يَقُولُونَ هَـٰذَا ، قَالَ : قُلْ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، قَالَ : لا إِلَـٰهَ إِلا أَنْتَ ، إِنَّمَا أُرِيدُ شَيْئاً تَخُصُّنِي بِهِ ، قَالَ : يَا مُوسَىٰ ؛ لَوْ أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ ٱلسَّبْعَ وَعَامِرَهُنَّ غَيْرِي وَٱلأَرَضِينَ ٱلسَّبْعَ فِي كِفَّةٍ ، وَلا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ فِي كِفَّةٍ . . لَمَالَتْ بِهِنَّ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ »[٢] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يُؤْتَىٰ بِرَجُلٍ إِلَى ٱلْمِيزَانِ ، وَيُؤْتَىٰ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ سِجِلاً ، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدَّ ٱلْبَصَرِ ، فِيهَا خَطَايَاهُ وَذُنُوبُهُ ، فَتُوضَعُ فِي كِفَّةِ ٱلْمِيزَانِ ، ثُمَّ تُخْرَجُ بِطَاقَةٌ مِقْدَارَ ٱلأَنْمُلَةِ ، فِيهَا شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ ، فَتُوضَعُ فِي ٱلْكِفَّةِ ٱلأُخْرَىٰ ، فَتَرْجَحُ بِخَطَايَاهُ وَذُنُوبِهِ »[٣] .

وروى الترمذيُّ : أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « ٱلتَّسْبِيحُ نِصْفُ ٱلإِيمَانِ ، وَٱلْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ ٱلْمِيزَانَ ، وَلا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ لَيْسَ لَهَا

---

(١) سنن الترمذي (٣٣٨٣) ، وسنن النسائي الكبرىٰ (١٠٥٩٩) من حديث سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) سنن النسائي الكبرىٰ (١٠٩١٣) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٣) رواه الترمذي (٢٦٣٩) ، وابن ماجه (٤٣٠٠) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

دُونَ ٱللهِ حِجَابٌ حَتَّىٰ تَخْلُصَ إِلَيْهِ »[1] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا قَالَ أَحَدٌ : (لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ) مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ .. إِلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ حَتَّىٰ تُفْضِيَ إِلَى ٱلْعَرْشِ ، مَا ٱجْتُنِبَتِ ٱلْكَبَائِرُ »[2] .

وقالَ لأبي طالبٍ : « يَا عَمِّ ؛ قُلْ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ؛ كَلِمَةً .. أُحَاجَّ لَكَ بِهَا عِنْدَ ٱللهِ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّهَا ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى ٱللهِ »[4] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي ، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ مَنْ

---

(١) سنن الترمذي (٣٥١٨) من حديث سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .
وقوله : (حتىٰ تخلص إليه) قال العلامة القاري في « مرقاة المفاتيح » (٤/ ١٦٠٣) : (أي : تصل عنده ، وتنتهي إلىٰ محل القبول ، والمراد بهـٰذا وأمثاله : سرعة القبول والإجابة ، وكثرة الأجر والإثابة) .

(٢) رواه الترمذي (٣٥٩٠) ، والنسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٦٠١) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (١٣٦٠ ، ٣٨٨٤) من حديث سيدنا المسيب بن حزن رضي الله عنه والد سعيد بن المسيب ، وهو ممن بايع تحت الشجرة ، وقوله : (أحاجَّ) هو بفتح الجيم وقد حُرِّكت بذلك بعد الجزم بجواب الأمر ، أو بضمها علىٰ أنه خبر لمبتدأ محذوف .

(٤) رواه البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ » ، فقـالَ لـهُ أبـو ذرٍّ : وإنْ زنـىٰ وإنْ سـرقَ ؟ فقـالَ : « وَإِنْ زَنَـىٰ وَإِنْ سَرَقَ »[1] .

وقـالَ صلَّـى اللهُ عليـهِ وسلَّـمَ : « مَـنْ دَخَـلَ ٱلْقَبْـرَ بِـ (لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ) . . خَلَّصَهُ ٱللهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[2] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَسْعَدُ ٱلنَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ : مَنْ قَالَ : (لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ) مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ »[3] .

وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »[4] .

وعن عِتْبانَ بنِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : غدا عليَّ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فقالَ : « لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَقُولُ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، يَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ ٱللهِ . . إِلا حَرَّمَهُ ٱللهُ عَلَى ٱلنَّارِ »[5] .

---

(١) رواه البخاري (١٢٣٧) من حديث سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٢/ ٣٧٣) : (أي : صار إليها إما ابتداءً من أول الحال ، وإما بعد أن يقع ما يقع من العذاب ، نسأل الله العفو والعافية) .

(٢) رواه النسائي في « السنن الكبرىٰ » (١٠٨٨٤) من حديث سيدنا زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه .

(٣) رواه البخاري (٩٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه مسلم (٢٦) من حديث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٥) رواه البخاري (٦٤٢) .

وعنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ : مِفْتَاحُ ٱلْجَنَّةِ »(١) .

وروى الحسنُ : (أنَّ لا إِلـٰهَ إِلا اللهُ : ثمنُ الجنةِ)(٢) .

وعنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ لُقِّنَ عِنْدَ ٱلْمَوْتِ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »(٣) .

وعنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَقِّنُوا أَمْوَاتَكُمْ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ؛ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ ٱلذُّنُوبَ هَدْماً » ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ فإنْ قالَها في حياتِهِ ؟ قالَ : « هِيَ أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ »(٤) .

وفي « مسندِ البزارِ » عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَالَ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ . . نَفَعَتْهُ يَوْماً مِنْ دَهْرِهِ ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ »(٥) .

وفي « الإحياءِ » : (قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَوْ جَاءَ قَائِلُ :

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/ ٢٤٢) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٤٦١) .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/ ٤٧٤) من حديث زاذان عن رجل من أصحابه عليه الصلاة والسلام .

(٤) رواه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٤٨٨) من حديث سيدنا عروة بن مسعود رضي الله عنه ، وبنحوه رواه البزار في « مسنده » (٦٤٩٩) من حديث سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ورواه عبد الرزاق في « المصنف » (٦٠٤٨) موقوفاً على سيدنا ابن مسعود رضي الله عنه .

(٥) مسند البزار (٨٢٩٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

لا إِلَـهَ إلا ٱللهُ صَادِقاً بِقُرَابِ ٱلأَرْضِ ذُنُوباً . غُفِرَ لَهُ ذَلِكَ »)[١] .

وفيهِ أيضاً : (وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيْسَ عَلَىٰ أَهْلِ (لا إِلَـهَ إلا ٱللهُ) وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ ، وَلا فِي ٱلنُّشُورِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ ٱلصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُؤُوسَهُمْ مِنَ ٱلتُّرَابِ ، وَيَقُولُونَ : ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ »)[٢] .

وفيهِ أيضاً : (وقالَ لأبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ؛ إِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تَعْمَلُهَا تُوزَنُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، إِلا شَهَادَةَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلا ٱللهُ ؛ فَإِنَّهَا لا تُوضَعُ فِي مِيزَانٍ ؛ لِأَنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي مِيزَانِ مَنْ قَالَهَا صَادِقاً ، وَوُضِعَتِ ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلأَرَضُونَ ٱلسَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ . . كَانَ (لا إِلَـهَ إِلا ٱللهُ) أَرْجَحَ مِنْ ذَلِكَ »)[٣] .

وفيهِ : (وقالَ : « مَنْ قَالَ : لا إِلَـهَ إِلا ٱللهُ مُخْلِصاً . . دَخَلَ ٱلْجَنَّةَ »)[٤] .

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٥) ، وأصل الأثر مفادٌ من نفي الشرك في الحديث القدسي الذي رواه الترمذي (٣٥٤٠) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفيه : « يا بنَ آدمَ ؛ إنَّكَ لو أتيتَني بقرابِ الأرضِ خطايا ، ثم لقيتَني لا تشركُ بي شيئاً . . لأتيتُكَ بقرابِها مغفرةً » ، **وقراب الشيء** ـ بكسر القاف وضمها ـ : ما قارب قدره .

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٤) ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٩٩) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٥) ، ويغني عنه خبر سيدنا موسىٰ علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام المتقدم (ص٣٠٧) ، وانظر « البدر المنير » (٥/ ١٨٨) .

(٤) إحياء علوم الدين (٢/٣٥٦) ، ورواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٥/ ١٩٧) من حديث سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه .

وقالَ : « لَتَدْخُلُنَّ ٱلْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إلا مَنْ أَبَىٰ وَشَرِدَ عَنِ ٱللهِ شُرُودَ ٱلْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ » ، فقيلَ : يا رسولَ اللهِ ؛ مَنِ الذي يأبىٰ ؟ قالَ : « مَنْ لَمْ يَقُلْ : لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ ، فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ : لا إِلَـٰهَ إلا ٱللهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا ؛ فَإِنَّهَا كَلِمَةُ ٱلتَّوْحِيدِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ ٱلإِخْلاصِ ، وَهِيَ كَلِمَةُ ٱلتَّقْوَىٰ ، وَهِيَ ٱلْكَلِمَةُ ٱلطَّيِّبَةُ ، وَهِيَ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ، وَهِيَ ٱلْعُرْوَةُ ٱلْوُثْقَىٰ ، وَهِيَ ثَمَنُ ٱلْجَنَّةِ »)[١] .

وفيهِ : (وقالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴾ [الرحمـٰن : ٦٠] ، فقيلَ : الإحسانُ في الدنيا : قولُ « لا إلـٰهَ إلا اللهُ » ، وفي الآخرةِ : الجنةُ لمَنْ قالَها ، وكذا قولُهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس : ٢٦])[٢] .

وفيهِ : (ويُروىٰ : أنَّ العبدَ إذا قالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ . أتتْ إلىٰ صحيفتِهِ ، فلا تمرُّ علىٰ خطيئةٍ إلا محتْها ، حتىٰ تجدَ حسنةً مثلَها فتجلسَ إلىٰ جانبِها)[٣] .

وفي كتابِ عبدِ الغفورِ[٤] : عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ : عنِ

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٧) .
(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٧) .
(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ٣٥٨) ، وروىٰ نحوه أبو يعلىٰ في « مسنده » (٣٦١١) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٤) هو مستأنف ، أو عطف علىٰ (وفي كتاب « الإحياء ») ، وليس معطوفاً على المنقول من « الإحياء » ؛ لأن عبد الغفور متأخر عن صاحب « الإحياء » . « ياسين » (ق٢٨٢) .

النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ للهِ عَمُوداً مِنْ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ ٱلْعَرْشِ ، فَإِذَا قَالَ ٱلْعَبْدُ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ . . ٱهْتَزَّ ذَلِكَ ٱلْعَمُودُ ، فَيَقُولُ ٱللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ٱسْكُنْ ، فَيَقُولُ : كَيْفَ أَسْكُنُ وَلَمْ تَغْفِرْ لِقَائِلِهَا ؟! فَيَقُولُ : قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، فَيَسْكُنُ عِنْدَ ذَلِكَ »[1] .

وفيهِ **أيضاً** : عن أبي ذرٍّ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أوصني ، قالَ : « أُوصِيكَ بِتَقْوَى ٱللهِ ، فَإِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا بِحَسَنَةٍ تَمْحُهَا » ، قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أمِنَ الحسناتِ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ؟ قالَ : « مِنْ أَفْضَلِ ٱلْحَسَنَاتِ »[2] .

وفيهِ : عن كعبٍ : أوحى اللهُ تعالىٰ إلىٰ موسىٰ عليهِ السلامُ في التوراةِ : لولا مَنْ يقولُ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ . . لسلَّطْتُ جهنَّمَ علىٰ أهلِ الدنيا[3] .

وفيهِ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ قَالَ : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فِي يَوْمِهِ . . كَانَتْ لَهُ كَفَّارَةً لِكُلِّ ذَنْبٍ أَصَابَهُ فِي ذَلِكَ ٱلْيَوْمِ »[4] .

---

(١) رواه البزار في « مسنده » (٨٠٦٥) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٣/ ١٦٤) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٠٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٢١٨) .

(٣) قطعة من خبر طويل رواه أبو نعيم في « الحلية » (٦/ ٣٢) عن كعب الأحبار رحمه الله تعالىٰ ، ورواه مرفوعاً (٢/ ٣٤٣) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) شبيه به ما هو عند الديلمي في « الفردوس » (٥٤٦٨) من حديث سيدنا جابر رضي الله عنه : « مَنْ قالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ صباحاً ، ثم قالَها مساءً . . نادىٰ منادٍ =

وفيهِ : وذكرَ عنِ ابنِ أبي الفضلِ الجوهريِّ(١) قالَ : إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ سمعوا أشجارَها وأنهارَها وجميعَ ما فيها يقولونَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فيقولُ بعضُهم لبعضٍ : كلمةٌ كنَّا نغفُلُ عنها في الدنيا .

وفيهِ : وحدَّثَ أيضاً قالَ : يهتزُّ العرشُ لثلاثٍ : لقولِ المؤمنِ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، ولكلمةِ الكافرِ إذا قالَها ، وللغريبِ إذا ماتَ بأرضِ غربةٍ .

وعن بعضِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهم : مَنْ قالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ مخلصاً مِنْ قلبِهِ ومدَّها بالتعظيمِ . . غُفِرَ لهُ أربعةُ آلافِ ذنبٍ مِنَ الكبائرِ ، قيلَ : فإنْ لم تكنْ لهُ هـٰذهِ الذنوبُ ؟ قالَ : غُفِرَ لهُ مِنْ ذنوبِ أبويهِ وأهلِهِ وجيرانِهِ(٢) .

وذكرَ عياضٌ في « المداركِ » عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ : أنَّهُ أصابَهُ شيءٌ ، فرأىٰ في المنامِ قائلاً يقولُ : اسمُ اللهِ الأكبرُ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، فقالَها ومسحَ علىٰ وجهِهِ ، فأصبحَ معافىً(٣) .

= مِنَ السماءِ : ألا اقرنوا الآخرةَ بالأولى ، ثم ألقوا ما بينَهما » .

(١) هو غير الجوهري صاحب « الصحاح » انتهىٰ مقري . « جمل » (ق ٦٧) .

(٢) كذا في « تنبيه الغافلين » للسمرقندي (ص٤١٧) ، وعزاه الحافظ ابن حجر في « لسان الميزان » (٨/ ٢٨٨) لابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه ، وحكم ببطلانه ، وانظر « تنزيه الشريعة » (٢/ ٣٢٥) .

(٣) ترتيب المدارك (٤/ ١٧٦) .

وذكرَ ابنُ الفاكهانيِّ : أنَّ ملازمةَ ذكرِها عندَ دخولِ المنزلِ ينفي الفقرَ .

وفضلُ هـٰذهِ الكلمةِ كثيرٌ لا يمكنُ استقصاؤُهُ ، ولهـٰذا اختارَ الأئمَّةُ ملازمةَ هـٰذا الذكرِ علىٰ كلِّ حالٍ ، حتىٰ إنَّ منهم مَنْ لا يفترُ عنهُ ليلاً ولا نهاراً ، ومنهم مَنْ يذكرُهُ في اليومِ والليلةِ سبعينَ ألفَ مرَّةٍ ، وأهلُ التسبُّبِ والمشتغلونَ بالخدمةِ والصنائعِ اثني عشرَ ألفَ مرَّةٍ .

ورُوِيَ : أنَّ مَنْ قالَها سبعينَ ألفَ مرَّةٍ كانَتْ فداءَهُ مِنَ النارِ ، وقد ذكرَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ بنُ أسعدَ اليافعيُّ اليمنيُّ الشافعيُّ في كتابِهِ « الإرشادِ والتطريزِ في فضلِ ذكرِ اللهِ تعالىٰ وتلاوةِ كتابِهِ العزيزِ » عنِ الشيخِ أبي زيدٍ القرطبيِّ أنَّهُ قالَ : سمعتُ في بعضِ الآثارِ : أنَّ مَنْ قالَ : لا إلـٰهَ إلا اللهُ سبعينَ ألفَ مرةٍ كانَتْ فداءَهُ مِنَ النارِ ، فعملتُ علىٰ ذلكَ رجاءَ بركةِ الوعدِ أعمالاً ادَّخرتُها لنفسي[1] ، وعملتُ منها لأهلي ، وكانَ إذْ ذاكَ يبيتُ معَنا شابٌّ كانَ يُقالُ : إنَّهُ يُكاشَفُ في بعضِ الأوقاتِ بالجنَّةِ والنارِ ، وكانَ في قلبي منهُ شيءٌ .

فاتفقَ أنِ استدعانا بعضُ الإخوانِ إلىٰ منزلِهِ ، فنحنُ نتناولُ الطعامَ والشابُّ معَنا إذْ صاحَ صيحةً منكرةً ، واجتمعَ في نفسِهِ[2] وهو يقولُ : يا عمِّ ؛ هـٰذهِ أمِّي في النارِ ، وهو يصيحُ بصياحٍ عظيمٍ لا يشكُّ مَنْ سمعَهُ أنَّهُ عن أمرٍ .

---

(١) قوله (**أعمالاً**) أي : سبعينات كثيرة . « جمل » (ق٦٧) .

(٢) أي : انضمَّ في نفسه وانكمش . « دسوقي » (ص٢٦٦) .

فلمَّا رأيتُ ما بهِ قلتُ في نفسي : اليومَ أجرِّبُ صدقَهُ ، فألهمَني اللهُ تعالى السبعينَ ألفاً[1] ، ولم يطلعْ على ذلكَ أحدٌ إلا اللهُ تعالى ، فقلتُ في نفسي : الأثرُ حقٌّ ، والذينَ روَوهُ لنا صادقونَ ، اللهمَّ ؛ إنَّ السبعينَ ألفاً فداءُ هٰذهِ المرأةِ أمِّ الشابِّ ، فما استتممتُ الخاطرَ في نفسي إلا أنْ قالَ : يا عمِّ ؛ ها هي أمِّي أُخرِجَتْ ، الحمدُ للهِ .

فحصلَتْ لي فائدتانِ : إيماني بصدقِ الأثرِ ، وسلامتي مِنَ الشابِّ وعلمي بصدقِهِ . انتهى[2] .

وإلى التحريضِ على التكثيرِ مِنْ ذكرِ هٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ ليفوزَ الذاكرُ بعظيمِ فضلِها . . أشرتُ بقولي في أصلِ العقيدةِ : (**فعلى العاقلِ أنْ يكثرَ مِنْ ذكرِها**) ، ولمَّا كانَ تحقيقُ هٰذا الخيرِ العظيمِ لذاكرِ هٰذهِ الكلمةِ موقوفاً على فهمِ معناها أوَّلاً ، ثم استحضارِهِ عندَ ذكرِها ولو بطريقِ الإجمالِ ثانياً[3] . . قيَّدْتُ في أصلِ العقيدةِ ذكرَها بقولي : (**مستحضراً لمعناها**)[4] بعدَ أنْ شرحْتُ لكَ معناها أوَّلاً في أصلِ العقيدةِ شرحاً لم أرَ مَنْ سَمَحَ بهِ على تلكَ الصفةِ المذكورةِ فيها على حسَبِ ما ألهمَ إليهِ المولى الكريمُ جلَّ جلالُهُ .

---

(١) أي : ألهمني أن أهبها لأمه . « جمل » (ق٦٧) .
(٢) الإرشاد والتطريز (ص٢٦٩) .
(٣) هٰذا شرط كمال ، لا أن الإثابة متوقفة عليه كالذي قبله . « دسوقي » (ص٢٦٦) .
(٤) في أصل العقيدة : (لما احتوت) بدل (لمعناها) .

فاسرحْ يا مَنْ منَّ اللهُ تعالىٰ عليهِ بفضلِهِ بحفْظِ هٰذهِ العقيدةِ المباركةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ في رياضِ الجنةِ كيفَ شئتَ ، وحيثُ شئتَ[1] ، نسألُهُ سبحانَهُ أنْ يجعلَنا وإيَّاكَ في الدنيا والآخرةِ مِنْ خيارِ أهلِ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ ، محمدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

* * *

(١) في المطبوعة علىٰ هامش « حاشية الدسوقي » (ص٢٦٧) زيادة ليست في النسخ ، وهي : (فقد تمكنتَ بحفظها من مفتاح الجنة علىٰ أكمل وجه ، فقرَّ بذلك عيناً ، واشكر الله تعالىٰ علىٰ جميع إفضاله عليك بما يتحسَّر عليه في الآخرة كثيرٌ ممَّن لم يوفق لما وفقتَ) ، وهي في أصل نسخة العلامة الجمل .

الفصل السادس

في بيان كيفية ذكر كلمة التوحيد على الوجه الأكمل

الفصلُ الثالثُ مِنَ الفصولِ الأربعةِ : في بيانِ كيفيةِ ذكرِ هـٰذهِ الكلمةِ على الوجهِ الأكملِ[1] .

فاعلمْ : أنَّ ذاكرَ هـٰذهِ الكلمةِ علىٰ كلِّ حالٍ بقصدِ القُربةِ يحصلُ لهُ الثوابُ ، لـٰكنِ الأكملُ الذي تَرِدُ بهِ على القلبِ المواهبُ الإلـٰهيَّةُ ، والفتوحاتُ الربانيَّةُ ، وأمطارُ الرحمةِ الغيبيَّةِ ، التي يقصرُ عنها الوصفُ : أنْ يعظِّمَ الذاكرُ ما عظَّمَ اللهُ تعالىٰ ، وأنْ يحسِّنَ أدبَهُ معَ ما شرَّفَ مولانا جلَّ وعزَّ ، وقد علمتَ أنَّ هـٰذهِ الكلمةَ مِنْ أفضلِ الأذكارِ وأشرفِها عندَ اللهِ تعالىٰ ، **فينبغي للمؤمنِ أنْ يعتنيَ بشأنِها** ؛ فيتوضَّأَ لها ، ويَلْبَسَ ثياباً طاهرةً ، ويقصدَ موضعاً طاهراً كما يقصدُهُ للصلاةِ .

وليخترِ الخلوةَ والانفرادَ عنِ الخلْقِ ما استطاعَ ، ويقصدِ الأزمنةَ المشرَّفةَ ؛ كما بعدَ الفجرِ إلىٰ طلوعِ الشمسِ ، وبعدَ العصرِ إلىٰ غروبِها ، أو ما يتمكَّنُ منهُ مِنْ بعضِ ذلكَ ، وبينَ العشاءينِ ، والسَّحَرِ .

---

(١) أكثر كلام هـٰذا الفصل نقله الإمام المصنف رحمه الله تعالىٰ عن الإمام الساحلي المالقي من كتابه « بغية السالك في أشرف المسالك » (ص١٦٢) .

ثم يستقبلُ القبلةَ ، ويفتتحُ وردَهُ أوَّلاً بالاستغفارِ ولو مئةَ مرَّةٍ[١] ؛ ليغسلَ باطنَهُ مِنْ أدرانِ المعاصي ؛ ليتهيَّأَ لتحليتِهِ بما يَرِدُ عليهِ بعدَ ذلكَ مِنْ أنوارِ بقيَّةِ أورادِهِ ، ثم ليتبعْ إثرَ ذلكَ صلاةً على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ولو خمسَ مئةِ مرَّةٍ[٢] ؛ ليستنيرَ باطنُهُ ويتهيَّأَ لحملِ ما يَرِدُ عليهِ مِنْ سرِّ التهليلِ .

وليقصدْ بذلكَ كلِّهِ امتثالَ أمرِ اللهِ تعالىٰ وطلبَ رضاهُ[٣] ، **والذي يعينُهُ علىٰ إحضارِ قلبِهِ وقصْدِ القُربةِ في هـٰذهِ الأذكارِ** : أنْ يذكرَ علىٰ قلبِهِ أوَّلاً أمرَ مولانا جلَّ وعزَّ بكلٍّ واحدٍ منها ؛ ليستشعرَ قلبُهُ هيبةَ الأمرِ بمعرفةِ مَنْ صدرَ منهُ .

[بيانٌ : في توصيفِ مجلسِ الذكرِ]

وكيفيةُ ذكرِ ذلكَ على القلبِ : أنْ يتعوَّذَ أوَّلاً باللهِ مِنَ الشيطانِ الرجيمِ قاصداً التلاوةَ ؛ لقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ

---

(١) أي : فأقلُّ من المئة لا يحصل به المطلوب ، وهـٰذا مع اتساع الوقت ، فإن كان ضيقاً أتىٰ بما يمكن من الاستغفار ولو سبع مرات . « دسوقي » (ص٢٦٧) .

(٢) أي : فأقلُّ الورد من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خمس مئة مرة ، وقيل : أقلُّهُ ثلاث مئة مرة . « دسوقي » (ص٢٦٧) ، وعدد الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تبع فيهما المصنفُ العلامةَ الساحلي في « بغية السالك » (ص١٦٢) .

(٣) ولا يقصد أنه يكون ولياً ؛ لأنه لا ينبغي ذلك ، بل قال بعضهم : من قصد بالذكر أن يكون ولياً كانت عبدةُ الأوثان أحسن منه من هـٰذه الحيثية ؛ لأن عبدة الأوثان يقصدون بعبادتهم التقرب إلى الله وطلب رضاه ، وهـٰذا الشخص إنما يقصد بعبادته منفعة نفسه ، لا امتثال أمر مولاه ورضاه . « دسوقي » (ص٢٦٧) .

﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل : ٩٨] ، ثم ليتلُ إثرَ ذلك قولَهُ تعالىٰ : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ﴾ [المزمل : ٢٠] .

فإذا فرغَ مِنْ تلاوةِ هٰذهِ الآيةِ استشعرَ القلبُ عندَ ذلكَ خطابَ المولى الكريمِ جلَّ جلالُهُ وطلبَهُ بفضلِهِ مِنَ العبدِ الضعيفِ الفقيرِ الحقيرِ الاستغفارَ واللَّجَأَ إلىٰ مولاهُ الرحمٰنِ الرحيمِ العزيزِ الغفَّارِ ، فذابَ عندَ ذلكَ مِنْ شدَّةِ الحياءِ مِنَ المولى الكريمِ ، واحتقرَ نفسَهُ إذْ لم يرَها أهلاً لخطابِ مَنْ أوجدَ الكائناتِ كلَّها وافتقارَ جميعِها إليهِ[1] ، وهو الغنيُّ بإطلاقٍ ذو الفضلِ العظيمِ .

فعندَ ذلكَ يبادرُ بلسانِهِ وهو يرعُدُ مِنْ شدَّةِ الهيبةِ والخجَلِ والتعظيمِ قائلاً[2] : لبيكَ مولايَ وسعديكَ[3] ، والخيرُ كلُّهُ في يديكَ ، وهٰذا عبدُكَ الذليلُ الضعيفُ الحقيرُ الذي عليكَ معوَّلُهُ في طهارةِ باطنِهِ وظاهرِهِ ، يقولُ بتوفيقِكَ امتثالاً لأمرِكَ مستعيناً بكَ : اللهمَّ ؛ إنِّي

---

(١) قوله : (**وافتقار جميعها**) مفعول معه ؛ أي : مع افتقار جميعها إليه . « دسوقي » (ص٢٦٨) .

(٢) **يرعُدُ** : يضطرب ، من باب نصر ، وفي (أ) : (يرتعد) ، وقوله : (**قائلاً**) أي : بلسان الحال . « جمل » (ق٦٨) ، ويأتي من باب منع .

(٣) قوله : (**وسعديك**) قال الحافظ القسطلاني في « إرشاد الساري » (٣/ ١١٥) : (معناه : أسعدْني إسعاداً ؛ فالمصدر فيه مضاف للفاعل ، وإن كان الأصل في معناه : أسعدك بالإجابة إسعاداً بعد إسعاد ، علىٰ أن المصدر فيه مضاف للمفعول ؛ لاستحالة ذلك هنا ، وقيل : المعنىٰ : مساعدة علىٰ طاعتك بعد مساعدة ، فيكون من المضاف للمنصوب) .

أستغفرُكَ يا مولايَ وأتوبُ إليكَ مِنْ جميعِ الكبائرِ والصغائرِ ، وهفواتِ الخواطرِ ، ونحوَ ذلكَ مِنْ عباراتِ الاستغفارِ ، وليخترْ منها ما يراهُ قويَّ التأثيرِ في باطنِهِ .

ثم يتمادىٰ حتىٰ يتمَّ وردَهُ مِنَ الاستغفارِ ، فإذا أتمَّهُ حمدَ اللهَ ثلاثاً أو سبعاً أو نحوَ ذلكَ ، مستحضراً قدْرَ النعمةِ التي وفَّقَهُ المولى الكريمُ لبدئِها وتمامِها ، حتىٰ غسلَ مِنَ القلبِ أدرانَهُ ، وكشفَ عنهُ دخانَ الذنبِ ورانَهُ ، يقولُ في هيئةِ ذلكَ : الحمدُ للهِ الذي أنعمَ علينا بنعمةِ الإيمانِ والإسلامِ ، وهدانا بسيِّدِنا ومولانا محمدٍ عليهِ مِنَ اللهِ تعالىٰ أفضلُ الصلاةِ وأزكى السلامِ ، ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

ثم يشرعُ إثرَ ذلكَ في التعوُّذِ قاصداً التلاوةَ علىٰ ما سبقَ ، وليتلُ إثرَهُ علىٰ قلبِهِ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، فعندَ ذلكَ يستحضرُ القلبُ عظيمَ شرفِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عندَ اللهِ تعالىٰ ، **وأنَّهُ حازَ عندَهُ منزلةً لا يمكنُ أنْ تُلحَقَ** ؛ إذْ مولانا جلَّ وعزَّ علىٰ ما هو عليهِ مِنَ الجلالِ والكمالِ يخبرُ أنَّهُ يصلِّي بنفسِهِ علىٰ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكذلكَ ملائكتُهُ الكرامُ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ علىٰ ما هم عليهِ مِنَ الكثرةِ والشرفِ العظيمِ يتوسَّلونَ إلى اللهِ تعالىٰ بالصلاةِ علىٰ حبيبِهِ ومصطفاهُ مِنْ جميعِ خلقِهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فيفرحُ عندَ ذلكَ العبدُ الضعيفُ الفقيرُ الحقيرُ ؛ إذْ تفضَّلَ عليهِ مولاهُ الكريمُ بأنْ أدخلَهُ بهٰذا الخطابِ الجسيمِ ، وما احتوىٰ عليهِ مِنَ الأمرِ العظيمِ . . **في روضةِ التقرُّبِ إلىٰ حبيبِهِ وأفضلِ خلقِهِ عندَهُ** ، عليهِ مِنْ مولانا جلَّ وعزَّ أفضلُ الصلاةِ وأزكى التسليمِ ، فحينَئذٍ يبادرُ بلسانِهِ وهو يبتهجُ فرحاً لعظيمِ فضْلِ مولاهُ جلَّ وعلا عليهِ ؛ إذْ فتحَ لهُ البابَ إلى التوصُّلِ منهُ إلىٰ أعظمِ الوسائلِ عندَهُ ؛ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ مجيباً لهٰذا الأمرِ الجليلِ : لبيكَ مولايَ وسعديكَ ، والخيرُ كلُّهُ في يديكَ ، وها هو العبدُ الفقيرُ الحقيرُ راكنٌ لمنيعِ جنابِكَ ، متوسِّلٌ إليكَ بأفضلِ أحبابِكَ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، يقولُ بتوفيقِكَ ممتثلاً لأمرِكَ مستعيناً بكَ في جميعِ أمرِهِ : اللهمَّ ؛ صلِّ علىٰ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ رسولِكَ ودليلِكَ صلاةً أرقىٰ بها مراقيَ الإخلاصِ ، وأنالُ بها غايةَ الاختصاصِ ، وسلِّمْ تسليماً ، عددَ ما أحاطَ بهِ علمُكَ ، وأحصاهُ كتابُكَ .

أو غيرَ ذلكَ مِنْ كيفيَّاتِ التصلياتِ التي تليقُ بجلالِهِ .

ثم يتمادىٰ علىٰ ذلكَ مستحضراً لصورتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ التي ليسَ ثَمَّ في المخلوقاتِ مثلُها في الجمالِ ، مستشعراً عظيمَ حرمتِهِ عندَ العليِّ ذي الجلالِ ، ذاكراً عظيمَ شفقتِهِ على المؤمنينَ ، وشدَّةَ اهتبالِهِ بهم في حياتِهِ وبعدَ مماتِهِ[1] ، والسعيَ في مراشدِهم وإنقاذِهم مِنْ كلِّ

(١) قوله : (واهتباله) بتقديم الهاء، من الاهتبال بالشيء؛ وهو الاعتناء به ، وفي=

هولٍ دنيا وأخرىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ سائرِ أنبيائِهِ ورُسُلِهِ أجمعينَ ؛ ليتربَّىٰ بذلكَ عظيمُ محبَّتِهِ في قلبِهِ[(١)] ، ويتشعشعَ أنوارُ حسْنِ الاتباعِ في ظاهرِهِ وباطنِهِ .

فإذا فرغَ مِنْ وردِهِ بالصلاةِ علىٰ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . حمدَ اللهَ تعالىٰ أيضاً على التوفيقِ لبدْءِ ذلكَ وتمامِهِ ؛ ليقيِّدَ بالشكرِ هٰذهِ النعمةَ العظمىٰ ؛ خشيةَ السلبِ عليها ، وأقلُّ ذلكَ ثلاثٌ أو سبعٌ .

ثم يشرعُ إثرَ ذلكَ في التعوُّذِ قاصداً للتلاوةِ ، ثم ليتلُ إثرَهُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، ثم ليُجِبْ أمرَ مولانا العزيزِ بقولِهِ : لبيكَ مولايَ وسعديكَ ، والخيرُ كلُّهُ في يديكَ ، وها هو العبدُ الفقيرُ الحقيرُ يوحِّدُكَ بالتهليلِ ، منخلعاً مِنْ كلِّ شركٍ ومِنْ كلِّ تغييرٍ وتبديلٍ ، يقولُ مخلصاً مِنْ قلبِهِ ذاكراً لربِّهِ : لا إلٰهَ إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، إلىٰ آخرِ دورِ سُبْحتِهِ مِنَ التهليلِ ، وليُعِدِ التعوُّذَ والتلاوةَ في أوَّلِ كلِّ دورٍ منها ، وإنِ اجتزأ بالمرَّةِ الأولىٰ فلا بأسَ .

وليحافظِ الذاكرُ علىٰ إحضارِ قلبِهِ لمعنى التهليلِ ؛ ليفوزَ بثمراتِهِ ،

= بعض النسخ : (وابتهاله) من الابتهال الذي هو التضرع . « ياسين » (ق٢٨٣)، وفي (ب) : (واهتمامه) بدل (واهتباله) .

(١) قوله : (ليتربَّىٰ) أي : ليتزايد ، وهو علة لقوله : (مستحضراً لصورته) . « دسوقي » (ص٢٦٩) ، وفي (أ) : (يتذوق) بدل (ليتربَّىٰ) .

ويستضيءَ قلبُهُ بعظيمِ أنوارِهِ ، ويستعِدَّ لنزولِ الغيثِ الإلـٰهيِّ عليهِ ولولوجِ شريفِ أسرارِهِ ، وتحصلَ لهُ الحريَّةُ العظمىٰ مِنْ رقِّهِ لشيءٍ مِنَ الكائناتِ ، ويتحلَّىٰ بالرتبةِ العليا والشرفِ الأبهىٰ باستنادِهِ علماً وحالاً ظاهراً وباطناً إلىٰ مولاهُ المنفردِ بالملكِ والتدبيرِ ، الذي لا نافعَ ولا ضارَّ سواهُ على العمومِ تباركَ وتعالىٰ ، نعمَ المولىٰ ونعمَ النصيرُ .

ولهـٰذا كانَتْ هـٰذهِ الكلمةُ المشرَّفةُ جامعةً بينَ التخليةِ والتحليةِ ؛ فيُخْلِي الذاكرُ أوّلاً مِنْ قلبِهِ ويطردُ منهُ جميعَ الخواطرِ الوهميَّةِ وجميعَ الكائناتِ التي استعبدَتْهُ ؛ مِنْ جاهٍ ومالٍ ، ونساءٍ وبنينَ ، وديناٍر ودرهمٍ ، ومدحٍ وذمٍّ ، ونحوِ ذلكَ . . بقولِهِ : لا إلـٰهَ ؛ أي : ليسَ ثَمَّ سوىٰ مولانا جلَّ وعزَّ مِنْ جميعِ الكائناتِ على العمومِ . . مَنْ هو غنيٌّ في نفسِهِ[1] ، أو يُفتقَرُ إليهِ في أثرٍ ما ، حتىٰ يستحقَّ أنْ يُعبدَ أو يُطاعَ أو يُخافَ أو يُعوَّلَ عليهِ في أثرٍ ما ، بل جميعُهُ عاجزٌ أتمَّ العجزِ علىٰ إيصالِ أمرٍ ما إلىٰ نفسِهِ أو إلىٰ غيرِهِ .

فوجبَ طردُ جميعِها مِنَ القلبِ ؛ **إذْ وجودُها كعدمِها بلا شكٍّ ولا ريبٍ** ، وما وُجِدَ معَ بعضِ تلكَ الأمورِ المخلوقةِ ؛ كالطعامِ والشرابِ والمياهِ والثيابِ والنساءِ والبنينَ والأموالِ والنيرانِ والسلاحِ والأسودِ والحيَّاتِ والظلمةِ والجنةِ والنارِ ؛ مِنَ المصالحِ واللذّاتِ أو مِنَ المفاسدِ والآلامِ . . فليسَ منها أصلاً ، ولا يُعوَّلُ عليها في شيءٍ مِنْ

---

(١) في (أ ، ج ، هـ ، ز) : (ما) بدل (مَنْ) .

ذلكَ ولا في غيرِهِ ، بلِ الالتفاتُ إلىٰ شيءٍ منها عمىً وظُلمةٌ عظيمةٌ ، وحالةٌ سيئةٌ غيرُ مستقيمةٍ ، وسفهٌ قويٌّ ، وخصلةٌ ذميمةٌ ، وقذرٌ شديدُ النَّتْنِ **تجبُ المبالغةُ في غسلِهِ مِنَ البالِ** ؛ ليتهيَّأَ القلبُ للتحلِّي بالنورِ الزكيِّ اللامعِ مِنْ معرفةِ العليِّ ذي الجلالِ .

فلمَّا غسلَ الذاكرُ قلبَهُ بذلكَ النفْيِ القويِّ العامِّ[١] ، وصلَّىٰ على الكونينِ صلاتَهُ على الميِّتِ المعدومِ أربعاً[٢] ، وختمَ بالسلامِ . . حلاهُ حينَئذٍ بزينةِ الدخولِ في حضرةِ الملكِ العلامِ[٣] ؛ فقالَ قولَ المضطرِّ الأوَّاهِ ، اليائسِ يأساً قطعيّاً دائماً مِنْ كلِّ ما سوىٰ مولاهُ ، إثرَ نفْيِ (لا إلـٰهَ) : إلا اللهُ[٤] .

ولمَّا ابتهجَ قلبُهُ بنورِ الحقيقةِ ، وكانَ الانتفاعُ بها موقوفاً على القيامِ برسومِ الشريعةِ ، **وذلكَ لا يكونُ إلا بالإدمانِ علىٰ ذكرِ صاحبِها المبلِّغِ لها عنِ اللهِ تعالىٰ** ؛ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . احتاجَ الذاكرُ بعدَ كلمةِ التوحيدِ الدالَّةِ على الحقيقةِ أنْ يَشفعَها بإثباتِ رسالةِ

---

(١) أي : قوله : (لا إلـٰه) . « جمل » (ق٦٩) .

(٢) في هامش (أ) : تفسير الكونين : (الروح والجسد ، وقيل : الدنيا والآخرة) ، قال العلامة الدسوقي في « حاشيته » (ص٢٧٠) : (هـٰذا كناية عن إعراضه عن كل شيء ـ حتىٰ عن جسده وروحه ـ الإعراضَ التام ، وصار المنظور له هو الله) .

(٣) قوله : (**حلاه**) أي : حلَّىٰ ذلك الذاكرَ مولاه . « دسوقي » (ص٢٧٠) .

(٤) قوله : (**إلا الله**) هو معمول لقوله : (فقال قول المضطر) . « ياسين » (ق٢٨٣) .

سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ **ليحفظَ نورَ توحيدِهِ بإدخالِهِ في منيعِ حرزِ الشريعةِ** ، فلهـٰذا يقولُ الذاكرُ إثرَ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) : محمدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

وهكذا ينبغي في كلِّ ذكرٍ مِنْ أذكارِ اللهِ تعالىٰ **ألا يغفُلَ المؤمنُ فيهِ عن ذكْرِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ** ؛ إمَّا بأنْ يصليَ عليهِ إثرَهُ ، أو يقرَّ برسالتِهِ معَ الصلاةِ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أو نحوِ ذلكَ ممَّا يُوجِبُ تعظيمَهُ والتمسَّكَ بأذيالِهِ ؛ **إذْ هو عليهِ الصلاةُ والسلامُ بابُ اللهِ الأعظمُ**[2] ، الذي لا يُنالُ كلُّ خيرِ دنيا وأخرىٰ إلا بالتعلُّقِ بهِ ، فمَنْ غَفَلَ عن ذكرِهِ والتمسُّكِ بشريعتِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . لم ينلْ مقصودَهُ ، وكانَ مرمياً بهِ في سجْنِ القطيعةِ ، محروماً مِنْ خيري الدنيا والآخرةِ ، وسيِّدُنا ومولانا محمدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هو دليلُ الخلْقِ إلى اللهِ تعالىٰ ، فكيفَ يصلُ إلى اللهِ تعالىٰ مَنْ غفَلَ عن ذكرِ دليلِهِ ؟![3] .

---

(١) ينظر في تأكيد ما ذهب له الإمام السنوسي كتابُ « مطالع السعادة في اقتران كلمتي الشهادة » للعلامة محمد الطاهر بن الحسن الكتاني .

(٢) في هامش (أ) جاء لبيان كلمة (الأعظم) : (كناية عن أوليائه ورسله وغير ذلك) ، قال العلامة الساحلي في « بغية السالك في أشرف المسالك » (ص١٦٠) وأصل كلام المصنف عنده : (فمن قصد معرفة الله من بابها . . نالها ووصل إليها ، ومن تعرض إليها من غير بابها . . حرمها ومنع من الدخول إليها) .

(٣) قال العارف بالله عبد الوهاب الشعراني في « العهود المحمدية » (١/ ٤٣٧) : (اعلم يا أخي : أن طريق الوصول إلىٰ حضرة الله تعالىٰ من طريق الصلاة على =

وقد قالَ بعضُ مَنْ طبعَ اللهُ علىٰ قلبِهِ[1] ، ممَّنْ يتعاطى التصوُّفَ وليسَ هو مِنْ أهلِهِ . . مقالةً قريبةً مِنَ الكفرِ أو هي الكفرُ بعينِهِ : إنَّ الإكثارَ مِنْ ذكرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حجابٌ عنِ اللهِ تعالىٰ !

وسبكَ بعضُ الضالِّينَ مثلَهُ هـٰذهِ العبارةَ فقالَ : إذا أُفرِدَ التهليلُ عن إثباتِ الرسالةِ . . كانَ أبلغَ وأسرعَ في تأثيرِ معنى التوحيدِ ، واحتجَّ لضلالِهِ وتسويلِ شيطانِهِ بأنْ قالَ : للتهليلِ معنىً ، ولإثباتِ الرسالةِ معنىً ، وإذا اختلفَتِ المعاني على الباطنِ ضعُفَ التأثيرُ ، وبعُدَتِ الثمرةُ ، قالَ : وإنَّما يُحتاجُ إلىٰ وصْلِ الذكرينِ عندَ الدخولِ في الإسلامِ !

قالَ بعضُ الأئمَّةِ الراسخينَ[2] : (وهـٰذهِ المقالةُ ـ والعياذُ باللهِ تعالىٰ ـ مِنَ الفتنِ التي لا موردَ لها غيرُ النارِ ، ولا عقبىٰ لها سوىٰ دارِ البوارِ ، وما ذلكَ إلا مكرٌ واستدراجٌ إلىٰ رفضِ الشريعةِ ، والانحلالِ

= النبي صلى الله عليه وسلم . . من أقرب الطرق ، فمن لم يخدمه صلى الله عليه وسلم الخدمة الخاصة به ، وطلب دخول حضرة الله . . فقد رام المحال ، ولا يمكِّنُهُ حُجَّابُ الحضرة أن يدخل ، وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالىٰ ، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة) .

وقد روىٰ أبو داود (١٦٧٨) من حديث سيدنا عمر رضي الله عنه : أنه لما سأل النبيُّ صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه : « ما أبقيتَ لأهلِكَ ؟ » ، قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، قال العلامة القاري في « المرقاة » (٩/ ٣٨٨٨) : (أي : رضاهما) .

(١) انظر هـٰذا في « بغية السالك في أشرف المسالك » (ص١٥٩) .

(٢) أراد : العلامة محمداً الساحلي المالقي ، المتوفىٰ سنة (٧٥٤هـ) .

مِنْ ربقتِها ، وتعطيلِ رسومِها ، ولو علمَ هـٰذا الضالُّ ما تحتَ قولِهِ : « محمدٌ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » مِنَ الأسرارِ التوحيديَّةِ ، والحِكَمِ التهليليَّةِ . . لانقشعَ عنهُ ذلكَ العمىٰ ، فأصابَ المرمى) انتهىٰ[1] .

اللهمَّ ؛ أعذْنا مِنَ الفتنِ ، ما ظهرَ منها وما بطنَ ؛ بجاهِ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ صلاةً وسلاماً نصلُ بهما معَ الأحبَّةِ بفضْلِ اللهِ تعالىٰ إلى الفردوسِ الأعلىٰ ، والتمتُّعِ هناكَ في جوارِهِ تعالىٰ بنفيسِ تلكَ المواهبِ والمننِ .

* * *

---

(١) انظر « بغية السالك في أشرف المسالك » (ص١٦٠) ، ومن الحكم التهليلية ما بيَّنه بقوله : (التوحيد لا يُنال سرُّه إلا بالإيمان ، والإيمان لا يصح إلا بإثبات الرسالة ، فكما يطلب السالك بما يحرك عنده قوة الإيمان بذكر التهليل ؛ كذلك يطلب بما يحرك عنده قوة شرط الإيمان بإثبات رسالة الدليل) ، وقال أيضاً : (ومنها : حفظ العهد للواسطة ؛ بأن يُذكر ولا يُنسىٰ ، والنبي صلى الله عليه وسلم هو الواسطة بيننا وبين الله تعالىٰ والدال عليه ، فمن حسن العهد ألا يُنسىٰ وأن يذكر ، كيف لا ولم ينسنا في حياته ، ولا عند مماته ، ولا عند النشر ، ولا في الحشر ؟!) .

الفصل السابع

في بيان الفوائد التي تحصل لذاكر كلمة التوحيد على الوجه الأكمل

الفصلُ الرابعُ مِنَ الفصولِ الأربعةِ : في الفوائدِ التي تحصلُ لذاكرِ هٰذهِ الكلمةِ المشرَّفةِ معَ المواظبةِ على الوجْهِ الأكملِ .

اعلمْ : أنَّ المواظبةَ علىٰ ذكرِ الكلمةِ المشرَّفةِ على الوجْهِ الذي ذكرناهُ أوَّلاً **تحصِّلُ فوائدَ كثيرةً** : **منها** ما يرجعُ إلىٰ محاسنِ الأخلاقِ الدينيَّةِ ، **ومنها** ما يرجعُ إلى الكراماتِ التي هي خوارقُ العاداتِ .

أمَّا الأوَّلُ[1] : **فمنها** : **اتصافُهُ بالزهدِ** : ونعني بهِ : خلوَّ الباطنِ مِنَ الميلِ إلىٰ فانٍ ، وفراغَ القلبِ مِنَ الثقةِ بزائلٍ ، وإنْ كانَتِ اليدُ معمورةً بمتاعٍ حلالٍ فعلىٰ سبيلِ العاريَّةِ المحضةِ ، وتصرُّفُهُ فيهِ بالإذنِ الشرعيِّ تصرُّفُ الوكالةِ الخاصَّةِ ، ينتظرُ العزلَ عن ذلكَ التصرُّفِ بالموتِ أو غيرِهِ معَ كلِّ نَفَسٍ ، وذلكَ ينفي عنِ النفسِ التعلُّقَ بما لا بدَّ مِنْ زوالِهِ .

ومنها : **التوكُّلُ** : وهو ثقةُ القلبِ بالوكيلِ الحقِّ ؛ بحيثُ يسكنُ عنِ الاضطرابِ عندَ تعذُّرِ الأسبابِ ثقةً بمسبِّبِ الأسبابِ ، ولا يقدحُ

---

(١) ذكر لهٰذا النوع ثمانيَ محاسنَ دينية ؛ وهي : الزهد ، والتوكل ، والحياء ، والغَناء (غنى القلب) ، والفقر ، والإيثار ، والفتوة ، والشكر .

في توكُّلِهِ تلبُّسُ ظاهرِهِ بالأسبابِ إذا كانَ قلبُهُ فارغاً منها ، يستوي عندَهُ وجودُها وعدمُها .

ومنها : **الحياءُ**[1] : بتعظيمِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ بدوامِ ذكرِهِ ، والتزامِ امتثالِ أمرِهِ ونهيِهِ ، والإمساكِ عنِ الشكوىٰ بهِ إلى العَجَزَةِ والفقراءِ غيرِهِ .

ومنها : **الغَناءُ** : وهو غِنى القلبِ ؛ بسلامتِهِ مِنْ فتنِ الأسبابِ ، فلا يَعترِضُ على الأحكامِ بـ (لو) ولا بـ (لعلَّ) لعلمِهِ بمَنْ صدرَتْ منهُ جلَّ وعلا ، المنفردِ بالملكِ والتدبيرِ ، الملكِ الوهَّابِ .

ومنها : **الفقرُ** : وهو نفضُ يدِ القلبِ مِنَ الدنيا حرصاً وإكثاراً ؛ لقطعِهِ بأنَّ حاجتَهُ ليسَتْ عندَ شيءٍ منها ، وسكوتُ اللسانِ عنها بالكليَّةِ مدحاً وذمّاً[2] .

ومنها : **الإيثارُ علىٰ نفسِهِ** : بما لا يذمُّهُ الشرعُ[3] .

ومنها : **الفتوَّةُ** : وهي التجافي عن مطالبةِ الخلْقِ بالإحسانِ إليهِ ولو أحسنَ إليهم ؛ لعلمِهِ بأنَّ إحسانَهُم وإساءتَهم إليهِ كلُّ ذلكَ مخلوقٌ لهُ تعالىٰ ، ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، **فلم يرَ لنفسِهِ إحساناً حتىٰ يطلبَ عليهِ جزاءً** ، ولم يرَ لهم إساءةً حتىٰ يذمَّهم عليها ، اللهمَّ

---

(١) هو ثمرة المراقبة عند أصحاب اليقين . « ياسين » (ق٢٨٣) .
(٢) قوله : (وسكوت) عطف علىٰ قوله : (نفض) . « دسوقي » (ص٢٧٢) .
(٣) وأما ما يذمه الشرع : كأن كان يحتاجه لعياله ، أو يستدين ولا يظن وفاءً لدينه . . فيحرم ، وعبارة « المنهج » : وتحرم ؛ أي : الصدقة ، بما يحتاجه لممونه ، أو لدين لا يظنُّ له وفاءً . انتهىٰ . « جمل » (ق٦٩) .

إلا أنْ يكونَ الشرعُ هو الذي أمرَ بذمِّهم ومعاقبتِهم ، فيفعلُ حينئذٍ ما أمرَ بهِ الشرعُ ؛ ليقومَ بوظيفةِ التعبُّدِ فقطْ ، وهـٰذهِ الفتوَّةُ هي فوقَ المسالمةِ[1] .

ومنها : **الشكرُ** : وهو إفرادُ القلبِ بالثناءِ على اللهِ تعالىٰ ، ورؤيةُ النِّعَمِ في طيِّ النِّقَمِ[2] .

والفوائدُ كثيرةٌ ، فمَنْ أرادَها فليجتهدْ في أسبابِها ، فسيعرفُها بالذوقِ .

وأمَّا النوعُ الثاني مِنَ الفوائدِ ـ وهو ما يرجعُ إلى الكراماتِ ـ :

فمنها : **وضْعُ البركةِ في الطعامِ ونحوِهِ** : حتىٰ يكثرَ القليلُ ، ويكفي اليسيرُ ، وهـٰذا مشاهدٌ لأولياءِ اللهِ تعالىٰ كثيراً .

ومنها : **تيسُّرُ دنانيرَ أو دراهمَ أو كليهما أو غيرِ ذلكَ ممَّا تدعو إليهِ الحاجةُ** : وقد كانَ بعضُ المشايخِ في أوَّلِ أمرِهِ حَرَّاراً[3] ، فتعذَّرَ عليهِ

---

(١) فيه شيء ، وأجاب بعضهم : بأن المسالمة هنا : أن يرىٰ لنفسه حقاً على الغير ويتركه . انتهىٰ ، والظاهر : ما كتبه الشيخ عبد البر الأجهوري ؛ وهو أن المسالمة : هي سلامةُ الناس من يده ولسانه ، وإحسانُه إليهم وإن أساؤوا إليه . « جمل » (ق٦٩) .

(٢) فإذا ابتلاه الله بنقمة . . يرىٰ أن فيها نعمة . « دسوقي » (ص٢٧٣) .

(٣) بالحاء والراءين المهملات ، نسبة علىٰ فَعَّال إلىٰ تعاطي صنعة الحرير . « ياسين » (ق٢٨٣) .

قوله : (**بعض المشايخ**) قيل : هو الشيخ أبو علي الجزار ـ كذا ـ نفعنا الله به . « مقري » (ق٨٥) ، والمثبت في النسبة من (أ ، ب ، د) ، وفي غيرها : (خرَّازاً) ، ولعله تصحيف ، قال الحافظ ابن ناصر الدين في =

شُغْلُ الحِرارةِ تعذُّراً شرعيّاً ، فكانَ إذا قضىٰ وظيفةَ ذكرِهِ يرفعُ رأسَهُ فيجدُ في حجرِهِ درهماً يشتري بهِ قوتَ ذلكَ اليومِ .

ونُقِلَ عنِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ التاوديِّ(١) : أنَّهُ احتاجَ كسوةً لأولادِهِ وزوجتِهِ ، وكانَ كثيرَ الأولادِ ، فاشترىٰ شُقَّةً وذهبَ بها إلى الخيَّاطِ ، فأعطاهُ طرفَها الواحدَ وأمسكَ تحتَهُ الطرفَ الآخرَ ، فجعلَ الخيَّاطُ يجذبُها ويفصِّلُ منها شيئاً بعدَ شيءٍ ، حتىٰ صنعَ أثواباً عدَّةً تشهدُ العادةُ أنَّ ذلكَ لا يكونُ مِنْ شُقَّةٍ واحدةٍ ، فطالَ ذلكَ على الخيَّاطِ ، فقالَ : يا سيدي ؛ هـٰذهِ الشُّقةُ ما تتمُّ أبداً ! فقالَ لهُ الشيخُ خوفَ الفتنةِ(٢) : ها هي قد تمَّتْ ، ورمىٰ لهُ بباقيها مِنْ تحتِهِ .

وكانَ بعضُ المشايخِ(٣) لا ينتصبُ لذكْرٍ ولا لصلاةٍ علىٰ سَجَّادتِهِ في خلوتِهِ إلا ويخلقُ اللهُ تعالىٰ علىٰ سَجَّادتِهِ أو تحتَها دراهمَ جُدُداً ،

= « توضيح المشتبه » (٢/ ٣٤٣) ، والحافظ ابن حجر في « تبصير المنتبه » (١/ ٣٣٠) : (والمغاربة يسمُّون الحريري : الحرَّار) .

(١) هو المدفون بباب الجيسة ؛ أحد أبواب فاس المحروسة بالله ، عرَّف به التادلي [يعني : في « التشوف إلىٰ رجال التصوف » (ص٢٧٢)] ، وتوفي رحمه الله عام اثنين وعشرين [الظاهر : وست مئة ؛ إذ ذكر في « التشوف » (ص٢٧٢) أنه ولد سنة (٥٨٠هـ)] ، قال بعض أصحابنا : إنه يعرف بالخياط ، وإنه من أصحاب الشيخ أبي يعزىٰ . « مقري » (ق٨٥) .

(٢) أي : خوف الفتنة على الناس أن يعبدوه من دون الله ؛ لجهلهم إذا تيقنوا لولايته ، وليس المراد أنه خاف علىٰ نفسه الفتنة ؛ لأنه ولي من أولياء الله تعالىٰ ، لا يدخله شيء من هـٰذا . انتهىٰ منجور . « جمل » (ق٧٠) .

(٣) نقل بعض أصحابنا عن شيخنا القصار مفتي فاس رحمه الله تعالىٰ : أن هـٰذا الشيخ هو الساحلي رضي الله عنه ، والله أعلم . « مقري » (ق٨٦) .

وكانَ لهُ عائلةٌ وأولادٌ ، فكانَ معشرُ أولادِهِ إذا رأَوهُ في التوجُّهِ للصلاةِ أوِ للذكرِ يُحدِقونَ بهِ يرقبونَ انفصالَهُ[(١)] ، فإذا انفصلَ التقطوا تلكَ الدراهمَ ، فمنهمُ المقلُّ ومنهمُ المكثرُ ، وداموا على ذلكَ حتى تحدَّثوا بهِ ، وشاعَ الحديثُ ، فانقطعَ ذلكَ .

ومنها : أنْ يُكشَفَ لهُ عن حقيقةِ ما يريدُ استعمالَهُ مِنَ الطعامِ : فيعرفَ حلالَهُ مِنْ حرامِهِ مِنْ متشابهِهِ بأماراتٍ يجدُها إمَّا مِنْ باطنِهِ ، أو مِنْ ظاهرِهِ ، أو مِنْ غيرِ ذلكَ[(٢)] .

وكراماتُ هاذا البابِ كثيرةٌ لا تُحصى ، **إلا أنَّ المؤمنَ لا ينبغي أنْ يقصدَها بشيءٍ مِنْ طاعتِهِ** ، وإلا دخلَ عليهِ الشركُ الخفيُّ ومُكِرَ بهِ والعياذُ باللهِ تعالى ؛ إذْ هاذهِ مِنْ جملةِ ما يجبُ أنْ يصفِّيَ منها قلبَهُ عندَ ذكرِ كلمةِ التوحيدِ ، فليقطعِ التفاتَهُ إليها بالكليَّةِ ، وليكنْ مقصودُهُ رضا مولاهُ الذي لا خَلَفَ لهُ منهُ ولا غنى لمخلوقٍ عنهُ ، وكشْفَ الحجابِ عن عينِ قلبِهِ[(٣)] ؛ حتى يتنزَّهَ في ذلكَ الجلالِ العديمِ المثالِ ، ويواجهَهُ مولاهُ بعجائبَ وأسرارٍ لا يمكنُ أنْ يعبِّرَ عنها المقالُ .

اللهمَّ ؛ افتحْ لنا في ذلكَ ، وزدْنا مِنْ فضلِكَ دنيا وأخرى يا أرحمَ

---

(١) أي : فراغه . « جمل » (ق٧٠) .
(٢) **فمن الباطن** : حديثٌ في القلب ، **ومن الظاهر** : انعقاد يده فلا تُمدُّ ، **ومن غيره** : مخبرٌ يخبره بوصفه من حرمة أو شبهة ، أو يجد منه رائحة منتنة . مفادٌ « جمل » (ق٧٠) .
(٣) قوله : (**وكشف**) بالنصب عطفاً على قوله : « ورضا مولاه » ؛ إذ هو خبر « يكن » . انتهى منجور . « جمل » (ق٧٠) .

الراحمينَ ، بجاهِ سيِّدِ الأوَّلينَ والآخرينَ ؛ نبيِّنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ إخوانِهِ مِنَ النبيِّينَ والمرسلينَ ، وعلىٰ جميعِ الملائكةِ المقرَّبينَ .

وإلىٰ فضْلِ هٰذهِ الكلمةِ ، وما يحصلُ لذاكرِها مِنَ الفوائدِ . . أشرتُ بقولي في أصلِ العقيدةِ : (**فإنَّهُ يرىٰ لها مِنَ الأسرارِ والعجائبِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ما لا يدخلُ تحتَ حصرٍ**) .

وهٰذا الفصلُ الرابعُ هو آخرُ الفصولِ السبعةِ المتعلِّقةِ بكلمةِ التوحيدِ ، جعلناها سبعاً تفاؤلاً ورجاءً مِنَ المولى الكريمِ جلَّ وعلا أنْ يجعلَها لنا ولجميعِ أحبَّتِنا حصناً حصيناً وحجاباً منيعاً مِنَ التعذيبِ بشيءٍ مِنْ دركاتِ النارِ السبعِ(١) ، كما أنَّا ختمنا العقيدةَ وشرحَها بتحقيقِ معنىٰ كلمتي الشهادةِ . . نرجو بهِ مِنْ مولانا جلَّ وعلا أنْ يختمَ لنا ولجميعِ أحبَّتِنا وإخوانِنا في الدينِ بأفضلِ درجاتِ الإيمانِ ، ويجمعَ شملَنا وشملَهم إثرَ الموتِ معَ أوليائِهِ المقرَّبينَ أهلِ النعيمِ المقيمِ بالرَّوْحِ والريحانِ(٢) .

* * *

---

(١) إشارة إلىٰ ما رواه القضاعي في « مسند الشهاب » (١٤٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/ ٤٦٢) من حديث مسلسل بذكر الأبوة ، وأعيان آل البيت ، عن سيدنا علي رضي الله عنه مرفوعاً : « يقولُ اللهُ تعالىٰ : لا إلٰهَ إلا اللهُ : حصني ؛ فمَنْ دخلَهُ أمنَ عذابي » .

(٢) كذا في (أ) ، وفي سائر النسخ : (والروح) بدل (بالروح) ، **والرَّوح** : الاستراحة ، وكذا الراحة ، **والريحان** : الرحمة والرزق الحسن . « جمل » (ق٧٠) .

خاتمة الكتاب

ولنختمْ هٰذا الشرحَ المباركَ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ بأدعيةٍ ؛ فنقولَ :

الحمدُ للهِ الكريمِ الوهَّابِ ، المعطي النعمَ الجليلةَ لِمَنْ شاءَ بمحْضِ فضلِهِ لا بسببٍ مِنَ الأسبابِ ، الفتَّاحِ بصائرَ القلوبِ بجودِهِ حتىٰ خرقَتْ بنورِها حُجُبَ الكائناتِ كلِّها وظفرَتْ بمنتهى الآرابِ .

والصلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معدنِ الكمالاتِ ، والوسيلةِ العظمىٰ دنيا وأخرىٰ لنيلِ المنىٰ والحاجاتِ ، وينبوعِ الفضائلِ وأساسِ جميعِ الخيراتِ ، المشرَّفِ علىٰ كلِّ مخلوقٍ للهِ تعالىٰ في الأرضِ والسماواتِ ، **ورضيَ اللهُ** عن آلِهِ وصحبِهِ الذينَ هم بعدَ غيبتِهِ ولحوقِهِ بالرفيقِ الأعلى الأنجمُ الزاهراتُ ، والذينَ همُ القدوةُ للخلائقِ بعدَهُ وهم خيرُ الأمَّةِ الأئمةُ الهداةُ(١) ، وعنِ التابعينَ ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ يبعثُ اللهُ الرفاتَ(٢) .

ربَّنا ؛ ظلمنا أنفسَنا وإنْ لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ مِنَ الخاسرينَ .

---

(١) يوقف عليه بالتاء كما رُسم في أكثر النسخ مراعاةً للسجعة .

(٢) **الرفات** : ما بليَ فتفتَّتَ من العظم ، وفي التنزيل : ﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا ﴾ [الإسراء : ٤٩] .

ربَّنا ؛ ظلمنا أنفسَنا ظلماً كثيراً ، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ ، فاغفرْ لنا مغفرةً مِنْ عندِكَ ، إنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيمُ .

ربَّنا ؛ لا تجعلْنا فتنةً للقومِ الظالمينَ(١) ، ونجِّنا برحمتِكَ مِنَ القومِ الكافرينَ .

اللهمَّ ، يا غياثَ المستغيثينَ ، ويا ملجأَ ذي الفاقاتِ الملهوفينَ(٢) ؛ أسألُكَ يا أرحمَ الراحمينَ ، يا ذا الجلالِ والإكرامِ ؛ أنْ تجعلَنا في الدنيا والآخرةِ مِنْ أهلِ (لا إلـٰهَ إلا اللهُ) ، ومِنْ خيارِ أهلِ معرفتِكَ ، وأن تمتِّعَنا إثْرَ الموتِ معَ الأحبَّةِ في جنةِ الفردوسِ بجلائلِ نِعَمِكَ ، وجميلِ رؤيتِكَ ، وأنْ تغفرَ لنا جميعَ ذنوبِنا بلا عقوبةٍ ولا محنةٍ ، وأنْ تؤدِّيَ عنَّا جميعَ تبعاتِنا بمحْضِ فضلِكَ بلا خزْيٍ يا ذا الفضلِ والمنَّةِ(٣) .

اللهمَّ ؛ لكَ الحمدُ ، وإليك المشتكىٰ مِنْ أنفسِنا ، ومِنْ عوائقَ قد عسُرَ معَها في هـٰذهِ الأزمنةِ الصعبةِ النجاةُ ، فأمِّنَّا يا مولانا مِنْ ضررِها في دينِنا ودنيانا ، حالاً ومآلاً ؛ حتىٰ نفوزَ بأعظمِ رضوانِكَ في الحياةِ وبعدَ المماتِ .

---

(١) أي : لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فينفتنوا بنا . « جمل » (ق٧٠) .

(٢) **الملهوف** : المظلوم يستغيث ، **واللهيف** : المضطر ، **واللهفان** : المتحسِّر . « جمل » (ق٧٠) .

(٣) قوله : (**تبعاتنا**) جمع تبعة ، وفي (أ) : (تباعاتنا) جمع تِباعة ، وكلاهما بمعنىً ؛ وهي ما اتبعت به صاحبك من ظلامة ونحوها ، وما فيه إثمٌ يُتبع به .

اللهمَّ ، يا أرحمَ الراحمينَ ؛ إنَّهُ قد أسرَتْنا الأوهامُ والهوىٰ ، وضعُفَتْ عنِ النهوضِ إلى التمتُّعِ بمنيعِ جنابِكَ العليِّ مِنَّا القُوىٰ ، وقدِ اشتدَّ علينا وَثاقُ القلوبِ ، وأضعفَها وأعمىٰ عينَها توالي ظلماتِ المعاصي عليها وتراكمُ أدرانِ الذنوبِ ، فقلوبُنا تبكي وتندُبُ وإنْ ضحكَ مِنَّا اللسانُ[1] ، وتريدُ النهوضَ إلىٰ نيلِ الكمالِ شوقاً إليهِ فيمنعُها الأسرُ والعمىٰ ولا تساعدُها عليهِ القُوىٰ ولا النفسُ ولا الأركانُ ، فصرنا يا مولانا مطروحينَ في مضيقِ سجْنِ الآفاتِ ، مكبَّلينَ فيهِ بثقالِ قيودِ الشهَواتِ .

فيا ذا الفضْلِ العظيمِ الذي لا يُحدُّ ولا يُعلَّلُ ولا يُكالُ بمكيالٍ ولا ميزانٍ ، ويا ذا الكرمِ العميمِ الذي فاضَ على العوالمِ كلِّها حتىٰ طمعَ فيهِ القريبُ ومَنْ هو في غايةِ البُعْدِ والخسرانِ ؛ قد أمرتَنا يا ذا الجلالِ والإكرامِ علىٰ لسانِ نبيِّكَ ورسولِكَ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بفكاكِ العاني وإنقاذِهِ مِنَ الأسرِ الذي ضررُهُ يسيرٌ وعَرَضُهُ فانٍ ، فنحنُ يا مولانا العانونَ حقيقةً[2] الخائفونَ الانقطاعَ عمَّا يدومُ مِنَ الخيرِ العظيمِ ممَّا صيَّرْتَ بهِ أولياءَكَ في أعلى الجنانِ ، ولا عوضَ لهُ . . مِنَ الفوزِ منكَ بجميلِ الرضوانِ[3] ، فمُنَّ علىٰ قلوبِنا

---

(١) كذا في النسخ المعتمدة ، قال العلامة ياسين في « حاشيته » (ق٢٨٣) : (الصواب : الأسنان ؛ لأن الضحك لا ينسب إلى اللسان ، وينسب للأسنان ؛ لظهورها عنده) ، ولعل للمصنف ملحظاً في استعارته .

(٢) **العانون** : جمع عانٍ ؛ وهو الأسير .

(٣) قوله : (**من الفوز**) بيانٌ لما يدوم ولا عوض له . « دسوقي » (ص٢٧٥) .

وذواتِنا المأسورةِ المحبوسةِ عنِ التمتُّعِ بلذيذِ حضرةِ جلالِكَ التي لا يُملَكُ الصبرُ عنها . . بما بهِ أمرتَنا يا كريمُ يا وهَّابُ يا رحمانُ ، يا رحيمُ يا مَنْ ليسَ معَهُ في تدبيرِ مُلكِهِ ثانٍ .

اللهمَّ ؛ اغفرْ لنا ، ولآبائِنا وأمَّهاتِنا ، ولأشياخِنا وإخوانِنا وأحبَّتِنا وذريَّاتِنا[1] ، واجمعْ شملَنا وشملَهم بلا محنةٍ معَ أكابرِ أوليائِكَ في أعلىٰ علِّيِّينَ ، ومتِّعْ جميعَنا إثْرَ الموتِ في أعلى الفردوسِ بلذيذِ رؤيتِكَ ومرافقةِ مَنْ أنعمْتَ عليهم مِنَ النَّبيِّينَ والصدِّيقينَ والشهداءِ والصالحينَ .

اللهمَّ ؛ انفعْ بهٰذا الشرحِ كلَّ مَنِ اعتنىٰ بهِ مِنْ أهلِ الخيرِ والإيمانِ ، ومُنَّ اللهمَّ علىٰ كلِّ مَنْ حفظَ العقيدةَ أصلَهُ . . بحُسْنِ الخاتمةِ والفوزِ بعمومِ الغفرانِ .

اللهمَّ ؛ اجعلْ حفظَها لهم نوراً عظيماً في الدنيا والآخرةِ ، وأعطِهم بسببِها بلا محنةٍ مِنَ الفردوسِ الأعلى المنازلَ الفاخرةَ ، واحفظْنا وإيَّاهم إلى المماتِ مِنْ جميعِ الفتنِ ، واجعلْ بينَنا وبينَ الظالمينَ حجاباً مستوراً في دينِنا ودنيانا يا عظيمَ المواهبِ والمِنَنِ .

نتوسَّلُ إليكَ يا مولانا في نيلِ هٰذهِ المطالبِ كلِّها بذاتِكَ العليَّةِ ، ثم بنبيِّكَ ورسولِكَ ذي النفْسِ الزكيَّةِ ، الشفيعِ المشفَّعِ عندَكَ ، سيِّدِ

---

(١) قوله : (**وأحبتنا**) أي : من يحبُّنا ، لا من نحبه ، بهٰذا أجاب المؤلف رحمه الله تعالىٰ . « مقري » (ق٨٦) ، وانظر ما تقدم نقله عن العلامة ياسين (ص٣٠١) .

الأوَّلينَ والآخرينَ ؛ سيِّدِنا ومولانا محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ آلِهِ ، عددَ ما ذكرَكَ وذكرَهُ الذاكرونَ ، وغفلَ عن ذكرِكَ وذكرِهِ الغافلونَ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (١)

* * *

---

(١) كان الشيخ مجاب الدعوة ، كما ذكره الشيخ الملالي في « مناقبه » ، نقله الشيخ الجوهري . « جمل » (ق٧٠) .

خواتيم النسخ الخطية

خاتمة النسخة (أ)

وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولىٰ ونعم النصير ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله وكفىٰ ، وسلام علىٰ عباده الذين اصطفىٰ .

وصلى الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم عدد قطر الأمطار ، وعدد ورق الأشجار ، وعدد مثاقيل الجبال والأحجار(١) ، وعدد الرمال وزبد البحار ، وعدد الأبرار والفجَّار ، وعدد ما يختلج في الليل والنهار ، واجعل اللهم هٰذه الصلاة لنا نجاة من النار ، يا واحد يا مهيمن يا قهار ، وسلام علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

كمل الشرح المبارك بحمد الله تعالىٰ وحسن عونه ، **ووافق الفراغ من نسخه** أوائل جُمادى الثاني من عام ثلاثة وأربعين بعد الألف من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

إنْ تجـدْ عيبـاً فسُـدَّ الخلـلا   جلَّ مَنْ لا فيهِ عيبٌ وعلا

---

(١) في (ب) : (الأشجار) بدل (الأحجار) .

خاتمة النسخة (ب)[1]

تمَّ هـٰذا الشرح المبارك بحمد الله تعالىٰ وعونه وحسن توفيقه ؛ علىٰ يد الفقير خليل بن حسن ، في يوم الاثنين المبارك ، رابع عشر شهر ربيع الأول ، سنة ألف ومئة وواحد من الهجرة النبوية ، علىٰ صاحبها السلام .

خاتمة النسخة (ج)

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

خاتمة النسخة (د)

كمل الشرح المبارك بفضل الله وحسن عونه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وكان الفراغ من تعليق هـٰذه النسخة المباركة يوم الاثنين ، حادي عشر شوال من شهور سنة خمس وثلاثين وألف ، حسَّن الله تقضيها وما بعدها في خير وعافية ، من غير فتنة ولا محنة ، وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلىٰ يوم الدين .

---

(١) تطابقت هي والنسخة (ج) مع النسخة (أ) إلىٰ قوله : (وسلام علىٰ جميع الأنبياء والمرسلين ، والحمد لله رب العالمين) ثم جاء بعدهما ما هو مذكور هنا .

خاتمة النسخة (هـ)

كمل الشرح المبارك بحمد الله وحسن عونه ، فرحم الله كاتبه وكاسبه وقارئه ومَنْ ألَّفه ، ومن دعا لهم بالرحمة ، ومن قال : آمين ، ولجميع المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله علىٰ سيدنا ومولانا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم تسليماً دائماً أبداً .

* * *

فهرس أهمّ مصادر ومراجع التحقيق

- **الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد** ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٣٩هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .
- **الاقتصاد في الاعتقاد** ، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط٢ ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- **الانتصاف من الكشاف** ، للإمام المفسر أحمد بن محمد بن منصور **ابن المنير** الإسكندري (ت٦٨٣هـ) ، طبع بهامش كتاب الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط١ ، (١٤١٨هـ) ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية .
- **أبكار الأفكار** ، للإمام المتكلم **سيف الدين** أبي الحسن علي بن محمد بن سالم البغدادي **الآمدي** (ت٦٣١هـ) ، تحقيق أحمد محمد المهدي ، ط٢ ، (١٤٢٤هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، مصر .
- **أجوبة إمام الحرمين الجويني عن أسئلة الإمام عبد الحق الصقلي** ، **لإمام الحرمين** أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف **الجويني** (ت٤٧٨هـ) ، تحقيق سعيد فوده ، ط١ ، (١٤٢٧هـ) ، دار الرازي ، عمان ، الأردن .
- **إحياء علوم الدين** ، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن

محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط١ ، (١٤٣٢هـ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- **الأربعين في أصول الدين** ، للإمام حُجَّة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط١ ، (١٤٣٩هـ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- **الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد** ، **لإمام الحرمين** أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف **الجويني** (ت٤٧٨هـ) ، طبع سنة (١٣٦٩هـ) ، تحقيق محمد يوسف موسىٰ وعلي عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- **إرشاد الساري إلىٰ شرح صحيح البخاري** ، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد **القسطلاني** (ت٩٢٣هـ) ، ط٧ ، (١٣٢٣هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية ، القاهرة ، مصر .

- **الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله تعالىٰ وتلاوة كتابه العزيز** وفضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين ، للإمام العلامة المحدث عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (٢٠٠٧م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

- **الأسرار العقلية في الكلمات النبوية** ، للإمام تقي الدين أبي الفتح مظفر بن عبد الله بن علي **المقترح** (ت٦١٢هـ) ، تحقيق نزار حمادي ، ط١ ، (١٤٣٠هـ) ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان .

- **الأسماء والصفات** ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية ، القاهرة ، مصر .

- **الإشارة في علم الكلام** ، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق هاني محمد حامد محمد ، (١٤٢٨هـ) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة ، مصر .
- **أصول الفقه** ، للإمام شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي (ت٧٦٣هـ) ، تحقيق فهد بن محمد السدحان ، ط١ ، (١٤٢٠هـ) ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، السعودية .
- **الإمام العلامة محمد بن يوسف السنوسي التلمساني وجهوده في خدمة الحديث النبوي الشريف** ، للأستاذ الدكتور عبد العزيز الصغير دخان ، ط١ ، (١٤٣١هـ) ، دار كردادة ، الجزائر .
- **الأنوار الإلـٰهية في المقدمة السنوسية** ، للشيخ العلامة عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ) ، تحقيق عمر بن محمد الشيخلي ، ط١ ، (٢٠١٥م) ، دار النور المبين ، عمان ، الأردن .
- **البحر المحيط في أصول الفقه** ، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق عمر سليمان الأشقر ، ط٢ ، (١٤١٣هـ) ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الكويت .
- **البرهان في أصول الفقه** ، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ) ، تحقيق عبد العظيم الديب ، ط١ ، (١٣٩٩هـ) ، طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، قطر .
- **البرهان المؤيد** ، لإمام الطريقة الرفاعية العارف بالله أحمد بن علي بن ثابت الرفاعي الحسيني ، تحقيق عبد الغني نكه مي ، ط١ ، (١٤٠٨هـ) ، دار الكتاب النفيس ، بيروت ، لبنان .
- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ابن مريم الشريف المليتي التلمساني (ت بعد ١٠١٤هـ) ، تحقيق محمد ابن أبي شنب ، (١٣٢٦هـ) ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر .

- **بغية السالك في أشرف المسالك** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الساحلي المالقي (ت٧٥٤هـ) ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، كتاب ناشرون ، بيروت ، لبنان .
- **تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس** ، للإمام العارف تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد ابن عطاء الله **الإسكندري** (ت٧٠٩هـ) ، تحقيق قصي بن محمد نورس الحلاق ، ط١ ، (١٤٣٩هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .
- **تاج العروس من جواهر القاموس** ، للإمام الحافظ أبي الفيض محمد بن محمد مرتضى **الزَّبيدي** الحسيني (ت١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من المحققين ، ط١ ، (١٣٨٥هـ) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .
- **تاريخ مدينة دمشق** وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، للإمام حافظ الدنيا ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله **ابن عساكر** الدمشقي (ت٥٧١هـ) ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، ط١ ، (١٤١٥هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه** ، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، طبع سنة (١٩٦٧م) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **التحفة المفيدة في شرح العقيدة الحفيدة** ، للإمام أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمٰن **السُّكتاني** (ت١٠٦٢هـ) ، تحقيق نزار حمادي . ط١ ، (١٤٣٣هـ) ، دار الضياء ، الكويت .
- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك** ، للإمام **القاضي** أبي الفضل **عياض** بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ) ، تحقيق ابن تاويت الطنجي ، ط١ ، (١٩٦٥م) ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب .

- **تشنيف المسامع بجمع الجوامع** ، للإمام بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله **الزركشي** (ت٧٩٤هـ) ، تحقيق سيد عبد العزيز وعبد الله ربيع ، ط١ ، (١٤١٨هـ) ، مكتبة قرطبة ، القاهرة ، مصر .
- **تعريف الخلف برجال السلف** ، للإمام أبي القاسم محمد الحفناوي ، طبع سنة (١٢٢٤هـ) بمطبعة بيير قوفتانة الشرقية ، الجزائر .
- **تنبيه الغافلين** ، للإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٧٣هـ) ، تحقيق السيد العربي ، ط١ ، (١٤١٥هـ) ، مكتبة الإيمان ، القاهرة ، مصر .
- **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة** ، للمحدث الشيخ نور الدين علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمٰن **ابن عراق** الكناني (ت٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق الغماري ، ط١ ، (١٣٩٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم** ، للإمام المحدث شمس الدين محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد بن أحمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ) ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- **ثبت البلوي** ، للإمام أبي جعفر أحمد بن علي البلوي الوادي آشي (ت٩٣٨هـ) ، تحقيق عبد الله العمراني ، ط١ ، (١٤٠٣هـ) ، دار الغرب الإسلامي ، المغرب .
- **جامع بيان العلم وفضله** ، للإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله **ابن عبد البر** النمري القرطبي (ت٤٦٣هـ) ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، ط١ ، (١٤١٤هـ) ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية .
- **جامع الشروح والحواشي** ، للشيخ عبد الله محمد الحبشي ، طبع في المركز الثقافي سنة (١٤٢٥هـ) ، أبو ظبي ، الإمارات .

ـ **الجامع لشعب الإيمان** ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (ت٤٥٨هـ) ، تحقيق عبد العلي حامد ، ط١ ، (١٤٢٣هـ) ، مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية . الدار السلفية ، بومباي ، الهند .

ـ **حاشية الجمل على شرح أم البراهين** ، للعلامة سليمان بن عمر بن منصور العجيلي المعروف بـ **الجمل** (ت١٢٠٤هـ) ، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام (٤٤٦٥٣) ، والخاص (٣٣٠٤) ، عدد أوراقها : (٧٣) ، ناسخها : إبراهيم النحاس .

ـ **حاشية الدسوقي على شرح أم البراهين** ، للعلامة محمد **الدسوقي** (ت ١٢٣٠هـ) ط١ (مصورة) ، (١٤٤٠هـ) ، الناشر مؤسسة محمد السيد محمد محمد مصطفى ، ودار ميراث النبوة ، القاهرة ، مصر .

ـ **حاشية السكتاني على شرح أم البراهين** ، للعلامة الشيخ أبي مهدي عيسى بن عبد الرحمن الرجراجي السكتاني (ت١٠٦٢هـ) ، صورة عن مخطوطة المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية (السيدة زينب) ، ذات الرقم العام (٩٠٧) ، والخاص (٤٧٢) ، عدد أوراقها (١٣٦) ، تاريخ النسخ : (١١٥٢) ، قوبلت وصححت على يد الأستاذ الحنفي .

ـ **حاشية العدوي على شرح أم البراهين** ، للعلامة محمد بن عبادة بن بري **العدوي** (ت١١٩٣هـ) ، مصورة عن مخطوطة المكتبة المركزية للمخطوطات الإسلامية (السيدة زينب) ، ذات الرقم العام (٣٦٢٨) ، والخاص (٢/ ٤) ، عدد أوراقها (٦٤) ، تاريخ النسخ : (١٢٣٩هـ) .

ـ **حاشية العطار على البدر الطالع شرح جمع الجوامع** ، للإمام حسن بن محمد بن محمود **العطار** الشافعي (ت١٢٥٠هـ) ، دار الكتب العلمية (طبعة مصورة) ، بيروت ، لبنان .

ـ **حاشية العكاري** ، للعلامة المحقق علي **العكاري** المراكشي (ت١١١٨هـ) ، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام (٣٩٤٤٤) ، والخاص (٣٠٥٨) ، تاريخ النسخ : (١١٨٠هـ) .

ـ **حاشية المقري علىٰ شرح أم البراهين** ، للعلامة الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ) ، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام (٥٧٣٧) ، والخاص (٤٠٦) ، عدد أوراقها : (٨٨) ، ناقصة الأول ، قوبلت علىٰ أصلها ، وقابلها عبد الوهاب الشنواني سنة (١١٠١هـ) كما كتب في نهاية المخطوط .

ـ **حاشية ياسين علىٰ شرح أم البراهين** ، للعلامة الشيخ ياسين بن زين الدين بن أبي بكر العليمي الحمصي (ت١٠٦١هـ) ، صورة عن مخطوطة المكتبة الأزهرية ، ذات الرقم العام (١٤٨٤) ، والخاص (٧١)، عدد أوراقها : (٢٨٥) .

ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ، ط٥ ، (١٤٠٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدىٰ دار الريان للتراث ، القاهرة ، مصر . ودار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان .

ـ **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفىٰ** ، للإمام المفتي المؤرخ نور الدين أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ) ، تحقيق محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني ، طبع علىٰ نفقة السيد حبيب محمود أحمد .

ـ **دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر** ، للإمام محمد بن عسكر الحسني **الشفشاوني** (ت٩٨٦هـ) ، تحقيق محمد حجي ، ط٢ ، (١٣٩٧هـ) ، دار المغرب ، الرباط ، المغرب .

ـ **ديوان الأفوه الأودي** ، للشاعر الجاهلي صلاءة بن عمرو بن مالك اليمني ، تحقيق محمد ألتونجي ، ط١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

ـ **الذخيرة** ، للإمام أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمـٰن **القرافي** (ت٦٨٤هـ) ، تحقيق محمد حجي وسعيد أعراب ومحمد بوخبزة ، ط١ ، (١٩٩٤م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

ـ **ذيل وفيات الأعيان** ، المسمىٰ : « درة الحجال في أسماء الرجال » ، للإمام أبي العباس أحمد بن محمد **ابن القاضي** المكناسي (ت١٠٢٥هـ) ، تحقيق محمد الأحمدي ، ط١ ، (١٣٩١هـ) ، دار التراث ، القاهرة ، مصر . المكتبة العتيقة ، تونس .

ـ **الرسالة** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس **الشافعي** الهاشمي القرشي المطلبي (ت٢٠٤هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، ط١ ، (١٣٥٨هـ) ، مكتبة الحلبي ، القاهرة ، مصر .

ـ **الرسالة القشيرية** ، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن **القشيري** (ت٤٦٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٣٨هـ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ **الرسائل الصغرىٰ** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الله **ابن عباد** النفري (ت٧٩٢هـ) ، نشرها الأب بولس سنة (١٩٥٧هـ) .

ـ **سنن ابن ماجه** ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد **ابن ماجه** القزويني (ت٢٧٣هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٣٧٣هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

ـ **سنن أبي داود** ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث **السجستاني** (ت٢٧٥هـ) ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .

ـ **سنن الترمذي**، للإمام الحافظ أبي عيسىٰ محمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض ، ط٢ ، (١٣٩٥هـ) طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان .

ـ **السنن الكبرىٰ** ، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن شلبي ، ط١ ، (١٤٢١هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

- **سنن النسائي** ، المسمى : « المجتبىٰ من السنن » ، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمـٰن أحمد بن شعيب **النسائي** (ت٣٠٣هـ) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، ط٢ ، (١٤٠٦هـ) ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، سورية .
- **الشامل في أصول الدين** ، لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ) ، تحقيق علي سامي النشار وفيصل بدير عون وسهير محمد مختار ، (١٩٦٩م) ، شركة الإسكندرية ، مصر .
- **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، للشيخ محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم **مخلوف** (ت١٣٦٠هـ) ، تحقيق عبد المجيد خيالي ، ط١ ، (١٤٢٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **شرح الإرشاد** ، للإمام تقي الدين أبي الفتح مظفر بن عبد الله بن علي **المقترح** (ت٦١٢هـ) ، تحقيق فتحي أحمد عبد الرزاق ، أطروحة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في العقيدة والفلسفة (١٤١٠هـ) ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، مصر .
- **شرح التسهيل** المسمىٰ : « **تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد** » ، للإمام النحوي محب الدين محمد بن يوسف التميمي المعروف بـ **ناظر الجيش** (ت٧٧٨هـ) ، تحقيق محمد العزازي ، ط١ ، (١٤٣٩هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **شرح تنقيح الفصول** ، للإمام أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمـٰن **القرافي** (ت٦٨٤هـ) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، ط١ ، (١٣٩٣هـ) ، شركة الطباعة الفنية المتحدة ، القاهرة ، مصر .
- **شرح الجزائرية** ، المسمى : « المنهج السديد في شرح كفاية المريد » ، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر **السنوسي** الحسني (ت٨٩٥هـ)، تحقيق مصطفىٰ مرزوقي ، دار الهدىٰ ، عين مليلة ، الجزائر .

- **شرح ديوان الحماسة** ، للأديب الشاعر أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت٤٢١هـ) ، تحقيق غريد الشيخ ، ط١ ، (١٤٢٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب** ، للإمام النحوي نجم الأئمة محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (نحو ٦٨٦هـ) ، ط١ ، (١٤١٤هـ) ، طبع على نفقة صاحب السمو عبد الله بن عبد العزيز ، السعودية .
- **شرح شطرنج العارفين** المسمىٰ : « أنيس الخائفين وسمير العاكفين في شرح شطرنج العارفين » للعارف بالله محمد بن **الهاشمي** بن عبد الرحمـٰن الحسني التلمساني ثم الدمشقي (ت١٣٨١هـ) ، طبعة خاصة .
- **شرح العقائد النسفية** ، للإمام النحرير سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله **التفتازاني** (ت٧٩٢هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٤٠هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .
- **شرح صغرى الصغرىٰ** ، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر **السنوسي** الحسني (ت٨٩٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٤٠هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .
- **شرح العقيدة الكبرىٰ** ، المسمىٰ : « عمدة أهل التوفيق والتسديد » ، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر **السنوسي** الحسني (ت٨٩٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٤٠هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .
- **شرح العقيدة الوسطىٰ** ، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر **السنوسي** الحسني (ت٨٩٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٤٠هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .
- **شرح المقاصد** ، للإمام النحرير سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله **التفتازاني** (ت٧٩٢هـ) ، طبع سنة (١٤٠١هـ) ، دار المعارف النعمانية ، باكستان .

ـ **شرح معالم أصول الدين** ، للإمام شرف الدين عبد الله بن محمد ابن **التلمساني** الفهري (ت٦٥٨هـ) ، تحقيق نزار حمادي ، ط١ ، (١٤٣١هـ) ، دار الفتح ، عمان ، الأردن .

ـ **شرح المقدمات** ، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر **السنوسي** الحسني (ت٨٩٥هـ) ، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي ، ط١ ، (١٤٤٠هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية .

ـ **صحيح ابن خزيمة** ، المسمىٰ : « مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، بنقل العدل ، عن العدل موصولاً إليه صلى الله عليه وسلم من غير قطع في أثناء الإسناد ولا جرح في ناقلي الأخبار » ، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي ، ط٣ ، (١٤٢٤هـ) المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .

ـ **صحيح البخاري** ، المسمى : « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه » ، (الطبعة السلطانية اليونينية) ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ) ، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط٣ ، (١٤٣٦هـ) ، دار طوق النجاة ، بيروت ، لبنان . دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

ـ **صحيح مسلم** ، المسمى : « المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ ، (١٤١٢هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

ـ **طبقات الحضيكي** ، للإمام محمد بن أحمد **الحضيكي** (ت١١٨٩هـ) ، تحقيق أحمد بومزكو ، ط١ ، (١٤٢٧هـ) ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب .

- **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح** ، للإمام بهاء الدين أبي حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٣٣هـ) ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، ط١ ، (١٤٢٣هـ) ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان .
- **العلوم الفاخرة في النظر في أمور الآخرة** ، للإمام العلامة عبد الرحمـٰن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ) ، طبع سنة (١٣١٧هـ) ، المطبعة الحميدية .
- **الغيث الهامع شرح جمع الجوامع** ، للإمام ولي الدين **أبي زرعة** أحمد بن عبد الرحيم **العراقي** (ت٨٢٦هـ) ، تحقيق محمد تامر حجازي ، ط١ ، (١٤٢٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **الفائق في غريب الحديث والأثر** ، للعلامة المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر **الزمخشري** (ت٥٣٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .
- **فتاوى الرملي** ، للإمام الفقيه شهاب الدين أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت٩٥٧هـ) ، نشر المكتبة الإسلامية .
- **الفردوس بمأثور الخطاب** ، للإمام الحافظ أبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو **الديلمي** (ت٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط١ ، (١٤٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **الفروق** ، المسمىٰ : « أنوار البروق في أنواء الفروق » ، للإمام أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمـٰن **القرافي** (ت٦٨٤هـ) ، تحقيق محمد أحمد سراج وعلي جمعة ، ط١ ، (١٤٢١هـ) ، دار السلام ، القاهرة ، مصر .
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، لعالم الأندلس المحدث الفقيه أبي محمد علي بن أحمد **ابن حزم** الظاهري (ت٤٥٦هـ) ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر .

- **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات** ، للمحدث محمد عبد الحي **الكتاني** (ت١٣٨٢هـ) ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، (١٩٨٢م) ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- **فيض القدير شرح الجامع الصغير** ، للإمام الفقيه زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين القاهري **المناوي** (ت١٠٣١هـ) ، ط١ ، (١٣٥٦هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، مصر .
- **لسان الميزان** ، للإمام الحافظ أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، ط١ ، (١٤٢٣هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان .
- **لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية** ، للإمام الفقيه الرباني أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ) ، تحقيق صهيب ملا محمد نوري علي، ط١ ، (١٤٣٣هـ) ، دار التقوىٰ ، دمشق ، سورية.
- **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين** ، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن عمر **فخر الدين الرازي** (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، مصر .
- **المختصر الكلامي** ، للإمام المتكلم أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد **بن عرفة** التونسي (ت٨٠٣هـ) ، تحقيق نزار حمادي ، دار الضياء ، الكويت .
- **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح** ، للإمام نور الدين أبي الحسن ملا علي بن سلطان محمد الشهير **بـملا علي القاري** (ت ١٠١٤هـ) ، ط١ ، (١٤٢٢هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .
- **مسند أبي يعلىٰ** ، للإمام **أبي يعلىٰ** أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصلي (ت٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين أسد ، ط١ ، (١٤٠٤هـ) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .

- **مسند الإمام أحمد** ، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد **بن حنبل** الشيباني (ت٢٤١هـ) ، طبع سنة (١٣١٣هـ) ، الطبعة الميمنية ، القاهرة ، مصر .
- **مسند البزار** ، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق **البزار** (ت٢٩٢هـ) ، تحقيق محفوظ الرحمٰن زين الله ، ط١ ، (٢٠٠٩م) ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، السعودية .
- **مسند الشاميين** ، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي السلفي ، ط١ ، (١٤٠٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- **مسند الشهاب** ، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر **القضاعي** (ت٤٥٤هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، (١٤٠٧هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .
- **المصنف** ، للإمام الحافظ أبي بكر **عبد الرزاق** بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي ، ط٢ ، (١٤٠٣هـ) ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- **المصنف** ، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي شيبة** العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ) ، تحقيق محمد عوامة ، ط١ ، (١٤٢٧هـ) ، دار القبلة ، جدة ، السعودية . مؤسسة علوم القرآن ، دمشق ، سورية .
- **المصون في الأدب** ، للأديب أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت٣٨٢هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٢ ، (١٩٨٤م) ، طبع في مطبعة حكومة الكويت ، الكويت .
- **معارج القدس في مدارج معرفة النفس** ، المنسوب للإمام أبي حامد حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد **الغزالي** الطوسي (ت٥٠٥هـ) ، ط٢ ، (١٩٧٥م) ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان .

- **معالم أصول الدين** ، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن عمر **فخر الدين الرازي** (ت٦٠٦هـ) ، تحقيق نزار حمادي ، ط١ ، (١٤٣٣هـ) ، دار الضياء ، الكويت .
- **معترك الأقران في إعجاز القرآن** ، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ) ، ط١ ، (١٤٠٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- **المعجم الكبير** ، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط٢ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، مصر .
- **معرفة الصحابة** ، للإمام الحافظ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ) ، تحقيق عادل العزازي ، ط١ ، (١٤١٩هـ) ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية .
- **المنقذ من الضلال** ، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ) ، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط١ ، (١٤٣٤هـ) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .
- **المواهب القدسية** ، للشيخ محمد بن إبراهيم بن عمر **الملالي** (ت٨٩٨هـ) ، صورة عن مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس ، ذات الرقم (٢٢٦٦٨) .
- **المواهب اللدنية في شرح المقدمات السنوسية** ، للعلامة أبي إسحاق إبراهيم بن علي **البناني** (ت بعد ١٠٨٨هـ) ، طبع سنة (١٣٧٣هـ) بهامش «شرح صغرى الصغرىٰ» ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر .
- **الموطأ** ، لإمام دار الهجرة **مالك** بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، طبع سنة (١٤٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

ـ **النبراس شرح شرح العقائد** ، لإمام المعقول محمد عبد العزيز **الفرهاري** ، طبع سنة (١٤٣٠هـ) ، إستنبول ، تركيا .
ـ **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، للإمام أبي العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر **التنبكتي** (ت١٠٣٦هـ) ، تحقيق عبد الحميد عبد الله الهرامة ، ط٢ ، (٢٠٠٠م) ، دار الكاتب ، طرابلس ، ليبيا .
ـ **هدية العارفين** ، للعلامة إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني **البغدادي** (ت١٣٩٩هـ) ، طبعة مصورة عن منشورة وكالة المعارف الجليلة إستنبول (١٩٥١م) لدى دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

* * *

محتوى الكتاب

* * *